الجزائر في المصادر العثمانية

الجزائر في المصادر العثمانية

دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية

د. محمد درّاج



الأصالة للنشر والتوزيع



شركة الأصالة للنشر/الجزائر

ISBN: 978-9931-413-41-7

الإيداع القانوني: ماي 2018

شركة الأصالة للنشر/ الجزائر

العنوان: حي الصنوبر البحري رقم 58 المحمدية، الجزائر العاصمة

الهاتف/الفاكس: 021 2196 06

الجوال: 0669004744

البريد الإلكتروني: assala.edition@assala-dz.net

الموقع الإلكتروني: www.assala-dz.net

الاختصارات

المصدر السابق	a.g.e: adı geçen eser
جامعة أنقرة	AÜ: Ankara Üniversitesi
المجلد	c.cilt
الموسوعة الإسلامية لرئاسة الشؤون الدينية	Diyanet İslam Ansiklopedisi
الموسوعة الإسلامية	İA: İslam Ansiklopedisi
قارِن	Karş: karşılaştır
وزارة التربية الوطنية التركية	M.E.B: Milli Eğitim Bakanlığı
مادة	Mad. Madde
الصفحة	s. sayfa
مجمع التاريخ التركي	TTK: Türk Tarih Kurumu
المجلس الأعلى للتعليم العالي	YÖK: Yöksek Öğretim Kurumu
بدون تاريخ	Tsz: Tarihsiz

مُحتويات الكِتاب

مقدمة المؤلف

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمصادر التركية العثمانية التي أُلِّفت أساسا للتأريخ للدولة العثمانية، وتطرقت بشكل عَرَضيٍّ إلى جوانب مختلفة من تاريخ الجزائر في بُعْدَيْه المحلِّي والإقليمي والدولي خلال المرحلة العثمانية.

وقد كان الدافع إلى التفكير في إعداد هذه الدراسة هو عزوف الكثير من الباحثين عن توظيف المصادر التركية في معظم أبحاثهم التي تناولت المرحلة العثمانية من تاريخنا. الأمر الذي جعل تلك الأعمال بالرغم من أهميتها القصوى وتثميننا لجهود أصحابها تَتَّسِمُ بثنائية القراءة التي تتجلّى في صورتين متبايِنَتَيْن:

1. قراءة استندت إلى مصادر محلية، دَوَّنَتْهَا في الغالب شخصيات دينية لم تَرْقَ كتاباتها التاريخية إلى التخصّص الاحترافي الدقيق، الذي يؤهلها لتأخذ مكانها في مصافِّ المصادر التاريخية الكبيرة على غرار مؤلفات ابن خلدون والذهبي وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير وغيرهم، فضلا عن افتقارها معظم الأحيان إلى الدّقّة في توثيق المعلومات التاريخية، واكتفاء أصحابها بجمع ما يقع تحت أيديهم من مادة تاريخية، وعرضها بطريقة سَرْدِيَّة دون نقدٍ أو تمحيصٍ، بالإضافة إلى عرض الوقائع التاريخية المحلية انطلاقا من تمثيلِ دورِ الضحية والعنصرِ الأضعفِ في الأحداث. الأمر الذي يعكس قدراً -قَلَّ أو كثُر- من الإحساس بالدّونيَّة والغَبْن. وهو ما يُفْضِي بدوره إلى تسليطِ الضوء على الجوانب السلبية التي شاعت في الفترة

الأخيرة من الحكم العثماني، مُحَمِّلةً الإدارة العثمانية جُلَّ مصائبنا، ومستبعدةً في الوقت نفسه مسؤولية زعمائنا المحليين الذين ساهموا في صنع أحداث تلك الفترة أو كانوا شهودا عليها. وأعني بزعمائنا المحليين هنا: من كانت لهم كلمة مسموعة لدى العامة والخاصة، سواء كانوا ساسة أو علماء أو شيوخ زوايا أو مرابطين أو أشراف أو أدباء أو شعراء أو أمراء وأعيان.

2. وأما القراءة الثانية التي ترتبت عن اعتمادها على ثنائية المصادر، فهي تلك التي يستمدّ أصحابها معلوماتهم التاريخية مما ورد في مراسلات القناصل الأجانب وملاحظات الرّحّالة ومذكرات الأسرى وموظفي الإدارة الاستعمارية، وتقارير الجواسيس ورجال الدين النصارى، وهذه المصادر بالرغم من أهميّتها الكبيرة باعتبارها تعكس وجهة نظر الآخر إلى تاريخنا إلّا أنّها تفتقر إلى الحياد والموضوعية، فضلا عن عجزها في فهم واستيعاب الأحداث، وتفسير خلفيّاتها المنبثقة من المعطيات المحليّة ذات الطابع الدّيني والثّقافي الخاص بالجزائر؛ وذلك لأنّ الأجنبي في الدّين واللّغة والثّقافة، يبقى أجنبيا في قراءته وفهمه للأحداث المحلية مهما كان قريبا منها. وكي يتسنَّى لهذا الأجنبي استيعاب الأبعاد النفسية والاجتماعية لتاريخنا عليه أن يشاطر أهلنا لغتَهم وثقافتَهم ودينَهم وتكوينَهم النفسي والاجتماعي، وبدون ذلك تبقى ملاحظاته أشبه بصورة فوتوغرافية تقتصر على تسجيل المظاهر الخارجية للأحداث دون التمكن من سَبْرِ أَغْوَارِها العميقة التي تفسر سلوك الإنسان الجزائري في بُعدِه الجَمْعي.

ولا رَيْبَ أنّ غياب المصادر العثمانية في دراساتنا التاريخية، أثّر بشكل كبير على مُخْرَجَاتِ البحث التّاريخي الخاصّ بالجزائر خلال هذه الفترة

المهمة من تاريخنا الحديث، فالعثمانيون لم يكونوا حدثًا عابراً في تاريخ الجزائر، بل كانوا منذ تَوَلِّيهِمْ زعامةَ العالمِ الإسلامِيِّ -بنقل الخلافة أو انتقالها إليهم- يعتبرون الجزائر جزءًا من دولة الخلافة العثمانية الممتدة من القوقاز حتى تلمسان، ومن شبه جزيرة القرم حتى اليمن وعليه؛ فإنّ الجزائر في نظرهم لم تكن تختلف عن غيرها من الإيالات المهمة إن لم تكن أهمها في غرب العالم الإسلامي، وذلك بالنظر إلى تمثيلها لجبهة الصراع الأولى والأساسية، التي تقف في وجه التمدّد الصليبي الطامح إلى بسط نفوذه على إفريقيا انطلقا من شمالها العربي والإسلامي، محققا بذلك مشروعه الرامي إلى خلق إفريقيا لاتينية على غرار أمريكا اللاتينية، ومن ثَمَّ فإنّه من الطبيعي أن تكون الجزائر حاضرة في كافة المصادر العثمانية الرسمية وغير الرسمية؛ إذْ يكاد لا يخلو دفتر من الدفاتر المهمّة المشتملة على قرارات الديوان السلطاني، ولا مصدر من مصادر التاريخ العثماني عن ذكر شيء عن الجزائر قليلا كان أو كثيرا.

صحيح أنّ الكثير من المؤلّفات العثمانية تميّزت بالتّعميم والسّطحية في عرضها لتفاصيل الأحداث الخاصة بالجزائر بسبب قلّة المعلومات لدى مؤلِّفِي تلك المصادر، أو بسبب عدم تمكّنهم من الوصول إلى المصادر المحلية التي تجعلهم على دراية بما كتبه الجزائريون عن تاريخ بلادهم خلال المرحلة العثمانية، أو بسبب بعد المسافة بين إستانبول والجزائر وغير ذلك من الموانع، إلّا أنّ أهميّة تلك المؤلفات -أي العثمانية- لا تكمن في تفاصيل الأحداث وجزئياتها الصغيرة، بل في كونها تعرض تاريخ الجزائر ضمن السياق العام للتاريخ العثماني. بمعنى أن الكثير من الأحداث السياسية المتعلقة بالجزائر، كانت جزءا من الأحداث العامة التي عاشتها الدولة

العثمانية. فعلى سبيل المثال: فساد الانكشارية، وانتشار المحسوبية في الإدارة وتولية غير الأكفاء في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، وكذا الانقلابات وحوادث الاغتيال لمسؤولي الدولة والمؤامرات التي كانت تحيكها الشخصيات المتنفذة في السلطة ضد بعضها بعضا لم تكن معزولة عن المسار العام للفساد العام الذي أصاب الدولة العثمانية في المركز وانتشر في الأطراف، فكثيرا ما كانت الأزمات المحلية في الجزائر صدى لأزمة مماثلة في مركز الدولة، وكثيرا ما كانت تُعْقَد معاهدة هنا، بناء على معاهدة مماثلة بين الدولة العثمانية ودولة أخرى. وكثيرا ما تعلن الحرب على بلد من البلدان الأوربية نتيجة لإعلان الدولة العليّة الحرب عليها، فنقطة ضعف مصادرنا المحلية، وكذا المصادر الأجنبية التي تطرقت إلى تاريخ بلادنا ـ أنها تغفل الأحداث الأساسية التي كانت تقع في المركز، وتسلط الضوء على الأحداث المحلية بشكل معزول عن نقطة انطلاقها هناك. ولا شك أن قراءةَ جزءٍ من الأحداث وإغفالَ جزئها الآخر يَدَعُ الباحث عاجزًا عن فهمها وتفسيرها بشكل صحيح، ويدفعه عجزُه ذلك إلى التّخْمين والافتراض أملًا في فهم أسباب تلك الأحداث وخلفياتها، بينما الجواب عنها يكمن في إدراك الحدث الرئيس في مركز الدولة بإستانبول.

وما يقال عن الأزمات التي كانت تعيشها الجزائر بين حِينٍ وآخر، يمكن قوله عن طريقة إدارتها وآليات التسيير فيها، فلا شك أن التنظيم الإداري الذي أسسه العثمانيون في الجزائر، والطريقة التي أُدِيرَتْ بها مؤسسات الإيالة، والسياسة التي اتُّبِعتْ في التعامل مع القوى الدينية والزعامات المحلية وعامة الرعايا في الجزائر، كل ذلك لا ينفصل عن الإطار العام للسياسة العثمانية في كافة ولاياتها البعيدة. وعليه؛ فإنه من

الطبيعي أن تكون المصادر العثمانية هي الكفيلة بمساعدتنا على فهم وإدراك طبيعة الإدارة العثمانية وسياستها المتبعة في كافة الولايات التابعة لها. وعندما تغيب هذه المعطيات عن إدراك الباحث فإنّه من الطبيعي أن يقع في أخطاء بالغة التّعقيد، لأنّه -والحال هذه- لا المصادر المحلية ولا المصادر الأجنبية بإمكانها أن تسعفه بأجوبة وافية ومقنعة عن الدواعي التي جعلت الإدارة العثمانية تسير على هذا النحو أو ذاك.

ولنأخذ مثالا نستعين به على فهم الفكرة بشكل أفضل: وليكن هذا المثال متعلّقاً بمسألة منع الجزائريين من الالتحاق بوحدات الانكشارية المرابطة في الجزائر. ولتفسير ذلك أذكّر القارئ بقاعدة مهمة تخصّ هذه المسألة، وهي أن الدولة العثمانية كانت تمنع تجنيد الشباب المنحدرين من أصول إسلامية، سواء كانوا أتراكا أم أكرادا أم شراكسة أم عربا أم بربرا في تشكيلات الانكشارية، وجعلته قاصرا على الشباب المنحدرين من أصول مسيحية. ولم يكن ذلك بالإمر الجديد، بل كان قاعدة سارية منذ تأسيس الوحدات الانكشارية في عصر السلطان في عصر السلطان مراد الأول (1362- 1389) أي قبل إلحاق الولايات العربية بالدولة العثمانية بفترة طويلة، فقد كان الفتيان من أبناء البلاد المفتوحة يؤخذون كضريبة تدعى: "**ضريبة الغلمان**" ثم تتم تنشئتهم تنشئة دينية وعلمية وعسكرية، ويترقّون في مختلف أسلاك الدولة ومراتبها العسكرية إلى أن يصلوا حيث تبلغ بهم مواهبهم. فلم تكن هذه السياسة موجّهة لإبعاد الجزائريين أو العرب أو غيرهم من المسلمين لأجل استئثار الأتراك بالسلطة كما يُشيع من لا يعرف طبيعة تكوين هذه المؤسسة، فقد علمنا أن الأتراك أنفسَهم كانوا ممنوعين من الالتحاق بهذه التّشكيلة، وكل ما في الأمر أن طبيعة تشكيلات

الانكشارية منذ تأسيسها كانت تقوم على أساس توظيف ضريبة الغلمان لإمداد الجيش العثماني بعناصر شابة تتم تنشئتها منذ الصغر على الولاء للسلطان، وليس لهم عصبية قبلية يمكن توظيفها للقيام بأيّ نوع من محاولات التمرد التي عانت منها الدولة في الأناضول منذ تأسيسها، وذلك لأنّ المعارضين للدولة من الزّعماء المحلّيين أو أنصار الأمراء العثمانيين الطموحين إلى الجلوس على عرش السلطنة كانوا يقومون بحشد أتباعهم من أبناء العشائر ومريدي مشائخ الصوفية الموالين لهم للتمرد على الدولة. الأمر الذي كان له آثار بالغة الخطورة على أمن واستقرار الدولة. ولا نملك في هذه التقديم أن نتطرق إلى هذا الموضوع بالتفصيل لخروجه عن الغاية التي من أجلها تمّ إعداد هذه الدراسة.

أعود فأقول بأنّ الجزائر لم تكن استثناءاً في هذه المسألة، عدا حالة واحدة تتمثل في أن الدولة العثمانية كانت تسمح للشباب الأتراك بالالتحاق بوحدات الانكشارية بشرط أن يكون تجنيدهم للعمل في الجزائر وليس في الوحدات المرابطة في الولايات العثمانية بالأناضول أو الرُّومَلِي. صحيح لقد تم خَرْق هذه القاعدة وتجاهلُها من قِبَلِ وكلاء الجزائر المكلّفين بالتجنيد في مدن الأناضول أو مِنْ قِبَلِ مساعديهم وأعوانهم، خصوصا في المراحل الأخيرة من الحكم العثماني عندما فسدت الإدارة المدنية والعسكرية وغابت عين الرقابة التي كانت تتحرّى اختيار المجنّدين بدقّة كبيرة. فكان من أثر ذلك أن انتهى أمر مؤسسة الانكشارية إلى حلِّها بشكل نهائي على يد السلطان محمود الثاني (1785- 1839) أثناء عملية التصفية الشهيرة والمعروفة بـ: **"الواقعة الخيرية"** سنة 1826 كما هو معلوم.

لقد سُقتُ هذا المثال لتوضيح نقطة مهمة، وهي أن المصادر المحلية لا تستطيع أن تجيب بشكل مقنع عن سبب عدم قبول الأهالي أو المولودين من زواج مختلط ممّنْ كانوا يُعرَفون بـ" **الكَرَاغِلَة**"، أو غيرهم من الأهالي من الالتحاق بمؤسسة الانكشارية، لأن الإجابة عن هذا التساؤل يكمن في المصادر التركية وليس في المصادر المحلية أو الأجنبية.

وفي مقابل ذلك لم يكن الأهالي ولا الأتراك ولا غيرهم من الفتيان المنحدرين من أصول إسلامية، بل حتى غير المسلمين ممنوعين من الالتحاق بوحدات البحرية في كافة الولايات العثمانية بما فيها الجزائر؛ وذلك لأنّ طبيعة هذه المؤسسة كانت تقوم على التجميع العام لكل قادر على المساهمة في الانتساب إلى هذه التشكيلة. بل كانت تقبل أن ينتسب إليها غير المسلمين من الأسرى الأجانب وغيرهم من المجنّدين، ممن يملكون مهارات خاصة في كل ما له علاقة بالبحرية. كإتقانهم لبعض الصناعات العسكرية، أو إصلاح السفن أو لهم مهارات عسكرية لا توجد عند غيرهم ونحو ذلك من المؤهلات.

كما أن المنتسبين إلى تشكيلات البحرية لم يكونوا يخضعون لنفس القواعد والتقاليد العسكرية التي كانت تحكم التنظيم الخاص بوحدات الانكشارية. بل بالعكس تشكلت وحدات عسكرية جزائرية خاضعة لقيادات محلية، خاصة وأنّ الأتراك وغيرهم من رعايا الدولة العثمانية من الأعراق الأخرى ممنوعين من الالتحاق بها. مثل وحدات الصبايحية وزمالة وفرقة زواوة وغيرها. ولا بدّ من التذكير هنا أن هذه السياسة لم تكن تنطبق على أيالة الجزائر فحسب؛ بل كانت سياسة ثابتة لم يَحِدْ عنها

العثمانيون منذ تأسيس الدولة العليّة، وقاموا بتطويرها حسب الظروف المحلية بالمناطق التي يقومون بفتحها أو إلحاقها بالدولة.

وفي مقابل ذلك لاحظنا بأنّ بعض الوظائف المدنية والقضائية والدينية التي تخص الإدارة المحلية للإيالة كان العثمانيون من غير السكان المحليين ممنوعين من مباشرتها. من ذلك على سبيل المثال: الإدارة المحلية للمدينة والمقاطعات الداخلية للريف الجزائري، وكذا الكثير من المؤسسات التي تدير دواليب الدولة مثل: الحسبة والقضاء والإفتاء المالكي والتعليم والأوقاف ونقابة الأشراف والنقابات الحرفية بالمدينة والأمن والنظافة. بل إنّ المدقِّق في الوظائف لمحلية الخاصة بالريف الجزائري كانت تُسند في معظمها إلى مسؤولين محليين من أهالي الجزائر.

وبالإضافة إلى الكتابات التاريخية العثمانية التي تناول أصحابها الموضوعات التي تخص الجزائر خلال المرحلة العثمانية من تاريخها، لاحظنا وجود كتابات تناول فيها أصحابها موضوعات أدبية وفنية تتعلق بالجزائر. فقد كتب الأدباء الأتراك عن الشعر التركي في الجزائر، وذكرت سواحل الجزائر ومبانيها في الشعر والغناء الشعبي التركي. كما تغنّى الشعراء بالنسيم الذي كان يهبّ من السواحل الغربية، وأطلقوا عليه اسم: «**جَزَايِرْ هَوَاسِي Cezayir Havası**» أي: نسيم الجزائر. وفي ليلة الحِنَّاء كان ولازال الـمَوَّالُ الذي تترنّم به النساء في ليلة الحِنّاء عند تخضيب يد العروس بالحِنّاء يُدعى: «**جَزَايِرْتُورْكُوسُو Cezayirtürküsü**» أي: مَوَّالُ الجزائر. وإذا كانت اليمن وبغداد يضرب بهما المثل في البعد، فإن الجزائر كانت مضرب المثل في التعبير عن معاني الشوق والحسرة..

إنّ بلدا على هذا القدر من الأهمية عند رجال الدولة والمؤرّخين والأدباء والشعراء والكُتّاب العثمانيين يجعلنا لا نستغرب أن يحظى بكل هذه الأهمية، بل نستغرب عندما لا يستنطق المؤرخون منّا هذه المدوّنات التي حفلت بذكر الجزائر!!..

وعودا على بدء أقول: إنّه من الضّروري جدًّا تنويع مصادرنا التي نستقي منها معارفَنا التاريخية، ومن آكَدِ تلك الضرورات إعطاء المصادر العثمانية الأهميّة التي تستحقّها فيما يخصّ المرحلة العثمانية من تاريخ الجزائر. ليس لأجل المعلومات الأصلية التي تحتوي عليها فحسب؛ بل لكونها تجيب عن تساؤلات ظلت عالقة وسكتت عنها مصادرنا المحلية والأجنبية أو عجزت عن الإجابة عنها أو أجابت عنها بشكل خاطئ.

نحن هنا لا نزعم أن المصادر العثمانية تعطي إجابة صحيحة عن جميع التساؤلات التي بقيت عالقة، ولا يمكن أحد أن يدّعي ذلك. كما أننا لا نزعم أن ما ورد فيها صحيح أو أفضل أو أهمّ مما ورد في غيرها. إنما نريد لفت انتباه الباحثين إلى ضرورة إعطاء المصادر التركية القديمة والحديثة ما تستحقّه، وذلك بالرجوع إليها ومقارنة ما ورد فيها مع ما ورد في غيرها، لتأكيد الحقائق التاريخية أو نفيها أو على الأقل لمعرفة وجهة نظر أخرى ينطلق أصحابها من معطيات مختلفة، ويعتمدون في كتاباتهم معلومات وشهادات حية أو وثائق أو مؤلفات لم تبلغها أيدينا. فهذه المصادر ليست مجرد مصادر أجنبية يمكن الاستغناء عنها عند وجود غيرها؛ بل هي مصادر تعكس رأي شركائنا في تاريخ يمتدّ إلى ثلاثة قرون، تقاسمنا خلالها انتصاراتنا وهزائمنا، ونجاحاتنا وإخفاقاتنا، وامتزجت خلال ذلك

دماؤهم بدمائنا دفاعا عن الجزائر. وكان من أثر هذا التلاحم تكوين مجتمع جزائري متنوع بثرائه اللغوي والثقافي والفني؛ فضلا عن بناء دولة مركزية مترامية الأطراف لازالت تقوم على نفس الحدود التي رسمها العثمانيون منذ مطلع القرن 16.

وبالنظر إلى المصادر العثمانية التي تم اختيارها لتكون نماذج لهذه الدراسة، فقد روعي فيها أن تكون مختلفة وذات مستويات متباينة، تراوحت تواريخ تأليفها بين القرنين 16 و 19، وذلك من أجل ملاحظة تباين مستويات الكتابة وكثافتها ودقتها من فترة لأخرى.

إلا أن القاسم المشترك بين مؤلفي المصادر المختارة يكْمُن في كونهم جميعا كانوا موظفين سامين في إدارة الدولة العثمانية. فبيري رئيس كان قائدًا للأسطول العثماني في جنوب الجزيرة العربية وخليج البصرة، وقبل ذلك كان أحد رياس البحر الذين التحقوا بخدمة الدولة العثمانية منذ عصر السلطان بايزيد الثاني، وعمل بعد ذلك ضمن الوحدات البحرية التي كان يقودها خير الدين بربروس في الجزائر. وتولى رئاسة أول وفد أرسله هذا الأخير إلى إستانبول لمقابلة السلطان سليم الأول عقب عودته من فتح مصر.

فإذا نظرنا إلى خير الدين بربروس الذي جعلنا من مذكراته نموذجا للمصادر العثمانية التي أُلّفت في النصف الأول من القرن 16، نجد أنه كان أول بيلرباي على الجزائر، ثمّ قائدًا عامًّا للأسطول العثماني. وقد أملى مذكراته بناء على أمر من السلطان سليمان القانوني كما ورد في مقدمتها. فهي أشبه بتقرير رسمي يعرض فيه تفاصيل الأحداث التي عاشها منذ

خروجه من مسقط رأسه بجزيرة **ميديلِّي Midilli** إلى استقراره بالجزائر وطرد الإسبان منها.

وأما فريدون أحمد بك الذي جعلنا من مجموعه المميّز نموذجًا للدراسات الأرشيفية، فإنّنا نجده هو الآخر قد عمل توقيعيًا[1] في الديوان السلطاني، وألّف كتابه **"مجموع منشآت السلاطين"** لكي يتحف به السلطان مراد الثالث (1574– 1595).

أما كاتب جلبي، فقد كان كاتبا في الديوان السلطاني، وعمل في الجيش العثماني، واشترك في العديد من الحملات في شرق الأناضول، قبل أن يستقيل من عمله في الجيش ويتفرغ بشكل كلّي للبحث والدراسة.

فإذا جئنا إلى أحمد جودت باشا، وجدناه هو الآخر قد تولى العديد من الوظائف الرسمية في الإدارة العثمانية، تراوحت بين القضاء والولاية وإدارة التعليم ورئاسة عدة لجان قانونية في "مجلس المبعوثان" العثماني. وأما تاريخه المسمّى بـ: **"جودت تاريخي"**، فقد جعلناه نموذجا للمصادر المؤلفة في القرن 18 وبداية القرن 19. وتميز كتابه هذا بكونه تاريخا رسميا، جمعه مؤلفه مما سجله أثناء عمله كمؤرخ لوقائع الدولة العثمانية.

ومن خلال ما تقدم، يتضح لنا أن الصفة الرسمية التي كان يتقاسمها المؤرخون الذين تم اختيارهم كنماذج للمصادر العثمانية، تجعلهم يتميزون في مؤلفاتهم التاريخية بصفتين متناقضتين:

الأولى: أن صفاتهم الرسمية المذكورة كانت تتيح لهم إمكانية الاطلاع على مصادر للمعلومات لا تتاح لغيرهم، فضلا عن احتكاكهم -بفضل

---

(1) وهو المعروف باسم: نيشانجي.

الوظائف التي كانوا يتولونها- بالشخصيات المؤثرة في الدولة العثمانية. فهذه الخصوصية مكّنت هؤلاء المؤلفين من النظر إلى الأحداث من زوايا أكثر واقعية.

الثانية: أن لصفاتهم الرسمية هذه جانبا سلبيا، يتمثل في عدم قدرتهم على الاتصاف بالموضوعية التي يجب أن يتحلّى بها المؤرخ المستقل. وذلك لأننا لا يمكن أن نتوقع من وزير أو موظف سامي في الدولة العثمانية أن يتعرض بالانتقاد لسلوك ومواقف السلاطين العثمانيين أو غيرهم من كبار مسؤولي الدولة التي كانوا يعملون تحت إمرتهم. كما لا نتوقع منه أن ينوّه بمواقف إيجابية لخصوم الدولة العثمانية، فضلا عن اعترافه لهم بما لديهم من فضائل.

كما أرى أنه من الضروري التذكير بأنني قد قمت بإضافة ثلاث مقالات. اثنتين منهما ذات صلة مباشرة بموضوع الدراسة. وأعني بهما:

1. المقالة الموسومة بـ: "الدفاتر المهمة وأهميتها في دراسة التاريخ المحلي والعالمي". والتي كانت في الأصل مداخلة شاركت بها في الملتقى الدولي الأول حول: "الأرشيف ودوره في كتابة تاريخ الجزائر" ، الذي نظمته جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر) يومي 5، 6/ 11/ 2012.

2. المقالة الموسومة بـ: "العلاقات العثمانية الجزائرية في ضوء وثائق

أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية" وهي أيضا مداخلة قمت بالمشاركة بها في: "اليوم الدراسي الدولي حول العلاقات الجزائرية التركية من العهد العثماني إلى يومنا هذا". الذي نظمته وزارة الثقافة الجزائرية بالتعاون مع وكالة التعاون والتنسيق الدولي التركية بالجزائر يومي 11، 12/ 03/ 2017.

وأما المقالة الثالثة والموسومة بـ: "الجزائر في الرسائل الجامعية التركية" فهي ليست ذات صلة مباشرة بالموضوع، إنما هي مداخلة شاركت بها أيضا في "الملتقى الدولي الأول حول الأواصر الثقافية والحضارية بين الجزائر وتركيا في الفترة الحديثة والمعاصرة" المنعقد يومي 10، 11/ 11/ 2015 بجامعة يحيى فارس بالمدية (الجزائر). وقد كان القصد منها القيام بمسح عام عن مجمل الدراسات الجامعية التي أنجزت حول الجزائر منذ استقلال الجزائر 1962 إلى 2015. أي بشهور قليلة من انعقاد الملتقى.

وآمل في الأخير أن تكون هذه الدراسة مفتاحا لدراسات تالية أخرى تسير على نفس المنوال، نكمل بها بقية المصادر التي لم يتسع لنا الوقت لإدراجها هنا. فعسى أن يتيسّر لنا ذلك في طبعة قادمة للكتاب -إن شاء الله-، فإن وُفِّقنا فيما نأمل فذاك ما كنا نبغي، وإن تعذّر علينا ذلك، فحسبُنا أننا سعينا لتمهيد الطريق للأجيال القادمة من الباحثين ليكملوا ما بدأناه.

وقبل أن أختم كلمتي هذه، لا يفوتني أن أنوّه بالجهود المثمرة التي بذلها زملائي الذين ساهموا في إخراج هذه الدراسة إلى الوجود. أذكر منهم زميلي الأستاذ الدكتور **أرزقي شويتام** من جامعة الجزائر، الذي تكرّم بالمراجعة الشاملة للكتاب، وأفادني كثيرا بملاحظاته الدقيقة وتصحيحاته

اللّغوية؛ وكذا الزميل الدكتور **محمد بلقاسم** رئيس قسم التاريخ **بجامعة الجزائر**(2) الذي تفضل بالمراجعة اللغوية لهذه المقدمة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى **شركة الأصالة للنشر** على نشر وتوزيع الكتاب، وإلى الأستاذ **محمد بورويبة** الذي بذل جهدا كبيرا لتصفيف وتصحيح الكتاب حتّى يتمّ إخراجه في حلّة تليق بموضوعه وأهميته.

فإلى هؤلاء وغيرهم ممن ساهم بقليل أو كثير من الزملاء والأصدقاء أقدم خالص شكري وفائق تقديري.

بومرداس، الجزائر في: 17/ 06/ 2017



الفصل الأول

«كتاب بحرية»

بيري رئيس

تمهيد

يُعَدّ «كتاب بحرية» للجغرافي والبحار التركي بيري رئيس أحد المصادر المهمة والمميّزة في تاريخ وجغرافية البحر المتوسط، وبحر إيجة والأدرياتيك؛ بالإضافة إلى المضائق المائية التي كانت مسرحا لنشاط البحرية العثمانية والتشكيلات المساندة لها.

وقد قام بيري رئيس بتأليف هذا الكتاب القيم وإهدائه للسلطان سليمان القانوني، باقتراح من الصدر الأعظم إبراهيم باشا الذي اكتشف موهبته أثناء مرافقته له إلى مصر.

وبالإضافة إلى احتواء الكتاب على معلومات غزيرة في الجغرافية البحرية وعلوم البحار وعلم الخرائط البحرية والطبوغرافيا البحرية؛ اشتمل أيضا على وصف دقيق لمختلف السواحل والجزر والموانئ والمدن والمنشآت المدنية والعسكرية المطلة على مختلف البحار التي جابتها السفن العثمانية، كالبحر المتوسط وإيجة والأدرياتيك والبحر الأحمر والمحيط الهندي والأطلسي، وكذا المضائق المائية كالدردنيل والبوسفور وجبل طارق وباب المندب وهرمز.

وعليه؛ فإن هذا الكتاب لا يعتبر مصدرا لتاريخ البحرية العثمانية فحسب؛ بل مصدرا أساسيا لجميع الدول والشعوب والجماعات الدينية والثقافية التي استوطنت السواحل التي ورد ذكرها في «كتاب بحرية».

وبالنسبة للجزائر، فقد خصّص لها بيري رئيس عدّة صفحات في كتابه هذا؛ حيث أورد فيه معلومات مهمة عن موانئ هنين والمرسى الكبير ووهران وتنس والجزائر ودلس وبجاية وعنابة وغيرها. والملاحظ في هذه المعلومات تميّزها بالأصالة والجدّية، لكونها قلّما توجد في غيرها من المصادر التي وصلت إلينا.

إنّ التّميّز الذي انفرد به «**كتاب بحرية**» جعل منه مصدرًا أساسيًا يحظى بأولوية المراجعة بالنسبة لتاريخ الجزائر في مطلع القرن 16، وبات من اللازم ترجمة ما كتبه المؤلف عن الجزائر لمعرفة وجهة نظر المؤرخين والجغرافيين الأتراك في الجزائر وتاريخها خلال المرحلة العثمانية من تاريخها.

وبالنظر إلى السبق الزمني والموضوعي الذي يحظى به هذا الكتاب، رأيت أنه أولى بأن أفتتح به هذه الدراسة، أملا في أن أكون قد وفقت في عرضه بالشكل الذي يتناسب مع أهميته وقيمته العلمية.

التعريف بالجغرافي والبحار التركي «بيري رئيس Piri Reis»

هو الجغرافي والبحار التركي پيري رئيس. ولد في شبه جزيرة «**غاليبولي GELİBOLU**» الواقعة في الساحل الغربي لبحر مرمرة، والتي كانت تعدّ واحدة من قواعد البحرية العثمانية[1]. وبالرغم من أنه لا

(1) كانت شبه جزيرة غاليبولي مقرا لإقامة قبطان باشا أي القائد العام للأسطول العثماني منذ مطلع القرن 14. وفي أثناء وجود قبطان باشا في إستانبول،

يُعرَف على وجه التحديد تاريخ مولده؛ إلا أنّه بالنّظر إلى الحوادث التي دوّنها في كتابه: «**كتاب بحرية**» يُفهم أنّه وُلِد بعد سنة 1465 [(1)].

اسمه: محيي الدين پيري. وقيل: أحمد بن علي الحاج محمد القرماني **اللَّارَنْدَوِي Larendevî**[(2)]. يعدّ كتابه الموسوم بـ«**كتاب بحرية**» أهمّ مصدر قدّم معلومات مهمّة عن شخصية مؤلفه. وذلك لكون هذا الأخير أورد في مواضع متناثرة من الكتاب تفاصيل مهمة عن نشأته وأعماله. وعن هذا المصدر نقلَ معظمُ من ترجم له وعرّف به فيما بعد.

وحسب المصدر المذكور يُفهم أن بيري رئيس بدأ نشاطه البحري في فترة مبكّرة من حياته إلى جانب عمّه أو خاله البحار التركي الشهير كمال

كانت غاليبولي خاضعة لسلطة قائد اللواء بأيالة غاليبولي. وفي سنة 1390 أمر السلطان بايزيد الأول أن تؤسس بها ورشة لبناء السفن، ثم ألحقت بها مجموعة من المنشآت التي تجعل منها قاعدة عسكرية مُحكمة ودائمة. وهكذا أصبحت غاليبولي مع مرور الزمن قاعدة مركزية لبسط النفوذ العثماني في شرق البحر المتوسط. انظر:

İdris Baostan, Osmanlı Bahriye Teşkilatı, XVII. Yüzyılda Tersane-i Amire, TTK Basımevi, Ankara 1992, s. 14.

(1) Afet İnan, Piri Reis'in Hayatı ve Eserleri, Ankara 1983, s.9; Fuad Ezgü, " Piri Reis ", İslam Ansiklopedisi, M.E.B, Ankara1964, c.IX, s. 561-165.

(2) انظر الخلاف في تسميته في:

Bursali Mehmet Tahir, *Osmanlı Müellifler*, İstanbul 1342, c. III. S. 315, not: 05

رئيس[1]. وبفضله تعرّف بيري رئيس في مطلع شبابه على معظم

---

(1) من المعلوم أن بيري رئيس يتصل بالبحار التركي الشهير كمال رئيس بصلة قرابة. إلا أن الذين ترجموا لبيري رئيس اختلفوا في طبيعة هذه القرابة. فمن قائل أنه ابن أخي كمال رئيس، ومن قائل أنه ابن أخته. وسبب الخلاف يعود إلى التعارض الوارد في نسختين مختلفتين من **كتاب بحرية**. ففي أثناء حديثه عن حوادث سنة 927هـ/ 1521م صرّح بيري رئيس في إحدى تَيْنِكَ النسختين بأنه ابن أخي المرحوم الغازي كمال رئيس. بينما ورد في النسخة الثانية من نفس الكتاب، والمنشورة مع كتاب «**سجل عثماني**» بأنه ابن أخت الغازي كمال رئيس. ولعل هذا الخلاف يعود إلى سهو وقع من بعض النساخ، فنقل عنهم من جاء بعدهم هذا الخطأ. وكيفما كان الاختلاف في قرابة بيري رئيس من كمال رئيس، فإننا نجد خيرالدين بربروس يشير في مذكراته إلى أن بيري رئيس كان ابن أخت كمال رئيس. ومعلوم أن بيري=

= رئيس لازم خيرالدين بعد وفاة كمال رئيس، وأرسله هذا الأخير من تونس على رأس أول وفد لمقابلة السلطان سليم الأول بعد رجوعه من مصر. فكان خيرالدين بربروس بذلك من أعرف الناس ببيري رئيس. فهذه الملازمة تجعلنا نرجح كون بيري رئيس ابن أخت كمال رئيس وليس ابن أخيه. عن الخلاف في اسم بيري رئيس، انظر:

Mine Esiner Özen, Piri Reis ve Müntahab-ı Kitab-ı Bahriye, “*Osmanlı Bilim Araştırmaları*“, İstanbul 2006, sayı VII. C.2, s. 120-128.

أما عن السفارة التي قام بها بيري رئيس إلى استانبول مبعوثا من طرف بربروس، والظروف التي أحاطت بها فانظر: **مذكرات خيرالدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر، الجزائر 2010، ص 62– 63.

سواحل وموانئ شرق البحر المتوسط[1].

وفي سنة 1495 طلب السلطان العثماني بايزيد الثاني من كمال رئيس أن يلتحق بالأسطول العثماني، لكي يساهم في تقويته وتدعيمه بخبرته الطويلة. فاستجاب هذا الأخير للأمر السلطاني، وصار منذ ذلك التاريخ أحد كبار قادة البحرية العثمانية[2].

---

(1) Piri Reis, *Kitab-ı Bahriye*, Baskıya hazırlayan Yavuz Senemoğlu, Tercüman 1001 Temel eser yayınları, İstanbul 1973, s.27

(2) كان سبب طلب السلطان بايزيد الثاني من كمال رئيس أن يلتحق بخدمة الأسطول العثماني، بناء على رسالة الاستغاثة التي بعث بها أهالي الأندلس إلى السلطان العثماني يستنجدون به لحمايتهم مما يتعرضون له من ضغط وإرهاب مسيحي، وذلك بعد سقوط غرناطة. فكلف السلطان كمال رئيس بالضغط على الإسبان بالإغارة على السواحل التابعة لإسبانيا. فقام هذا الأخير بإحراق وتخريب السواحل الإسبانية والإيطالية وجنوب فرنسا وسردونيا وكورسيكا ومالطا وغيرها. وقام خلال ذلك بنقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى الأراضي العثمانية في الأناضول، حيث تمّ=

= توطينهم هناك وإعفاؤهم من الضرائب لبضعة أعوام ريثما يتمكنون من استجماع أمرهم والتأقلم مع الوضع الجديد. ثم كرر كمال رئيس الإغارة على سواحل إسبانيا في 1510 منطلقا من السواحل المغربية. وكان بيري رئيس مرافقا لكمال رئيس في هذه الحملة. للتوسع انظر: عبد الجليل التميمي، «**الدولة العثمانية، وقضية الموريسكيين**»، المجلة التاريخية المغربية، العددان : 23–24، زغوان/ تونس، ص 191؛ وانظر أيضا:

Süleyman Nutki, *Muharebat-ı Bahriye Osmaniyye* .Deniz

وفي 1499 خاض بيري رئيس أول معركة بحرية، وذلك أثناء الحرب التي وقعت بين الدولة العثمانية وجمهورية البندقية، حيث كان بيري رئيس قائدًا لسفينة حربية أثناء تلك الحرب.

كما صرّح بيري رئيس بأنه اشترك في فتح «**إينه بخت İnebaht**» التي تعرف عند الباحثين العرب والغربيين باسم: **ليبانت** أو **ليبانتو**. وفي السنة الموالية اشترك في معركة ضد البنادقة في سواحل **نَفَارين Nevarin**، حيث ذكر أنه كان خلالها قائدا لسفينة حربية. وفي سنة 1504م اشترك مع كمال رئيس في إنزال بحري في جزيرة رودس، وقام بعدة حملات على الجزر التابعة لها. وفي 1511 بينما كان كمال رئيس يهمّ بالتوجه إلى رودس للإغارة عليها، إذ هبّت عاصفة بحرية شديدة أدّت إلى إغراق سفينة كمال رئيس ووفاة هذا الأخير[1].

تأثر بيري رئيس بفقدان خاله كمال رئيس الذي كان معلمه وملهمه الأول في علوم البحار، فانزوى في غاليبولي حتى سنة 1513م. وهناك قام بتدوين مشاهداته وملاحظاته، وكذا المعلومات التي قام بجمعها خلال عمله في البحر إلى جانب خاله كمال رئيس. كما قام برسم خريطة

Kuvvetleri kumutanlığı. İstanbul 1891; s.19-23 .İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, TTk. Ankara 1988 . II.s200

(1) Özen, s. 120- 128.

العالم أثناء إقامته في غاليبولي[1].

لم ينقطع بيري رئيس عن العمل في البحر بسبب وفاة خاله كمال رئيس؛ بل سرعان ما التحق بخيرالدين بربروس الذي وصل إلى سواحل غرب البحر المتوسط في حدود سنة 1512[2]. وأصبح أحد قادة وحداته المقربين منه[3].

خلال عمل بيري رئيس إلى جانب خاله كمال رئيس أو إلى جانب خيرالدين بربروس تعرف على الجزائر بشكل دقيق. وأثناء ذلك انشغل لفترة طويلة بنقل المهاجرين الأندلسيين إلى سواحل شمال إفريقيا. إن هذه المهمة لم تكن مهمة سياحية سهلة. بل كانت محفوفة بالمخاطر. إذ

---

(1) تعتبر الخريطة التي رسمها قام بيري رئيس أول خريطة كاملة للعالم وصلت إلينا حتى الآن. وتوجد حاليا في مكتبة متحف طوب قابي سرايي بإستانبول، وفق البيانات التالية:

Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi, Revan 1633

(2) عن ظروف التحاق الإخوة بربروس إلى سواحل غرب البحر المتوسط، انظر مقالتنا: الوجود العثماني في غرب البحر المتوسط وظهور الإخوة بربروس، الملتقى الوطني الأول حول: **التنافس العثماني ـ الإسباني في غرب البحر المتوسط ودور القوى البحرية الجزائرية فيه**، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر 09-10 نوفمبر 2010، ص 01-07.

(3) كاتب جلبي، ص 29؛ علي رضا سيفي، تحركات بحرية، إستانبول 1928، ص، 22.

كثيرا ما تخلل نقل المهاجرين اشتباكات مع الإسبان في سواحل إسبانيا أو سواحل شمال إفريقيا أو في عرض البحر[1].

هذ؛ وقد أكّد كاتب جلبي ما أشار إليه خيرالدين بربروس في مذكراته[2]، من أنه أرسل بيري رئيس إلى إستانبول يقود أربع سفن محّملة بأعمدة من أجواد أنواع الخشب لصناعة صواري السفن الشراعية، كان خيرالدين قد غنمها في إحدى غاراته على شبه جزيرة صقلية[3]. فكافأه السلطان وأخاه على ذلك بسيفين مرصّعيْن بالماس؛ بالإضافة إلى سفينتين حربيتين محمّلتين بالمعدّات العسكرية[4].

وخلال وجود السلطان سليم الأول (1512– 1520) في مصر، على إثر حملته عليها سنة 1517، أهدى إليه بيري رئيس خريطة العالم التي قام برسمها في غاليبولي[5]. فاحتفى بها السلطان كثيرا، الأمر الذي

---

(1) من مقدمة محمد أوندر لكتاب بحرية، ص 04.

(2) بربروس، المذكرات، ص، 62–63؛ كاتب جلبي، ص 29.

(3) المصدر السابق، ص 62–63؛ وانظر أيضا: كاتب جلبي، ص 28.

(4) المصدر السابق، ص 62– 62؛ وانظر أيضا: كاتب جلبي، ص 29؛ سيفي، ص، 22.

(5) يعتقد الباحث التركي حسين **يُورْدَايْدِين Hüseyin Yurdaydın** أن هذه الخريطة، هي منسوخة عن خريطة مفقودة قام كريستوف كولومبس برسمها سنة 1489. وهي تعكس المتابعة الدقيقة لبيري رئيس لحركة الكشوف الجغرافية، وما استلزمته من رسم خرائط جديدة للطرق البحرية الجديدة.

حفّز بيري رئيس على التفكير في تدوين كتابه الشهير: «**كتاب بحرية**».

ويُذكَرُ أن بيري رئيس كان قد رافق السلطان سليماً الأول في حملته على مصر، وقام خلال سنتي 1516- 1517 برسم خريطة لضفاف نهر النيل أثناء توجهه إلى القاهرة عبر النهر.

وبعد الحملة العثمانية على مصر، عاد بيري رئيس إلى غاليبولي. وهناك قام بترتيب ما جمعه من معلومات، وما دوّنه من ملاحظات ورسمَه من خرائط في كتابه المشار إليه آنفا. فلم تأت سنة 1521 حتى كان قد فرغ من إعداد مسودة الكتاب[1]. هذه المسودة تم نسخها من طرف زملاء بيري رئيس، وتناقلتها أيدي النُّسَّاخ. وأصبحت مرجعا للملاحين والجغرافيين والمهتمين بعلوم البحر والطرق البحرية لفترة طويلة. ويعتقد اليوم أن عدد المخطوطات المنسوخة عن النسخة المسودة للكتاب تبلغ 43 نسخة متناثرة في مختلف مكتبات العالم.

في سنة 1524 أرسل السلطان سليمان القانوني، الوزير الأعظم إبراهيم باشا، لحلّ الخلافات التي نشبت بين كبار مسؤولي الإدارة العثمانية في مصر. فرافقه في هذه الرّحلة بيري رئيس باعتباره عارفا بطرق الملاحة البحرية. إلا أن الرّحلة أعيقت بسبب هبوب عواصف

للتوسع، انظر:

Hüseyin G. Yurdayıdn, *Türkiye Tarihi,* 2/249-262

(1) .Özen, age, s. 121- 128

بحرية شديدة أجبرت الأسطول العثماني على الرّسوّ في جزيرة رودس. وخلال هذه الرّحلة تعرّف إبراهيم باشا على بيري رئيس عن قرب وأدرك مواهبه العلمية. ولما لاحظ الباشا أن بيري رئيس يعكف على مراجعة ملاحظاته التي دوّنها في دفتره الخاصّ حول تطوّر العواصف البحرية، طلب منه أن يعرضها عليه. فلما اطّلع عليها أعجب بها، واقترح عليه أن يقوم بجمعها في كتاب، فإذا فرغ منه قدّمه هدية للسلطان سليمان القانوني. على إثر ذلك قام بيري رئيس بترتيب كتابه وتنظيمه سنة 1526م، وأهداه إلى السلطان سليمان القانوني بواسطة الصدر الأعظم إبراهيم باشا[1]. بهذا التصحيح يكون بيري رئيس قد قام بتنظيم وترتيب كتابه للمرة الثانية، بعد النسخة التي سبق أن قام بتسويدها في غاليبولي سنة 1521م[2]. وفي هذا الكتاب تحدّث بيري رئيس عن غزوات كمال رئيس في البحر، والعواصف البحرية وأوقات هبوبها واتجاهها. كما تحدّث عن البوصلة والخرائط البحرية وأوصاف البحار والمضائق المائية وغير ذلك مما له علاقة بعلوم البحار التي كانت

---

(1) Özen, s.121.

(2) المرجع السابق، ص 121. ومن المهم في هذه الصدد التذكير أن بيري رئيس قد قام برسم خريطة أخرى للعام سنة 1528، أكثر تفصيلا من سابقتها. حيث ترى فيها بوضوح سواحل فلوريدا والباهاماس وكوبا وهايتي والهندوراس وغيرها. والخريطة المذكورة محفوظة في مكتبة متحف طوب قابي سرايي. انظر: Yurdayıdın, s. 249.

سائدة في عصره. كل ذلك أورده مجملا في 972 بيتا منظوما، ليختمه بواحد وتسعين بيتا من نظم البحار والشاعر سيد علي مرادي[1]، ألغز فيه تاريخ إنهائه للكتاب. وذلك في قوله[2]:

أنهيته فبلغت مرادي

وقلت تاريخه من فيض الهادي

إن ما يميز هذه النسخة من كتاب بحرية عن النسخة التي أعدها بيري رئيس سنة 1521م، أنه قام بتصحيحها واستدراك النقائص العلمية التي وجدت في النسخة السابقة. بالإضافة إلى تنظيم كتابه وفق منهج معين ذكره في مطلع كتابه.

هذا من الناحية المنهجية، أمّا من النّاحية الموضوعية فقد قام بيري رئيس بإعطاء معلومات مهمة عن الأقوام الذين كانوا يعيشون في السواحل والجزر والمناطق التي قام برسم خرائطها. كما أعطى معلومات نادرة جدًّا عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لهذه المناطق، وكذا ما تزخر به تلك المناطق من ثروات طبيعية وحيوانية

---

(1) يعتقد البعض بأن سيد علي مرادي قام بنظم كتاب بحرية في حدود سنة 1528. انظر: Yurdayıdın, s. 255. كما قام بنظم كتاب بحرية، مثلما نظم مذكرات خيرالدين بربروس. انظر:

Karatay, *Topkapı Saryı Müzesi Kütüphanesi Türkçe Yazmaları Kataolğu,* No: 1336

(2) لمزيد من المعلومات عن المنظومات التي كتبت عن كتاب بحرية، انظر:

Afet İnan, *Piri Reis'in Hayatı ve Eserleri,* Ankara 1983, TTK Basımevi, s.18.

ونباتية ومائية. بالإضافة إلى معلومات تاريخية ودينية وأسطورية تخص أهالي تلك المناطق.

وعندما قوبل كتاب بيري رئيس بالتقدير من طرف القانوني، قام بيري رئيس برسم خريطة أخرى للعالم سنة 1528م. ويعتقد أن خريطة العالم المحفوظة حاليًا بمكتبة متحف **طوب قابي سرايي Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi** بإستانبول ليست سوى القطعة الباقية من تلك الخريطة[1].

بعد هذ التاريخ لا نجد في المصادر التي تحدثت عن بيري رئيس ما يشير إلى الأعمال التي قام بها، عدا تلك التي تشير إلى أنه تم تعيينه سنة 1547 قائدًا للأسطول العثماني في المحيط الهندي أو بحر الهند كما كان يعرف في ذلك العصر[2]. كما ورد أنه تمكن من الاستيلاء على عدن 1549م[3]، ثمّ استولى بعد ذلك على مسقط وحاصر قلعة هرمز، غير أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها.

ويبدو أن الانتصارات التي حققها بيري رئيس أثارت حفيظة والي البصرة **قوباض باشا Kubad Paşa**، ووالي مصر البيلرباي داود باشا. الأمر الذي دفعهما إلى إيغار صدر السلطان سليمان القانوني على بيري

(1) الخريطة محفوظة في مكتبة متحف طوب قابي سرايي، تحت رقم: 1824.

(2) Orhonlu, *Hint KaptanlığıvePiri Reis, Belleten,* c. 34, Ankara 1970.

(3) نفسه، 235.

رئيس برسائل تحريضية، أفضت في نهاية الأمر إلى إصدار السلطان قرارًا بإعدامه. فتمّ تنفيذ ذلك في حقه بمصر سنة 1554م.

«كتاب بحرية»

الموضوع والأهمية

اسم الكتاب وموضوعه

اختار المؤلف اسم: «**كتاب بحرية**»، هكذا وردت تسميته في اللغة التركية التي كانت تكتب بالحروف العربية وتنطق وفق قواعد الفارسية. ويكون معناه بالعربية: «**كتاب البحرية**».

ومن خلال عنوانه، وما صرّح به المؤلّف في مقدمة الكتاب بعدما حمد الله فيها، وصلّى على النّبي ﷺ، ودعا للسلطان سليمان خان بالنصر له ولأولاده بالصحة والعافية، وللدولة العثمانية بالدوام إلى يوم الدين. شرع في الحديث عن موضوع الكتاب بشكل مباشر. فخصص مئة صفحة الأولى من كتابه -والتي صاغها نظما- للحديث عن اتجاه الرياح والعواصف، وتعريف البوصلة والخرائط وكذا مفتاح الخريطة. بالإضافة الحديث عن بحر الصين والمحيط الهندي والأطلسي، كما تطرّق بشكل مقتضب إلى سبب الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون، وأهم الحملات التي قاموا بها في البحار الواقعة في مجال كشوفاتهم الجغرافية.

وعندما شرع في إعطاء التفاصيل الجغرافية والوصفية للمناطق التي أراد التحدث عنها في كتابه تحول إلى النثر، تفاديا للإطالة حسبما أوضح

ذلك في مقدمة الكتاب[1]. فشرع في الحديث عن المناطق الساحلية الشرقية كالخليج العربي وسواحل شرق إفريقيا، ثمّ عرّج إلى الحديث عن سواحل المحيط الأطلسي الشرقية وغرب إفريقيا، ومن هناك انتقل إلى الحديث عن بحر إيجة وجُزُره وقلاعه وحصونه.

وتحدّث أيضا عن بحر الأدرياتيك، فذكر مختلف الجزر الموجودة فيه، وكذلك سواحله وحصونه؛ سواء تلك التي كانت خاضعة للدولة العثمانية أو التابعة للبندقية أو البابوية أو غيرهما، ثمّ انتقل في القسم الثاني من الكتاب إلى الحديث عن سواحل البحر المتوسط مثل سواحل فرنسا وإسبانيا والمغرب العربي ومصر وبلاد الشام والسواحل الجنوبية للأناضول لينتهي إلى سواحل وجزر بحر إيجة.

سبب تأليف الكتاب

بيّن المؤلّف في مقدمة كتابه سبب تأليفه لهذا الكتاب عندما أشار إلى أنّه كتبه لكي يتحف به السلطان سليمان القانوني[2]. وعلل ذلك بأن كتابا كهذا لم يسبق لأحد أن قام بتأليفه من قبل[3].

أهمية الكتاب

تكمن أهمية الكتاب في كونه اشتمل على معلومات مهمّة جدًّا تتعلّق

---

(1) انظر ص 27.

(2) *Kitab-ı Bahriye*, c.1, s. 27.

(3) نفسه، ص 27.

بعلوم البحار والجغرافية البحرية وعلم الخرائط والجغرافيا التاريخية، ومن ثمّ فإنّ هذا الكتاب يُعَدُّ مرجعا أساسيا للباحثين في تلك العلوم؛ فضلا عن قيمته التاريخية كمصدر أساسيٍّ للفترة التي عاصرها المؤلف أو التي سبقته؛ إذْ أنّه دوّن فيه مشاهداته وما قرأه أو سمعه من البحارة الذين عمل معهم، وعلى رأسهم كمال رئيس. إضافة إلى استفادته من مصادر أخرى بلغات مختلفة لم تصل إلينا.

وزيادة على ذلك، فإن هذا الكتاب يعتبر دليلاً مرشدًا للبحّارة والملّاحين الذين يهمهم كثيرا معرفة اتجاهات الرياح وسرعتها وسير العواصف وأوقات هبوب العواصف، والموانئ التي يمكن اللجوء إليها عند الضرورة. وكذا مواقع النجوم التي يهتدون بها في عرض البحر في ذلك العصر[1].

ولأنّ الكتاب اشتمل على حوالي 290 خريطة مفصّلة عن مختلف المناطق التي ورد ذكرها في الكتاب، فإنّه بذلك تتضاعف أهميته كمرجع مهم للجغرافيا البحرية والتاريخية وعلم الخرائط، وتاريخ البحر المتوسط والعلاقات بين ضفّتي المتوسّط وتاريخ المدن الساحلية، والموانئ والحروب البحرية وتاريخ التجارة البحرية والقرصنة، وما إلى ذلك مما يتعلق بالبحار وتاريخها. فهو بذلك لا يهم الباحث المهتم بالدراسات العثمانية فحسب؛ بل يهمّ جلّ الباحثين المهتمين بالدراسات المتوسطية

(1) Yurdaydın, s. 253.

خلال المرحلة التي ألف فيها الكتاب.

أهم محتويات الكتاب ومنهج المؤلف في ترتيبه

يتكون الكتاب من مقدمة وقسمين رئيسيين وخاتمة.

في المقدمة بيّن فيها المؤلف سبب تأليفه للكتاب وموضوعه والمنهج الذي سلكه في تأليف الكتاب، معتذرًا في الأخير عن أوجه القصور التي قد تلاحظ فيه.

في القسم الأول: بالإضافة إلى تناوله للمباحث الأولية التي أشرنا إلينا آنفًا، أعطى معلومات دقيقة عن السفن والعواصف والرياح وأسماء النّجوم والخرائط ومفاتيحها. كما أعطى معلومات مهمة عن البحار والمحيطات، كالمحيط الهندي الذي سماه بحر الهند، وبحر الصين والخليج العربي الذي سماه خليج العجم، وسواحل إفريقيا الشرقية التي سماها البحر الزنجي، وكذا السواحل الشرقية للمحيط الأطلسي المطلة على إفريقيا الغربية الذي سماه بحر المغرب، وأيضا جزر الأنتيل التي سماها بحر الأنتيل. وتحدّث أيضًا بشكل مختصر عن الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون ودوافعها. كل ذلك ذكره نظمًا. وبعدما فرغ من ذلك انتقل إلى الحديث بطريقة نثرية عن تفاصيل المواقع التي حدّدها ورسم لكلّ منها خريطة مفصّلة.

ويجب التّنويه هنا بأنّ المباحث التي تطرّق إليها الكتاب تُعدُّ في غاية الأهمية، ولا يمكن الترجيح بينها لكون كلٍّ منها يعالج منطقة أو

موضوعًا معيّنًا يهمّ الباحثين من مختلف التخصصات في مجالات متنوعة، إلّا أنّه بالنسبة للمهتمين بالدراسات التاريخية الخاصة بالمنطقة العربية في العصر الحديث، يمكن الإشارة إلى مجموعة من المباحث ذات العلاقة المباشرة بالولايات العربية في العصر العثماني. ومن هذه الموضوعات:

- ❑ سبب الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون.
- ❑ بحر الحبشة (القرن الإفريقي).
- ❑ حملات البرتغاليين ونشاطهم في عرض المحيط.
- ❑ بحر الهند.
- ❑ خليج العجم (يعني به الخليج العربي).
- ❑ بحر درموز (بالنّظر إلى محتوى النّص نجده يقصد سواحل شرق إفريقيا والقرن الإفريقي).
- ❑ سواحل مقديشو (الصومال).
- ❑ سواحل البحر الزنجي (يقصد به سواحل شرق أفريقيا الوسطى).
- ❑ جزر قامور (لعله يقصد جزر القمر) بالنظر إلى اسم الجزر، بالإضافة إلى أن بعض أهلها يقولون بأنّهم من أصول عربية حسبما ذكر بيري رئيس.
- ❑ بحر المغرب. بالنظر إلى المحتوى نجده لا يقصد به المغرب العربي أو المغرب الأقصى، بل يعني به المحيط الأطلسي وسواحل غرب إفريقيا.

- منتوجات بحر المغرب وغرائبه.
- موقع بحر الأنتيل.
- حصون سلطانية.
- مدينة سلانيك وسواحلها، والموانئ المحيطة بها.
- جزيرة أَغْرِيبُوزْ **Ağriboz**.
- جزيرة مِيدِيللي **Midilli**.
- حصون فُوچـة **Foça** وسواحل إزمير.
- جزيرة صَاقِزْ **Sakız Adası**.
- جزيرة إِسْبَرْطة **İsparta**.
- جزيرة رودوس.
- خليج البندقية وحصونه والجزر المتناثرة فيه.
- الحصون والقلاع التي كانت تابعة للبابوية.

أما القسم الثاني من الكتاب، فقد احتوى على الشطر الأهم من الموضوعات المتعلقة بشكل مباشر بالأحداث التي عاشتها المدن الساحلية التي كانت تابعة للدولة العثمانية أو كانت ذات صلة بها، مما كان واقعا في الأناضول أو الروملي. وفي ذلك كلها ذكر المؤلف معلومات في غاية الأهمية تخص كلا من رودس ومالطا وصقلية وكورسيكا وبيزا وجينوة ومارسيليا. بالإضافة إلى السواحل العربية في المغرب والمشرق، وذلك على النحو التالي:

- حصون شبه جزيرة غاليبولي.

- جزيرة صقلية.
- جزيرة مالطا.
- سردينيا.
- جزيرة كورسيكا.
- سواحل روما.
- مدينة بيزة.
- سواحل جنوة.
- مدينة نيس وما جاورها من المدن.
- مدينة مارسيليا والمناطق المجاورة لها.
- مدينة بلنسية وبرشلونة وسواحلها.
- سواحل قرطاجة وبلنسية.
- مدينة غرناطة وحصون مالقة والمرية وسواحلهما.
- مدينة جبل الفتح (جبل طارق) والمدن المجاورة لها والقريبة منها.
- قلعة سبتة.
- حصون تيطوان وباديس.
- حصون مليلة وهنين.
- المرسى الكبير ومدينة وهران.

- حصون بيرشك وشرشال.
- حصون الجزائر ودلس.
- مدينة بجاية وقلعة بجاية.
- قلعة بلد العُنَّاب.
- قلعة بنزرت.
- مدينة تونس.
- حصون وموانئ الحمامات، سوسة، المنستير.
- حصون المهدية وصفاقس.
- جزيرة جربة.
- طرابلس الغرب.
- السواحل القريبة من قرى مسلتة.
- خليج مصراتة.
- ميناء رأس ستين.
- سواحل سلّوم.
- مدينة الإسكندرية.
- ميناء أبو قير.
- سواحل النيل.
- رشيد.

- دمياط.
- غزة والرملة.
- عكّا.
- صور.
- بيروت.
- طرابلس الشام.
- مدينة اللاذقية.
- سواحل إسكندرون.
- سواحل طرسوس.
- جزيرة قبرص.
- جزيرة كربة.
- جزيرة كريت.

وفي **خاتمة** الكتاب أورد المؤلف عدة أبيات ختم بها كتابه ألغز فيها تاريخ تأليفه له، بقوله:

أنهيته فبلغت مرادي

وقلت تاريخه من فيض الهادي

نسخه المخطوطة وأماكن وجودها

توجد نسخ عديدة لـ: «**كتاب بحرية**» في مختلف مكتبات أوربا. مثل

مكتبة جامعة بولونيا، والمكتبة الوطنية بفيينا، ومكتبة باريس الوطنية، ومكتبة لندن وأكسفورد وغيرها. أما النسخة الأصلية فهي محفوظة في طوب قابي سرايي. كما توجد له نسخ متعددة في مكتبة نور عثمانية والسليمانية بإستانبول.

أما النسخة الثانية للكتاب -أي النسخة المصححة التي أهديت للسلطان سليمان القانوني-، فإنها توجد بإستانبول. في مكتبات طوب قابي سرايي، ومكتبة كوبرولو زادة فاضل أحمد باشا، والسليمانية. كما توجد للكتاب نسخة في مكتبة باريس الوطنية.

هذا وقد كانت الدراسات والأبحاث التي أجريت حول بيري رئيس ومصنفه «**كتاب بحرية**» قد توصلت منذ 1998 إلى عدد النسخ المخطوطة للكتاب المذكور، والمتواجدة في مختلف مكتبات ومتاحف تركيا وخارجها، وهي 28 نسخة[1]. بينما أشارت دراسات أخرى أجريت بعد هذا التاريخ إلى قائمة مفصّلة من نسخ الكتاب المتناثرة في مختلف مكتبات العالم، والتي بلغت 38 نسخة[2]. وحسب القائمة التي أعدّها الباحث التركي **أَسِينَارْ أُوزَانْ Esiner Özen**، فإن عدد النسخ المخطوطة لكتاب بحرية بلغت 42 نسخة[3]. منها 26 مخطوطة تخصّ النسخة الأولى التي أعدّها بيري رئيس سنة 1521 أي النسخة المسودة.

---

(1) Özen, s.124

(2) نفسه، ص 124.

(3) M. Esiner Özen, *Piri Reis and his Charts*, Istanbul 1998, s.20-22.

ومن هذه النسخ توجد لها 16 مخطوطة منسوخة عنها في مكتبات تركيا، و10 نسخ أخرىٰ في مختلف المكتبات خارج تركيا. أما النسخة التي أعدّها بيري رئيس سنة 1526، فقد بلغ عدد نسخها المخطوطة 16 نسخة. منها: 10 في مكتبات ومتاحف تركيا، و10 نسخ مخطوطة توجد في مكتبات خارج تركيا[1].

ولا جدال في الأهمية العلمية لكتاب بحرية، غير أنّ ثمّة ملاحظات منهجية يجب التنويه بها في هذه الدراسة. منها علىٰ سبيل المثال:

1. الكتاب صيغ بلغة سهلة سواء في الشطر الذي كتب نظمًا أو الذي كتب نثرًا. وهذا ينمّ عن قدرة لغوية كبيرة امتاز بها المؤلف، بالإضافة إلىٰ المعلومات القيمة والنادرة التي اشتمل عليها الكتاب.

2. علىٰ عادة المؤلفين في عصر المؤلف، لم يذكر المؤلف مصادره التي اعتمد عليها سواء في رسم خرائطه بالنسبة للمناطق التي لم يشاهدها، أو بالنسبة للمعلومات السياسية أو الاقتصادية الخاصة بالمناطق التي تحدث عنها. وهذا -للأسف- يُصعِّب علىٰ الباحث مهمة توثيق المعلومات التي وردت في الكتاب.

3. لم يُذَيِّل المؤلف الكتاب بفهرس تفصيلي للمحتويات. الأمر الذي يَضطرُّ القارئ إلىٰ تصفُّح كلّ عناوين الكتاب صفحة صفحة لكي يتأكد من وجود الجزيرة أو الساحل أو القلعة التي تحدث عنها المؤلف.

---

(1) عن تفاصيل النسخ المخطوطة للكتاب، انظر: المرجع السابق، ص 124.

وللأسف حتى الطبعة الحديثة للكتاب لم تُذَيَّل بفهرس تفصيلي يسهل مهمة القارئ والباحث. لهذا استهلكت ساعات عديدة في تصفح الكتاب لكي أقوم بترجمة محتوياته.

السواحل الجزائرية في «كتاب بحرية»

خصص بيري رئيس للسواحل الجزائر فصولاً مهمّة من كتابه، وذلك على غرار شرحه لبقية السواحل المتوسطية. فابتدأ بالسواحل الغربية بعدما فرغ من شرح سواحل جنوب إسبانيا وشمال المغرب. فتحدث عن مرسى هنين والمرسى الكبير ووهران وتنس شرشال والجزائر ودلس وبجاية وجيجل وعنابة. كما رسم خرائط في غاية الأهمية لتلك السواحل، مبينا فيها الجزر والخلجان والحصون والقلاع والأبراج والوديان وآبار المياه.

كما بيّن في بعض تلك الخرائط المدن الآهلة بالسكان والتي هجرها أهلها واصفا إياها بأنّها كانت «خرابا» حسب تعبيره. كما بيَّن في بعض المواضع من خرائطه الحصون التي كانت تستعمل كقواعد للقراصنة. فضلا عن ذِكْرِه بشكل مقتضب لبعض الأحداث التاريخية التي عاشتها السواحل التي قام برسم خرائط لها. والمميز في المعلومات التي يوردها بيري رئيس في كتابه، أنها قلّما توجد في كتب التاريخ التقليدية التي أَرَّخَتْ للمنطقة. وهذا ما يعطي لكتابه أهمية أكثر خصوصية.

وأما الخرائط التي رسمها، فلا تقلّ أهمية عن المعلومات التي أوردها. وذلك بالنّظر إلى كون الكثير من تلك المواقع انْدَرَسَتْ ولم يعد لها وجود بسبب التغيّر العمراني الذي طرأ على المنطقة. فلو لم تُذْكَرْ تلك المعالم في خرائط بيري رئيس لما استطاع الباحث التعرف عليها اليوم، حتى وإن أشار إليها بعض الرحالة في مصنفاتهم.

نصوص نموذجية عن الجزائر مترجمة من «كتاب بحرية»:

هذا الفصل يبيّن حصون مليلة وهنين الواقعة في نواحي المغرب

«... هنين حصن يقع على رأس ممتد في البحر يقع شمال الساحل. وتمثل الجزيرة الواقعة شرق القلعة مرساً مناسبًا لرسوِّ السفن. وهناك في مرسى بالامار Palamar ترسو السفن الإسبانية التي تقوم بقصف مرسى هنين. وعندما يحتاج الإسبان إلى ماء الشرب، فإنهم يتزودون من المياه الجارية في جزيرة أَرْكَاكُونْ Arkakon الواقعة في الناحية الشرقية من هنين. وعلى مقربة من المياه الجارية توجد قلعة سَرِيكْ Serik التي يسميها العرب: «قلعة الأسد». وعلى الجنوب الشرقي من «قلعة الأسد» يوجد «رأس التين» الذي يسميه البحارة الإفرنج «كَاوْفِيغْ أَلُو KAV.FİG.ALO»(1). وتدعى الجزيرة الواقعة على شرق هذا الرأس «جزيرة أَرْزْقُول Erzkül» والتي تعدّ مرساً جيدا للسفن التي ترسو بسواحل المغرب. وأما النواحي الشمالية فهي منطقة صخرية.

---

(1) هكذا وردت في كتاب بحرية، وقد قمت بتهجئتها باللغة التركية الحديثة كما وردت في الأصل لتسهيل قراءتها. وأشار الدكتور أرزقي شويتام أثناء مراجعته للكتاب بأن هذا الرأس يعرف باسم: Cap Figues، فله مني شكر خاص على هذه الملاحظة.

وعلى الشرق تقع «جزيرة جَيِبَة **Ceyibe**» التي ترتبط بسواحل المغرب بواسطة رأس صخري ممتد في البحر، إلّا أنّ هذه المنطقة تزدحم بزوارق الكفار التي تجوب الساحل تترصد الزوارق العربية.

وبالإضافة إلى هاتين الجزيرتين، توجد جزيرة أخرى تدعى «جزيرة هِيرْشَة **Hirşe**» التي يقع رأس «كَاوْ فِيغْ أَلُو **KAV.FİG.ALO**» في الناحية الجنوبية الشرقية منها. وعلى مسافة عشرين ميلا من جهة القبلة يوجد المرسى الكبير»[1]. والسلام.

(1) بيري رئيس، ص 155.

هذا الفصل يبيّن المرسى الكبير ومرسى وهران الواقعين في سواحل المغرب

يقع المرسى الكبير في الشمال الشرقي من سواحل المغرب، ويتميز بكونه ميناءًا طبيعيًا واسعًا. ويعدّ المرسى الكبير أشهر موانئ بلاد المغرب. وفي الناحية الشمالية منه توجد «قلعة المرسى الكبير» التي كانت بيد العرب. وأما اليوم فقد استولى عليها كفار إسبانيا.

يوجد ميناء قريب من وهران لكون ساحلها مفتوحا. إلّا أنّ السّفن ترسو فيه في فصل الصيف. وعلى الناحية الشرقية من المدينة توجد مجموعة من الكتل الصخرية تدعى: «سُوفْ بِيَا فرعون SUV.BEA FERAVUN». وهذه الصخور تقع بمحاذاة رأس ممتد في البحر. ومن ناحية البرّ المقابل للكتل الصخرية والرأس المذكور يوجد ميناء واسع يدعى: «مرسى بني زيان». هذا المرسى يمتد في الناحية الشرقية. وفي القسم الداخلي من الخليج توجد قلعة خربة تدعى: «قلعة بني زيان».

وأمام القلعة يوجد واديان يجريان. أحدهما على الغرب، والآخر على الشمال الشرقي من القلعة. وهذان الواديان يسميان بـ«وادي الشلف». وقد جُعِل على كل ضفة من ضفتي الوادي ناعورة لسحب المياه. ولكي لا تتعرض الناعورتان لهجوم الكفار أثناء الليل، أحيطت كل منهما بسور لحمايتها»[1].

فليعلم ذلك والسلام

---

(1) بيري رئيس، كتاب بحرية، ص 156.

في هذا الفصل نبيّن حصون الجزائر ودلس الواقعة في نواحي المغرب

«الجزائر قلعة تأسست على منحدر يقع في الناحية المقابلة لطلوع الشمس، وتتشكل من ثلاثة أقسام: قسم منها يقع على ساحل البحر، وقسم آخر يقع على منحدر الجبل، بينما يقع الشطر الأخير منها على أرض سهلية.

وكان يقيم في هذه القلعة أروج رئيس[1] الذي قدم مع أخيه خيرالدين رئيس من بلاد الروم[2]. وفي الساحل المقابل للقلعة توجد جزيرة صغيرة تبعد عن القلعة رمية سهم.

وعندما بلغ العبد الفقير[3] تلك الديار كان البحارة العرب قد أقاموا برجا للمراقبة على تلك الجزيرة، وجعلوا منه قاعدة لهم. ثم استولى كفار إسبانيا على ذلك البرج، وقاموا بتحويله إلى قلعة حصينة، شحنوها بالرجال والمدافع. والآن كل يوم تجري معارك بين أهالي الجزائر والجنود

---

(1) يقصد عروج أخو خيرالدين بربروس.

(2) بلاد الروم: هو التسمية التي كانت تطلق على الأناضول في المصادر التاريخية الإسلامية التقليدية. وفي الوثائق العثمانية يطلق اسم بلاد الروم أو الروم في ولاية سيواس التركية الواقعة وسط الأناضول اليوم. فليتنبه لذلك منعا للبس.

(3) يقصد نفسه.

الإسبان المتحصنين في تلك القلعة.

ويفصل قلعة الجزائر عن الجزيرة مضيق ضَحْلٌ يمكن للمرء أن يقطعه مشيا. فكان من يقصد الجزائر يرسو بسفينته أو زورقه في تلك الجزيرة التي تقع شمال القلعة.

وعلى مسافة أربعة وخمسين ميلا شمال شرق هذه الجزيرة تقع قلعة دلس التي أسست على رأس شديد الانحدار. في البداية كانت هذه القلعة خاضعة لسلطان بجاية. وعندما استولى الكفار على بجاية ساءت أوضاع قلعة دلس، فاضطر زعماؤها إلى إعلان تبعيتهم لأروج رئيس. وتبعد بجاية ستين ميلا شرق قلعة دلس»[1].

---

(1) بيري رئيس، **كتاب بحرية**، ص 161.



الفصل الثاني

مذكرات خيرالدين بربروس[1]

إملاء : خيرالدين بربروس

تأليف: سيد علي مرادي

---

(1) مداخلة ألقيت في المؤتمر الدولي حول «**الجزائر والعالم العثماني**» الذي نظمته جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة في الفترة 28– 30 نوفمبر 2010.

تمهيد

تعدّ مذكرات خيرالدين بربروس أحد المصادر التركية البالغة الأهمية التي تؤرّخ للمرحلة الأولى من الوجود العثماني في الجزائر وغيرها من سواحل شمال إفريقيا. وقد أملاها خيرالدين بربروس بناء على أمر من السلطان سليمان القانوني، الذي رغب في أن يكتب له خيرالدين كتابا يشرح له فيه تفاصيل نشاطه البحري منذ خروجه هو وأخوه أُرُوجْ رئيس[1] من مسقط رأسه بجزيرة مِيدِلِّي **Midilli** إلى أن تمكن من إعادة فتح الجزائر وطرد الإسبان منها، وتأسيسه لدولة موحدة عاصمتها مدينة الجزائر.

وتعتبر هذه المذكرات مصدرًا أساسيًا وأصليًا يؤرخ للنصف الأول من القرن 16 من تاريخ الجزائر، وذلك بالنّظر إلى كون الأحداث الواردة فيها شهادة حيّة لأحداث وقعت على سمع وبصر خيرالدين بربروس، عاشها بنفسه أو سمعها ممن شاهدها أو شارك فيها.

وقد أدرك المؤرخون والباحثون الأتراك والغربيون أهمية هذه المذكرات فقاموا بتهذيبها ونشرها، وترجمتها إلى مختلف اللغات الأوربية منذ القرن 18. إلّا أنّها ظلّت مجهولة لدى المؤرّخين العرب عامة

(1) هكذا يُعرف في كافة المصادر والمراجع التركية، بينما يعرف في المصادر العربية باسم «عَرُّوج».

والجزائريين خاصة، إلى أن يسّر الله للعبد الضعيف ترجمة نسختها المهذبة إلى اللغة العربية ونشرها في الجزائر عدة مرات اعتبارا من سنة 2010.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمذكرات، وبقيمتها العلمية، وكذا نسخها المخطوطة وأماكن وجودها. بالإضافة إلى التنويه بالدراسات التي أجريت حولها. لتُختم بعرض نص نموذجي مترجم من هذه المذكرات لتمكين القارئ من أخذ فكرة واضحة عن الأسلوب الذي أُلِّفت به هذه المذكرات.

التعريف بالبحار الغازي خيرالدين بربروس

اسمه: «**خضر**»، اشتهر بلقب «**بربروس**»[(1)]، أي ذو اللحية الشقراء. وأطلق عليه السلطان سليم الأول لقب «**خيرالدين**»[(2)]. ولد في حدود سنة 1472 بجزيرة ميديللي بعد أخيه أروج رئيس[(3)].

اشتغل بالتجارة في مطلع شبابه، إذ كان لديه سفينة يتاجر بها بين

---

(1) أطلق الغربيون هذا اللقب عليه وعلى أخيه أروج لشقرة لحيته. انظر:
İA,V.s.65.

(2) İA.V.s.65; Ziya Kaıicı, İslam *Tarihi, İstanbul*, 1997, XI.S.328; Uzunçarşılı,II,s.368.

(3) يوجد خلاف كبير في تاريخ ولادة خيرالدين. وما ذكرناه هنا هو التخمين الذي في ترجمة خيرالدين التي وردت في الموسوعة الإسلامية İA.V. s. 65.
ووردت تواريخ أخرى لميلاد الإخوة بربروس. انظر مثلا:
Kazıcı,age,XII.S.328.

سلانيك **Selanik** وأغريبوز **Ağriboz**. وبعد نجاة أخيه أروج رئيس من أسر فرسان رودس[1] لحق بأخيه أروج بتونس الذي كان قد سبقه إليها. وهناك اتفقا مع أميرها أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي على أن يمنحهما ميناء حلق الوادي ليجعلوا منه قاعدة لهما مقابل أن يدفعا له خمس الغنائم التي يحوزان عليها[2].

شرع خيرالدين في تنظيم غاراته على سواحل وسفن إسبانيا والبندقية وفرنسا والبابا وجنوة بالإضافة إلى تعرضه للسفن التجارية والحربية التابعة لكافة الدول الأوروبية التي لا تربطها معاهدة سلام مع الدولة العثمانية أو غيرها من الدول الإسلامية. فحاز من ذلك على غنائم هائلة، وأثار الرعب في سائر بلدان الساحل الجنوبي للبحر المتوسط.

اشترك مع أخيه في محاولات فتح بجاية في الكثير من غزواتهما المظفّرة. فكان بذلك مع أخيه واضع أسس بناء الدولة الجزائرية خلال الفترة، والتي قدر لها أن تعمر 300 سنة.

بايع أعيان الجزائر خيرالدين سلطانا عليهم بعد استشهاد أخيه

---

(1) ذكر الأستاذ ضياء قزيجي أن الأخوين أروج وخيرالدين دخلا في خدمة الشهزادة قرقود. غير أن الذي دلت عليه الحوادث هو أن أروج الذي دخل في خدمة الشهزادة المذكور. أما خيرالدين فقد التحق بأخيه في جربة. انظر: Kazıcı,XI.s.329 .

(2) Uzunçarşılı,II,s.364

أروج، إلّا أنّ الخطر الإسباني الذي كان يهدد الجزائر، جعله يقنع أعيان الجزائر بضرورة الاستعانة بالدولة العثمانية. فأرسل الأهالي سنة 1519[1] وفدا عنهم برئاسة حاجي حسين ممثّلًا لخيرالدين بربروس، بمعية الشيخ أبي العباس أحمد بن القاضي ممثّلًا عن أهالي مدينة الجزائر، وذلك لمقابلة السلطان سليم، طالبين منه حماية بلدهم بإلحاقها بالدولة العثمانية.

أحسن السلطان سليم استقبال الوفد، ووافق على طلب أعيان الجزائر، وأرسل مرسومًا سلطانيًا يؤكّد فيه قبوله لعرضهم، وموافقته على تعيين خيرالدين واليًا عامًّا للجزائر برتبة بايلرباي، بناء على رغبتهم، حسبما ورد في عريضتهم. وأرفق السلطان مرسومه بإرسال الخلعة السلطانية والراية العثمانية[2]. وأذن لخيرالدين بأن يجمع ما يشاء من

(1) انظر الوثيقة التي صورة من الرسالة التي بعث بها الاهالي الى السلطان سليم الاول في قسم الملاحق . وقد قام الدكتور عبد الجليل التميمي بنشرها في المجلة التاريخية المغربية في العدد 7 (1976) ص 95-101. تحت عنوان : «**رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول في 1519**». والوثيقة محفوظة في أرشيف قصر طوب قابي: Topkapı SarayıArşivi,NO:6456.

(2) عن الظروف التي أحاطت بإرسال وفد الجزائر إلى إستانبول، انظر: محمد دراج، «**تأسيس أيالة الجزائر**» محاضرة ألقيت بالمركز الوطني للأرشيف الجزائر، بتاريخ، 29/ 05/ 2011، وانظر أيضا: **مذكرات بربروس**، مصدر سابق، ص 96؛ وانظر أيضا:

Ahmed Akgündüz, ***Belgeler Gerçekleri Konuşuyor***,

المتطوعين من الأناضول.

وهكذا أصبحت الجزائر أيالة تابعة للدولة العثمانية، وقرئت الخطبة منذئذ باسم السلطان العثماني سليم الأول.

تصدىٰ خيرالدين للحملة العسكرية علىٰ الجزائر التي قادها ملك صقلية **هيكو دي مينكادا Hego de Mongada** في سنة 1519[1]. كما تمكن من الاستيلاء علىٰ مدينة القل وبونة (عنابة) وقسنطينة. لكنه اضطر إلىٰ مغادرة مدينة الجزائر بعد الثورة التي قادها ابن القاضي بتحريض من سلطان تونس سنة 1524م. فلجأ إلىٰ جيجل إلّا أنّه تمكّن من استعادة مدينة الجزائر مرّة أخرىٰ بعد ثلاث سنوات.

استطاع أن ينقذ 70.000 من المهاجرين الأندلسيين ، ونقلهم إلىٰ الجزائر. فازدهرت مدينة الجزائر بفضل مهارة الأندلسيين الذين نقلوا إليها فنونهم وصناعاتهم ، وبفضل الغنائم التي كانت تجنيها من غزوات البحر. كما تمكن خيرالدين بربروس من طرد الإسبان نهائيا من **قلعة البينيون Penou Kalesi** التي كانوا يحتلونها قبالة مدينة الجزائر، وذلك سنة 1529م.

في سنة 1534م عينه السلطان سليمان القانوني قبطان داريا ، وبيلرباي علىٰ الجزائر. فقام بإصلاح دار بناء السفن في إستانبول وأعدّ

İstanbul,sh,14-18.
(1) Uzunçarşılı,II.s.368.

أسطولاً كبيراً أغار بثمانين قطعة منه على **روجيو Reggio**، **وسبيرلونكا Sperlonga**، **وفودي Fodi**، وغيرها من المدن الممتدة على طول الساحل الإيطالي الجنوبي، ثمّ استولى بعد ذلك على تونس بعد فرار سلطانها مولاي الحسن. لكن الإمبراطور الإسباني شرلكان تمكن من احتلال تونس، وإعادة مولاي الحسن على العرش سنة 1535م.

في 1538م استولى بأمر من السلطان سليمان القانوني على 20 جزيرة من الجزر الواقعة على **بحر إيجة Ege denizi**، وإلحاقها بالدولة العثمانية.

شعرت الممالك الأوربية برعب شديد من الغارات التي يشنها خيرالدين على سواحلها وجزرها وسفنها، فعقد شرلكان هدنة مع ملك فرنسا فرنسوا الأول ، وتنادى ملوكها لعقد تحالف صليبي كبير اشتركت فيه إسبانيا والبابوية والبندقية والبرتغال. وأعدت حملة مكونة من 600 سفينة حربية وسفينة دعم، وسلمت قيادتها إلى **أندوريا دوريا Andrea Doria**.

استعد خيرالدين لمواجهة التحالف الصليبي بأسطول مكون من 122 سفينة، ثم اشتبك معه في معركة كبيرة في خليج **بروزة Preveze**، انتهت بهزيمة ثقيلة للتحالف الصليبي واستيلاء خيرالدين على 36 سفينة و2175 أسيراً، فكان من أهم نتائج هذه المعركة سيطرة العثمانيين على البحر المتوسط[1].

(1) لمعرفة المزيد من تفاصيل عن معركة بروزة انظر:

وفي عام 1541م قاد الإمبراطور شرلكان بنفسه حملة كبرى على الجزائر لغسل عار هزيمة معركة بروزة، إلّا أنّ حملته تلك منيت بهزيمة منكرة، فقد فيها الإسبان معظم قطع أسطولهم.

طلب الملك الفرنسي فرانسوا الأول من الدولة العثمانية التدخل إلى جانب فرنسا في حربها ضد إسبانيا، فقاد خيرالدين سنة 1543 أسطولا مكوّنا من 110 سفينة، استولى به على مدينة نيس في أغسطس من السنة نفسها[1].

بعد حياة حافلة بالجهاد والغزو، توفي خيرالدين بربروس في تموز 1546، ودفن في تربته التي أعدها بنفسه في ساحل باشكتاش بإستانبول[2].

اسم الكتاب وسبب تأليفه

لم يضع خيرالدين بربروس عنوانًا لمذكراته ولا توجد تسمية موحدة للنسخ المتناثرة في مختلف المكتبات. بل يلاحظ الباحث بأنها تحمل أسماء

Lütfi Paşa,*Tarih*,s368; Katip Çelebi,*Tuhfetü'l-Kibar*,I.s,81-84; Peçevi,I.s.213; Hammer,V,s202-204; Uzunçarşılı,*Tarih*,II.374-379; Gökbilgin, *kanuni*, s.96-98.Turan, *Barbaros Hayreddin Paşa*, DIA.V.s.66-67

(1) لمعرفة تفاصيل مساعدة الأسطول العثماني للفرنسيين انظر :

Katip Çelebi,I.s.100; Uzunçarşılı,*Osmanlı Tarihi*,II.s.386-387

(2) Lütfi Paşa,*Tarih,*s.393 . Katip Çelebi ,II.s.89

عديدة، وضعها النساخ أو من يملكون تلك النسخ. وعلى هذا فإننا نلاحظ أن بعض النسخ كتب عليها اسم: «**فتح نامه**» أي: «**رسالة الفتح**»، وبعضها باسم: «**فتح نامهء خيرالدين**» أي: «**رسالة فتوحات خيرالدين**»[1]. وبعضها باسم: «**فتح نامهء جزائر**» **أي**: «**سالة فتح الجزائر**»، بينما يحمل بعضها اسم: «**غزوات خيرالدين بربروس**» أو «**غزوات خيرالدين باشا**»[2]، وهو الاسم الأكثر شهرة وانتشاراً.

وأمّا عن سبب تأليف المذكّرات، فإنّه من الضّروري التّنويه بأنّ خيرالدين بربروس لم يقم بكتابتها، بل أملاها على رفيقه في الجهاد البحري البحار الشاعر سيد علي مرادي[3]. فقد ذكر في المذكرات بأن **السلطان سليمان القانوني أرسل إليه أمرًا سلطانيًا يأمره فيه بأن يكتب له كتابا، يشرح له فيه كيف خرج هو وأخوه عروج من جزيرة ميديللي، وتمكنا من فتح الجزائر وطرد الإسبان منها. كما أمره بأن يذكر له في كتابه الغزوات التي قام بها هو وإخوته في البحر. وعندما ينتهي من ذلك**

---

(1) انظر: بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي** 2/ 456-457؛ وانظر أيضا: نجيب عاصم، **تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى**، إستانبول 1 تشرين أول 1326، 4/ 233-238.

(2) كما هو في معظم النسخ الموجودة في مكتبات إستانبول وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا.

(3) انظر ترجمته في: Hüseyin Yurdaydın, "***Murâdî ve Eserleri***" Belleten, 27L107 (1963),s.453-466.

يرسل إليه الكتاب لكي يحتفظ به في مكتبه الخاصة[1].

وبناءً على هذا يتبيّن سبب اختلاف الباحثين في نسبة هذه المذكرات. فمن نظر إلى مُمليها فقد نسبها إلى خيرالدين، ومن نظر إلى كاتبها نسبها إلى سيد مرادي.

وعلى عادة الكثير المؤلفين في تلك الفترة، فإنه من الجائز أن لا يكون سيد مرادي ولا خيرالدين قد دوّن اسمه على تلك المذكرات. وإذا كان ذلك كذلك، فإنه من الطبيعي أن يقوم النُّسّاخ أو أصحاب تلك المخطوطات بوضع أسماء لها، كلٌّ حسبما يراه مناسبا.

ولا شكّ أنّ عدم وجود اسم موحّد للمذكّرات ساهم بشكل كبير في التباس الأمر على الباحثين، الذين ذهب الكثير منهم إلى الاعتقاد بأنها تعود لمؤلف مجهول لم يتمكنوا من الاهتداء إليه.

وممّا زاد في التباس الأمر، تدخل النسّاخ وتصرفهم في النص بسبب رداءة الخط، أو بسبب ضياع بعض صفحات الكتاب، أو سقوط بعض السطور أو الفقرات أو الجمل من النص الأصلي. فكان من اللازم في نظر بعضهم، أن يتدخل لتعديل النّص. وطبيعي أن يفضي ذلك إلى زيادة الاختلاف بين النسخ واضطرابها.

---

(1) انظر: **مذكرات خيرالدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2015، ص 27- 28.

محتوى الكتاب وموضوعه

للوهلة الأولى يظنّ الباحث بأنّ هذا الكتاب عبارة عن سيرة ذاتية يتحدّث فيها خيرالدين بربروس عن نفسه وعائلته وأولاده وحياته الخاصة، كما هو معهود في كتب السيرة الذاتية والمذكرات الشخصية. غير أنّ متصفح المذكرات يلاحظ خلوّها بشكل شبه كامل من الإشارة إلى الأمور الشخصية والعائلية المتعلقة بخيرالدين، إلّا ما كان منها متعلّقًا بسير الأحداث التي عاصرها، بل إنّ صاحب المذكرات يشرع مباشرة في سرد الأحداث التي جرفته وإخوته لاقتحام عالم الجهاد البحري، ويستمر في سرد الأحداث وتطورها انطلاقا من جزيرة ميديللي، مسقط رأس الإخوة بربروس. ليتوقف قليلا في شبه جزيرة رودس، حيث كان عروج رئيس أسيرًا عند فرسان القديس يوحنا، لينتقل بعد ذلك إلى سلطان مصر ودخول عروج في خدمته. قبل أن ينتهي به الأمر إلى الرسوّ في جزيرة جربة حيث يلتحق به أخوه خيرالدين. فيقرران الاتصال بالسلطان الحفصي في تونس الذي أقنعاه بأن يسمح لهما في الرسوِّ في ميناء حلق الوادي، ويتخذاه قاعدة لجهادهما، على أن يدفعا إليه خمس[1] ما يحصلان عليه من الغنائم، ويبيعا ما زاد عن حاجتهما في أسواق تونس.

---

(1) هذا ما تقوله جميع المصادر والدراسات التي تحدثت عن هذا الاتفاق. غير أن خيرالدين يذكر في المذكرات بأنهم اتفقوا معه على أن يدفعوا له ثمن غنائمهم وليس الخمس. انظر: **المذكرات**، ص 46.

ومن تونس تتلاحق عمليات الجهاد البحري، لتبلغ ذورتها بالاستقرار في الجزائر وما رافقها من حركات تمرّد وعصيان، تولى قيادتها والتحريض عليها الزعماء المحليون، بتحريض من الإسبان وسلاطين بني زيان في تلمسان وبني حفص في تونس. وخلال ذلك كان خيرالدين يسرد بتفصيل دقيق غزواته البحرية ضد السفن والسواحل الإسبانية أو التابعة لها والمتحالفة معها. وكذا حملات الإسبان على المراسي الجزائرية.

ولم يغفل خيرالدين الحديث عن تطور علاقاته بالدولة العثمانية، وإعلان تبعيته للسلطان العثماني باعتباره خليفة المسلمين، وما واكب ذلك من تقارب في الرؤى والمواقف السياسية. الأمر الذي أفضى إلى تتويج ذلك الولاء بتعيين خيرالدين قائدًا عامًّا للأسطول العثماني حاملًا لقب قبودان دريا[1]، وهي أعلى رتبة عسكرية في البحرية العثمانية. فأثبت خيرالدين أهليته وكفاءته العالية في قيادة الأسطول العثماني، بتحقيقه انتصارا باهرا في معركة **بروزة PREVEZE** على السواحل الإيطالية سنة 1538. تلك المعركة التي كانت بين الأسطول العثماني والتحالف الصليبي بقيادة البحار الجنوي أندريا دوريا. فكان من أثر

---

(1) القائد العام للأساطيل العثمانية. عن تطور هذا المنصب الخطير انظر:
Mehmet Zeki Pekalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü*, İstanbul 1993,II.s.182

ذلك الانتصار أن تمكن العثمانيون من فرض سيطرتهم على البحر المتوسط أكثر من ثلاثين عامًا.

وأسهب خيرالدين في الحديث عن محاولة الإمبراطور شرلكان غسل عار هزيمته في بروزة، بتحضير حملة كبيرة تحت قيادته لغزو الجزائر واحتلالها سنة 1541، مستغلا غياب خيرالدين، ليُمْنى مرة أخرى بهزيمة منكرة على يد حسن باشا بن خيرالدين الذي كان نائبًا عنه في الجزائر. هذه الهزيمة التي دفعت الملك الإسباني إلى اعتزال السياسة، والاعتكاف في أحد الأديرة ليموت بعد ذلك ببضعة أشهر من شدة القهر، حسبما أشار إلى ذلك خيرالدين في مذكراته.

بعد هذه الحملة بقليل تتوقّف المذكرات –تقريبًا- عند سرد الحوادث التي تلتها، لأنّ خيرالدين كان قد عاد إلى إستانبول ولم يرجع إلى الجزائر سوى مرة واحدة، وذلك سنة 1543م ليقود منها حملة بحرية على فرنسا، إلّا أنّه لم يشر إليها في مذكراته لأنه كان قد فرغ من إملائها حسبما يبدو[1].

القيمة العلمية والتاريخية لهذه المذكرات

لا شكّ أنّ هذه المذكرات تعدّ في غاية الأهمية من حيث قيمتها التاريخية، باعتبارها مصدرًا أصليًّا وأساسيًّا لتلك المرحلة؛ فهي شهادة

---

(1) في سنة 1543 قاد خيرالدين حملة على فرنسا بناء على استنجاد ملكها فرنسوا الأول بالعثمانيين، وذلك لتحرير بلاده من الاحتلال الإسباني. وتوجت هذه الحملة بطرد الإسبان تماما من الأراضي الإسبانية.

خيرالدين على أحداث عصره التي صنعها بنفسه، وساهم في صناعة قرارات الحرب والسلم بين الدولة العثمانية وإسبانيا ومن حالفها من الممالك الأوربية. وبصرف النظر عن العنصر الذاتي في هذه المذكرات وغياب عنصر الحياد في رواية الأحداث، إلّا أنّ ذلك لا يقلّل من أهميّتها الكبيرة في نقل الكثير من الجزئيات الدقيقة التي قلّما نجدها في المصادر التاريخية الأخرى.

فضلا عن يوميات الأحداث وتفاصيلها الدقيقة التي رواها خيرالدين في مذكراته، نلاحظ أنّها اشتملت على معلومات تاريخية تعد نادرة جدًّا لا تكاد توجد في غيرها من المصادر العربية أو التركية أو الأجنبية التي أرخت لتلك المرحلة، فمنها على سبيل المثال: تلك التي يتحدث فيها عن رغبته في غزو أمريكا واستئذانه **للصدر الأعظم إبراهيم باشا** في ذلك عندما قابله في حلب[1]، وتهكّمه **بأندريا دوريا** حينما علق على محاولته احتلال الجزائر بقوله بأنه **واهم في ظنه أن الجزائر مثل العالم الجديد**[2]**، وأنّه بإمكانه أن يبيد الجزائريين ويقضي على الإسلام مثلما فعل أسلافه مع الهنود الحمر**، مما يعطي للقارئ انطباعا **بأن خيرالدين كان على دراية بالمجازر التي اقترفها الإسبان في أمريكا المكتشفة حديثا، وأن البلاد التي وصلوا إليها إنّما هي قارة جديدة بينما**

---

(1) انظر: ص، 68.

(2) ص 206.

الإسبان كانوا لا يزالون يتوهّمون بأنّهم قد وصلوا إلى الهند.

اشتملت المذكرات أيضًا على بيان أحد أهم أهداف حروب الدولة العثمانية ضد إسبانيا، **وهي رغبة السلطان سليمان القانوني في غزو إسبانيا وفتحها من جديد**[1]. حيث استدعى خيرالدين إلى إستانبول لأجل هذه الغاية لاستشارته في هذا الموضوع، قبل أن يُغيّر رأيه ويستبدله بتعيين خيرالدين بربروس قائدًا عامًّا للأسطول العثماني.

كما يفنّد خيرالدين في هذه المذكرات المقولة التي ما فتئ الباحثون الغربيون يشيعونها، والمتمثّلة في أنّه فرض نفسه حاكمًا وسلطانًا على الجزائر، بينما واقع الأحداث -حسبما ورد في المذكرات- يبيّن بأنّ خيرالدين **إنّما قَبِل ولاية الجزائر بناء على توسلات ملحة وعديدة من أعيان وعلماء مدينة الجزائر وغيرها ممن كانوا يرسلون إليه الوفود يرجونه أن يقدم عليهم ويتولى إدارتها بنفسه**[2]. ذلك لأن الأهالي لم يكونوا يرضون بالخضوع لأحد سواه. فقد رفضوا ولاية ابن القاضي في الجزائر، مثلما رفض أهالي تلمسان قبلهم ولاية سلطانها الزياني الذي تحول إلى ألعوبة في يد الإسبان. فلم يكن لخيرالدين من خيار سوى الخضوع لضغوط العلماء والأعيان والقبول بأن يكون حاكما على الجزائر. وهذه الشهادة بلا شكّ تُخرس الأصوات التي لم تتوقّف عن

(1) ص 159.

(2) ص 119– 126.

ترديد -دون خجل- إسطوانة الاستعمار التركي للجزائر!!!

كما يذكر خيرالدين في مذكراته تفاصيل دقيقة جدًّا عن طبيعة العلاقة بين السلطة العثمانية -التي كان يمثلها في الجزائر- والقيادات الدينية والسياسية في الجزائر، وكيف كان يتم التعاطي مع كلا الفئتين خلال الأزمات. ويورد بشكل صريح تأرجح موقف الأهالي من الأتراك بين الولاء والعداء، ومدى تأثرهم بالدعاية التي كان يشيعها خصومه من الزعماء المحليين بغية تَأْلِيبِ النّاس عليه. وهذه التفاصيل بلا شك تعد في غاية الأهمية بحكم معاصرة خيرالدين لها من جهة؛ ومباشرته لها من جهة ثانية. الأمر الذي أعطى للمذكرات أهمية مضاعفة وأكثر خصوصية لتعلقها بالتاريخ المحلي خلال المرحلة الأولى من الوجود العثماني بالجزائر.

إنّ مثل هذه المعلومات الدقيقة والهامة جدّا يَنْدُرُ وجودها في المصادر التاريخية التقليدية العربية أو التركية أو الغربية التي عاصرت تلك المرحلة أو أَرَّخَتْ لها. باستثناء تلك التي استندت إلى المذكرات في نقل هذه المعلومات مثل: **تحفة الكبار في أسفار البحار** لكاتب جلبي ، أو **خيرالدين بربروس** لرضا سيفي، أو **الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الجنود الكافرة**، أو **غزوات عرّوج وخيرالدين** للمؤلف المجهول الذي نشره نور الدين عبد القادر فيما بعد.

البيانات البيبليوغرافية للمذكرات وأماكن وجود نسخها

المخطوطة

هذا الأثر يصنف في الكتابة الأدبية التركية ضمن ما يعرف بـ: «**غزوات نامه**» أي كتب «**الملاحم**»، وهي الكتب التي تؤرّخ للفتوحات والمعارك التي خاضها العثمانيون في البر والبحر. وقد انتقل هذا النوع من الكتابة من الأدب العربي والفارسي إلى الأدب التركي في الأناضول خلال القرن12م وانتشرت على نطاق واسع ابتداء من القرن14م، بحيث احتلت أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية بسبب تعلقها بالفتوحات العثمانية في البر والبحر.

وتهدف هذه الكتابة إلى التعبئة المعنوية للأمة والمقاتلين لدفعهم إلى الالتفاف حول حركة الجهاد التي كان العثمانيون يقودونها ضد البيزنطيين في الأناضول أوّلًا، ثمّ ضدّ العالم المسيحي أوربا ثانيا.

ومن الملاحظ أن الكتاب الذي أملاه خيرالدين على سيد علي مرادي جمع بين الرواية الأدبية والكتابة التاريخية. فحاز بذلك أهمية خاصة في مجال الدراسات الأدبية والتاريخية. ونظرًا لتميّزه بهذه الخصوصية، فلا غرابة أن يلقى انتشارًا واسعًا بين النّاس، حتى صاروا يتحلّقون في جماعات بالمقاهي الشعبية يستمعون إليها من قارئ حسن القراءة[1].

ويعدّ **جوزيف فون هامر** (1774- 1856) أوّل المستشرقين

(1) aldo Gallotta, " *Seyyid Muradi Gazavât-ı Hayreddin Paşa* " *adlı eseri*, çev. Mahmut H. Şakıroğlu, Erdem, Atatürk Kültür Dergisi, cilt 4, sayı 10,TTK, Ankara, Ocak 1988, s.127-150

الغربيين الذين أدركوا أهمية هذه المذكرات، وذلك من خلال استعانته بها في الجزء الثالث من كتابه القيّم: **تاريخ الدولة العثمانية**[1]. حيث أفاد بأنّه استفاد منها بشكل مباشر، وصرّح بأنّه يحتفظ بنسخة منها في مكتبته الخاصة. كما أشار إلى وجود نسختين أخريين في مكتبة الفاتيكان[2].

وحسب هامر، فإنّ خيرالدين بربروس أملى كتابه على شخص يدعى **سنان شاوش**، وانتقلت هذه المعلومة -أو الادعاء- من هامر إلى غيره من الباحثين الغربيين لسنوات طويلة، وإضافة إلى النّسخ التي أشار إليها هامر وغيره، توجد العديد من النسخ الأخرى، نذكر منها على سبيل المثال:

نسخة من الكتاب المذكور في لندن: **British Muesum No** 2798.

- نسخة في دار الكتب العلمية أشار إليها **حلمي الداغستاني** في فهرسه تحت رقم: 34/ 8830، غير أنه لم يذكر اسم مؤلف الكتاب[3].

---

(1) الكتاب أُلف أصلا باللغة الألمانية وترجم إلى الفرنسية والتركية القديمة والحديثة على حدّ سواء.

(2) Bkz: Hammer, *Osmanlı Devleti Tarihi*, cilt 5, İstanbul 1989,s. 1280

(3) انظر: **فهرست الكتب التركية** المحفوظة بالكتب خانهء خديوية المصرية، القاهرة 1306هـ/ 1888، ص 169.

- نسخة منظومة لنفس الكتاب بنفس المكتبة المشار إليها باسم: **فتح نامهء خيرالدين باشا**[1].

- في 1911 كتب المؤرخ **نجيب عاصم** مقالة ذكر فيها وجود نسخة منظومة لكنها ناقصة للمذكرات بمكتبة متحف طوب قابي سرايي، روان كوشكو، تحت رقم: 1291. وهذه النسخة تتناول بالتفصيل حياة خيرالدين بربروس من مولده حتى حملة نوفا (1539). وأشار في هذه المقالة بأنه كتبت بقلم الشاعر سيد علي مرادي[2].

- أشار بورسلي **محمد طاهر** في مقالة نشرها سنة 1923 في الجزء الثالث من كتابه: «**عثمانلي مؤلفلري**» أي: «**المؤلفون العثمانيون**». وذلك في أثناء حديثه عن النسخة المذكورة من المذكرات المنظومة، حيث أشار بأنه توجد نسخة منثورة في مكتبة **خالص أفندي**[3]. ثم ذكر في إضافاته التي زادها في كتابه في مرحلة لاحقة عند حديثه عن كتاب **فتح نامه ءاوستورغون** واستوني **بلغراد** المنسوب لسنان شاوش: بأنّ **قسطموني حسن بن علي** قام بتأليف كتاب عنوانه: «**تاريخ جزاير أو غزوات خيرالدين باشا**»[4]. غير أنه من المؤسف فإن بورسلي محمد طاهر لم يعط

---

(1) نفس المصدر، ص 212.

(2) Necip Âsim *" Gazvât-ı Hayreddin Paşa"*, Tarih-i Osmani Encümeni Mecmuası,İstanbul, I. s. 233- 238.

(3) Bursalı Ahmet Tahir, *Osmanlı Müellifler*, cilt 3. İstanbul 1342/1923, s.63.

(4) نفس المصدر، ص 180.

أية معلومات بيبلوغرافية أخرى عن الكتاب موضوع الدراسة. ثم تبين فيما بعد بأن **قسطموني حسن بن علي** لم يكن مؤلفا لتلك النسخة بل ناسخا لها فقط. وأن تلك النسخة توجد حاليا في **مكتبة جامعة إستانبول** ضمن مجموعة **خالص أفندي** ومسجلة تحت رقم: 2639.

- نسخة مكتبة **باريس الوطنية** تحت رقم 1186.

- نسخة أخرى في مكتبة **أسكوريال بمدريد** تحت رقم: 1663. لكن لا يوجد اسم المؤلف، وقد أشار إليها **ليفي بروفنسال** في سنة 1928 ضمن المخطوطات العربية[(1)].

- وذكر **بلوشيت في فهرست المخطوطات التركية بمكتبة باريس الوطنية** الذي نشره في سنة 1932 وجود نسخة مخطوطة من تأليف سيد مرادي[(2)]. والملاحظ أن النسخة التي ذكرها بلوشيت هي نفسها التي أشار إليها **بابينغر** عند إشارته لكتاب تاريخ **فتح شيكلوش** والتي أشار إلى أنها تحمل رقم: **A.F 75**.

- نسخة **مكتبة برلين** تحت رقم 1751[(3)].

وأما المخطوطات الموجودة في إستانبول، فإن أول من أشار إليها من

---

(1) E. Blochet , *Les Manuscrits arabes de l'Escurial*, Paris 1928, III, p194-195.

(2) E. Blochet, *Catalogue des manuscrits turcs de la Bibliotheque National*, t I, p 379.

(3) Aldo Gallotta, s. 134.

الباحثين الغربيين هو ل. **فورير L. Forrer** وذلك سنة 1940 حيث أشار إلى وجود أربع نسخ في **مكتبة جامعة إستانبول** تحمل الأرقام التالية:94، 2459، 2490، 2639.

وكان **بورسلي محمد طاهر** قد أشار إلى اثنتين منهما من قبل. وهما اللتان تحملان رقم: 2490 و 2639. وأوضح **فورير** بأنّ **قسطموني حسن بن علي** لم يكن مؤلّفا للمخطوط بل ناسخا له فقط.

ودلّل على ذلك بأنّ النّسخة رقم: 2490 مكتوب عليها اسم مؤلفها الذي هو **سيد علي مرادي**. ومن ثَمَّ فإنّ ما أشار إليه **بابينغر** من أنّ **حسين شاوش** هو مؤلّف النّسخة المنثورة من المذكّرات ليس صحيحا.

- وأما النّسخة المنظومة، فإنّ **المؤرّخ نجيب عاصم** أشار بأنّها من تأليف **سيد مرادي** أيضًا استنادًا إلى النسخة رقم 1292، والنسخة الموجودة في **روان كوشكو** والتي تحمل رقم: 1292 والتي تتناول الأحداث حتى معركة بروزة التي وقعت في سنة 1538. وهذه النسخة توجد أيضا في **مكتبة جامعة إستانبول** تحت رقم: 2475، وتتناول الأحداث حتى فتح نوفا التي وقعت في سنة 1539.

وقد أشار مؤلف **فهرس المخطوطات التركية بمكتبة الفاتيكان أتور روسي Ettor Rossi** بأن غزوات خيرالدين بربروس ليست من تأليف **سنان شاوش**. وأن هذا الخطأ قد أثاره من قبل هامر وكرره الباحثون الذين جاؤوا من بعده، وأكّد ذلك **Ağa Sırrı Levet** في كتابه الذي

نشره سنة 1956 بعنوان: «**Gazavâtnâme**»[1].

وأيّد هذا الرأي الباحث والمؤرّخ التركي **حسين يُورْدْ اَيْدِينْ Hüseyin Yurdaydın** في مقالته «**المرادي وآثاره**»[2]. وذكر بأن **سنان شاوش** لم يكن سوى حامل الفرمان السلطاني إلى خيرالدين في سنة 1533، ثمّ عاد بعد ذلك إلى إستانبول.

وأمّا كاتب الغزوات أي: **المرادي** فقد كان مرافقا لخيرالدين في جميع غزواته، وأيّد رأيه بأنّ النّسخ الأربعة الموجودة في مكتبات إستانبول كلها مدون عليها بأنّها من **تأليف سيد علي المرادي**، وأمّا النّسخ المنظومة فقد صرح **المرادي** بأنّه قام بنظمها بنفسه، وعليه فإنّ كلّا من النسخ المنثورة والمنظومة تكون من تأليف المرادي وليس غيره.

الدراسات التي أجريت حول المذكرات

لفتت هذه المذكّرات اهتمام المؤرخين والباحثين المشتغلين بالتاريخ العثماني والبحرية العثمانية منذ وقت مبكر، واستفادوا منها في إعداد دراساتهم. ومن هؤلاء على سبيل المثال:

- نجيب عاصم، غزوات خيرالدين باشا، تاريخ عثماني أنجمني مجموعه سي، إستانبول 1326هـ/ 1910م،1-4، ص 233- 238.
- H. De Grammont, Le R’azuat est-il L’Oeuvre de

---

(1) انظر: ص74.

(2) Hüseyin Yurdaydın, " *Murâdî ve Eserleri*" Belleten, 27/107, Ankara (1963) ,s. 453- 466

kheireddine Barberousse, Villeneure sur Lot 1873.

- H.G. Yurdaydın. Murâdî ve Eserleri, Belleten, XXVII-107, Ankara1963, VII, s. 453-466.
- Svat Soucek, Sources dealing With the Barbarossa Brothers, Güney -doğu Avrupa Araştırmaları Dergisi, Ii 1972, 63-72
- Aldo Gallotta, Gazavât-ı Hayerddin Paşa di seyyi Murâdi, Studi Magrebini, XII, Napoli 1983.
- Mehmet Özkan, Barbaros Hayrettin Paşa'nın Türk denizcilik tarihindeki yeri.)
- Gülşah Oktay, 18.Yüzyıla ait Bir Barbaros Hayrettin Paşa Gazavat namesi üzerinde (sentks incelemesi. (رسالة ماجستير، تركيا).

درس الباحث التركي **فخري إيز Fahri İz** هذه الغزوات من الناحية الأدبية بشكل مختصر في كتابه الذي يحمل اسم: ***Eski Türk Edebiyatında Nesir*** (النثر في الأدب التركي القديم) حيث تطرّق إلى ذلك في فصل خاص من كتابه المذكور[1]. وتبعه في بيان أهمية هذه الغزوات أحمد بومباجي **A. Bombacı** في كتابه: ***Türk EdebiyatıTarihi*** (تاريخ الأدب التركي)[2].

المصادر التي أشارت إلى المذكرات أو اعتمدت عليها أو اقتبست منها:

(1) F. İz, *Eski Türk Edebiyatında Nesir*, İstanbul 1964,s. 550-560.

(2) A. Bombacı, *Türk Edebiyatı Tarihi*, İstanbul 1968, s. 355-356.

إنّ مصدرًا على هذا القدر من الأهمية، لا نستغرب أن يحظى باهتمام الباحثين الأتراك وغيرهم فيجعلونه مصدرا لمادّتهم التاريخية، ومن أمثلة المصادر التي استفادت من المذكّرات على سبيل المثال:

1. كاتب جلبي، **تحفة الكبار في أسفار البحار**. ذكر المؤلف في الفصل الذي خصصه للحديث عن الجزائر، بأنه ينقل ما يكتبه مختصرا من مذكرات خيرالدين بربروس. غير أنه بالتّدقيق فيما أورده كاتب جلبي يلاحظ أنه لم يكتف بالمذكّرات؛ بل استفاد من مصادر أخرى بدليل وجود أخطاء تاريخية وجغرافية ليست موجودة في المذكرات.

2. رضا سيفي، **بربروس خيرالدين**. ترجمة لحياة خيرالدين بربروس بالتركية العثمانية تَمَّ تأليفه في مطلع القرن العشرين وطبع في العشرينات من القرن الماضي. اعتمد مؤلفه اعتمادًا كليًّا على مذكّرات خيرالدين بربروس دون أن يشير إلى ذلك، إلّا أنّه بالمقارنة بين ما جاء في المذكرات وبين ما جاء في هذا الكتاب يتبين للقارئ بأنه عملية استنساخ للكتاب بحيث صار يبدو وكأنّه مؤلّف جديد.

3. جوزيف هامر، **التاريخ العثماني**. كتاب موسوعي عن الدولة العثمانية. كتب باللغة الألمانية ترجم إلى لغات كثيرة منها التركية والفرنسية. اعتمد فيه مؤلفه في التأريخ لعصر القانوني بشكل كبير جدا على مذكرات خيرالدين بربروس فيما يتعلق بالأحداث التي جرت في غرب البحر المتوسط.

4.مؤلّف مجهول، **غزوات عروج وخيرالدين**. نشره نور الدين عبد القادر. بصرف النظر عن وجهة النظر التي تعتبر هذا الكتاب هو ترجمة لنسخة مفقودة لمذكرات خيرالدين بربروس، أو ترجمة غير أمينة لها؛ فإنّ هذا الأثر اعتمد بشكل كبير على المذكرات، وذلك بالمقارنة مع التطابق الكبير جدا بين تسلسل الأحداث وتطابقها بينهما.

ترجمات الكتاب

أدرك المؤرخون والباحثون الغربيون أهمية هذه المذكرات في وقت مبكّر جدًّا. ولأجل ذلك قاموا بترجمتها إلى لغاتهم؛ كما قام آخرون بجعلها أرضية لكتاب جديد، يطابق محتواه ما ورد في المذكرات بنسبة كبيرة. وفيما يلي نماذج من الترجمات والمؤلفات التي استندت إلى المذكرات:

الترجمة الإسبانية التي تعد أقدم ترجمات مذكرات خيرالدين بربروس. حيث تمت ترجمة الكتاب للملك الإسباني فيليب الثاني في حدود سنة 1578. وذلك في مجلة: **Memorial Historico Espagnol, VI.**، وتوجد في مكتبة بلدية باليرمو باسم:

"*La vida y Historia de Hayereddin Barbaroxa*".

ومن الإسبانية ترجم أيضا إلى **الإيطالية** من طرف **لويديجي ألكامورا Luidigi Alcamora** باسم ***La Bita e la Storia di ariadino Barbarossa*** ونشر في مجلدين بباليرمو بين سنتي 1884 و 1887.

▪ يعتقد بعض الباحثين[1] بأن الترجمة التالية التي نشرت **بالإسبانية والإيطالية** هي الترجمة **العربية**[2]. حيث عثر المستشرق الفرنسي **فانتو ردي بارادي** في الفترة الممتدة بين 1788 – 1790. على مخطوط يتحدث عن معارك الإخوة بربروس فقام بترجمته إلى **الفرنسية**. ثم بقي الكتاب مترجما لم ينشر إلى أن قام **س رانغ و ف.دنيز** بنشره في مجلدين سنة 1837.

▪ وحسب المعلومات التي ذكرها **هامر** فإن **بارادي** نظرا لكونه لم يعثر على مؤلف الكتاب الذي قام بترجمته إلى الفرنسية، ولكونه لم يكن يعلم بوجود **غزوات خيرالدين بربروس** أي مذكراته، فإنه ظن بأن الكتاب الذي ترجمه يعود إلى أحد كتب الحوليات العربية التي تعود إلى القرن 16.

▪ وفي سنة 1857 قام **أ. بابروجيه A. Berbrugger** بتأكيد

(1) انظر: Aldo Gallotta," *Seyid Murâdi Gazvât-ı Hayreddîn Paşa adlı*=

= *eseri* " Cev. Mahmut H. Şakıroğlu, Erdem, Atatürk Kültür Merkezi Dergisi, sayı 10, İstanbul, Ocak 1988, Cilt 4. s.127-149

(2) لا يعرف على وجه الدقة إن كانت توجد ترجمة عربية للمذكرات، غير أنه يعتقد بأن الكتاب الموسوم بـ: **غزوات عروج وخيرالدين** والذي لا يعرف مؤلفه، اعتمد صاحبه في تأليفه بشكل أساسي على إحدى النسخ المخطوطة لمذكرات بربروس. وقد قام نور الدين عبد القادر بنشره بالجزائر سنة 1934. ولم يؤكد ناشر الكتاب أو ينفي هذا الزعم. وهذه النسخة هي التي كانت أساسا للترجمات الأوربية المذكورة.

الافتراض الذي افترضه **بارادي**. حيث تأكّد له بأنّ الكتاب الذي ترجمه هذا الأخير اعتمادا على النسخة العربية الموجودة بمكتبة الجزائر، والتي تحمل رقم: 942، إنما هي ترجمة لنسخة تركية أصلية. وقام بمقارنتها بالمعلومات التي أوردها **هامر** عن كتاب الغزوات موضوع الدراسة[1].

- وفي الفترة الممتدّة بين 1883–1895 قام **ج.ديسالان** بنشر فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس. وخلال ذلك قدم تعريفا بمخطوطة بعنوان: «**سيرة المجاهد خيرالدين بربروس**»[2] وذكر بأنّها تحمل رقم: 1878. كما أشار بأنّها تعود إلى القرن 17. ثمّ قام **س. رانغ S. Rang**، وف. **دنيز F. Denis** بترجمتها إلى **الفرنسية** ونشرها[3].

- وفي سنة 1884 قام **أ. هوداس O. Houdas**، و ر. **باسي R. Basset** بتحقيق ونشر نسخة **مخطوطة عربية** تتحدث عن حياة

---

(1) A. Bebrugger, *Les époques militaires de la Grande kabylie*, Alger, 1857 s. 309-310.

(2) قام الدكتور عبد الله حمادي بنشرها بالجزائر مؤخرا. ولم يتمكن هو الآخر من إثبات أو نفي الأصل الذي ترجم عنه هذا الكتاب، مع تأكيده بأنه ترجمة لأصل تركي مفقود وغير معروف. وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه نور الدين عبد القادر، الذي سبق أن نشر الكتاب اعتمادا على النسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

(3) De Salane, *Catalogue des manuscrits arabes de la Biliothèque Nationale*, Paris 1883-1895, s. 338.

خيرالدين بربروس عثر عليها **بمكتبة جامع الزيتونة**[1].

- وفي سنة 1890 قام ر. **باسي R. Basset** بنشر **النسخة العربية** المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية والتي تحمل رقم: 942/ 1622 مع **ترجمتها الفرنسية**[2]. وحسبما أشار إليه **باسي** فإن **النسخة العربية** ترجمت من طرف شخص يدعى خوجة. وهذا الشخص كان يتولى منصب **المفتي الحنفي** ويدعى **محمد بن علي الكولوغلي الجزائري**. وأن هذه الترجمة قد تمت في القرن 18. وقد أكد ر. **باسي** بأن النسخة الموجودة **بمكتبة جامع الزيتونة** هي نفسها التي توجد **بالمكتبة الوطنية الجزائرية**.

- وإضافة إلى الترجمات السالفة الذكر فقد تمت ترجمة الكتاب أيضا من التركية إلى المجرية من طرف **جوزيف توري joseph Thury** باسم: **Török Törtenitirok** ونشر في بودابست سنة 1896 في جزأين.

---

(1) O. Houdas- R. Basset, *Mission scientifique en Tunisie, II: Biliothèque. Les manuscrits arabes de Tunisie et de kairouan,* Alger 1884, s. 68.

(2) نفس المرجع، ص 171– 214.

نص نموذجي مترجم من مذكرات بربروس

حملة شرلكان سنة 1541 على الجزائر

«... أنزل الكفار من سفنهم مئات الجِرارِ المملوءة خمرًا، وجعلوا يعاقرونها حتّى الثّمالة، محتفلين باستيلائهم على مدينة الجزائر التي كانوا يتوقعون سقوطها في أيديهم صبيحة اليوم التالي. وبينما قضوا ليلتهم تلك في لهو ومجون؛ لم يكن البحارة الذين تحصنوا بقلعة الجزائر، والذين لم يكن عددهم يزيد عن ستمائة بحار يحملون في قلوبهم ذرة خوف من الإسبان...

دسّ حسن باي جواسيسه في صفوف العدو بعدما ارتدوا ملابس فرسان إسبانا. لقد كان كثير من بحارتنا يجيدون التحدث بالإسبانية كما لو كانت لغتهم الأم. بل كان من بينهم من أمضى عشر سنوات أسيرا يجدف السفن الإسبانية.

أعلم الجواسيس حسن باشا بأحوال الإسبان. فأدرك ولدي بأنّه إذا كان ثمة شيء يمكن فعله فهذه الليلة هي الوقت المناسب لذلك، وإلّا فإنّ الأمر سوف يكون سيّئا في الصباح. ولأجل ذلك أمر بحارته ومن معهم من المتطوعين بسلوك طريق جبلي حتى ينزلوا خلف معسكر العدو.

في هذه الأثناء غاب القمر خلف الغيوم، وساد الجو ظلام

دامس، وسرعان ما بدأت الأمطار تنزل بغزارة، قبل أن تتحول إلى عاصفة شديدة. كانت تلك العلامات تشعرنا بأنّ الله ﷻ يريد أن يرينا بأنّه مع عباده المجاهدين بنصره وتأييده.

توغّل رجالي في صفوف العدو، ولم يكن الظلام الحالك والعاصفة الشديدة هما اللذان حجبا الرؤية عن الإسبان فحسب؛ بل إنّ الله سبحانه كان قد ألقى على عيونهم ستائر الغفلة. فقد كان جنود العدو في حالة سكر شديد، وقد ألجأتهم شدة المطر إلى الاحتماء بخيامهم كالكلاب الضالة. أما الحراس فقد تركوا مواقعهم وتناثروا هنا وهناك، كل منهم يبحث عن مكان يقيه من هول العاصفة.

بدأت بوادر لطف الله تعالى تتجلى في حبات البَرَد الذي أخذ ينزل في حجم حبات البيض. فلم يبق في المعسكر كافر واحد قادر على الاحتماء بخيمته. وبإزاء ذلك أخذ هيجان البحر يتصاعد حتى غدا كقدر في ذروة غليانه، وشرع الكفار في العمل على تفادي غرق سفنهم وزوارقهم.

وفي منتصف الليل أغار حسن باي على معسكر العدو وأعمل السيف في رقاب جنوده. فأخذ الكفار يصرخون مذعورين: «لقد عاد بربروس من إستانبول.. لقد جاء التركي الكبير!...». وعلى وقع المفاجأة كان ثلاثة آلاف كافر قد سقطوا تحت ضربات

سيوف البحارة.

لم ينم الكفار حتى الصباح، واستقبلوا طلوع الشمس في حالة يرثى لها. إلّا أنّ مفاجآت اليوم الجديد لم تكن تحمل لهم ما يسرهم. لقد كانت مشاعر الخوف والتردد والعصبية مسيطرة على قلب وعقل الملك كارلوس، لأنّه كان ينتظر في قلق شديد أن تلوح في الأفق أشرعة الأسطول العثماني بين لحظة وأخرى.

بالرغم من أجواء التوتر التي كانت تسيطر على العدو، إلا أن وضعية ولدي قارة حسن لم تكن تدعو للارتياح. فأهالي الجزائر لا يزالون يتذكرون ما حدث لمدينة تونس وأهاليها قبل بضعة أعوام. ولذلك كانوا يريدون إجبار الأتراك على الاستسلام. غير أن الأحداث كانت توحي بأن الذي يتمكن من الثبات سوف ينتصر.

لم يكن يبدو على كارلوس شيء من هذا الثبات. بل كانت الأحوال الجوية الآخذة في السوء توحي بأن الله قد أنزل غضبه على هؤلاء الكفار. فقد أصدر كارلوس أوامره إلى جنوده بالعودة إلى الأسطول. كما أمر دوريا بأن يكون على أهبة الاستعداد للتحرك بالأسطول ومغادرة الجزائر.

كان حسن باي يراقب انسحاب العدو من مواقعه وتدفق قواته نحو الساحل كالسيل الجارف، حيث أخذ رجاله يتدافعون على السفن طلباً للنجاة. وهنا انتهز حسن باي الفرصة ليشن هجوما

مباغتا عليه.

وما إن رأى البدو انسحاب العدو حتى كادت تطير عقولهم من شدة الفرح. فقويت نفوسهم واندفع الآلاف منهم من تلقاء أنفسهم وسط البحارة تحدوهم الرغبة فيفي السلب والغنيمة.

كان جنود العدو قد أنهكهم الجوع والعطش، وخارت قواهم من شدّة التّعب، وسيطر الرعب على كارلوس حتى لم يعد قادرًا على تحديد الوجهة التي يجب أن يلوذ بها. فقد تلاشت قواته تمامًا، وضاعف من متاعبه جهله بالبلاد التي أراد غزوها. فكثرت أخطاؤه الحربية التي استغلها جميعا حسن باي لصالحه.

اضطر العدو إلى إنزال أكثر من نصف أسطوله إلى البر بسبب العواصف الشديدة، إلّا أنّه لم يتمكن من ربطها ببعضها حتى لا تجرفها المياه. فانتهز البحارة تطور الأمور على هذا النحو الذي أشرنا إليه، فقاموا بربط سفن العدو وسحبها إلى الجزائر. ولم يكتفوا بذلك؛ بل قاموا بالاستيلاء على جميع ما خلّفه كارلوس من مدافع وذخائر وآلات الحرب.

على هذا النحو وفي هذه الظروف تمّ القضاء على عشرين ألف كافر إما غرقا وإما بسيوف البحارة. ومن نجا منهم وقع في الأسر. كان في أسطول العدوّ أربعة آلاف فرس، تَلِفَتْ كلها إما غرقا وإمّا

نحرًا من طرف الكفار الذين تاهوا في أطراف البلاد ولم يجدوا ما يأكلونه سوى خيولهم. لقد كانت تلك الأفراس من أجمل الخيول التي لا تقدر بثمن.

استولى البحارة على مدافع العدو، وشرع جنوده الذين نجوا من القتل والغرق في تسليم أنفسهم فرادى وجماعات. وأمّا بارود العدو فقد تبلل بالماء ولم يعد يصلح للاستعمال. كما عَلِقَ كفار إسبانيا الذين كانوا يلبسون دروعا معدنية في الأراضي الموحِلَة. وتناثرت جثثهم وأشلاء حيواناتهم المفتّتَة على مسافات طويلة من ساحل الجزائر. وتكدست الجثث الأخرى تحت أنقاض السفن المحطمة. وعندما كان الكفار يلوذون بالفرار لم يتمكّنوا من حمل أي شيء ثمين معهم في سفنهم، بل وقع كل ذلك في أيدي بحارتنا.

ازدادت مدينة الجزائر غنى بغنائم هذه الحملة. ووقع عدد كبير من الجنرالات والأميرالات والدوقات والأمراء والأميرات والنبلاء والفرسان وغيرهم من أبناء القصور والعائلات الكبيرة في الأسر. لقد قدم هؤلاء جميعا من مختلف عواصم أوربا ليستمتعوا بمشاهدة احتلال الجزائر. وفي هذه الحملة لم يتمكن دوريا ومن معه من إنقاذ أنفسهم إلّا بصعوبة بالغة.

<u>إنّ هذا الظالم العائد إلى بلاده يجر أذيال الخيبة قد قام بإحراق</u>

آلاف النّاس في العالم الجديد. فأراد هذا الملعون الكافر أن يتسلط على الجزائر، لأنّه ظنّ بأنّها مثل العالم الجديد. الويل لبلدة مسلمة تقع في يد هذا الظالم.. ترى كيف سيكون مصيرها؟.. لقد ضرب هذا الكافر مثل السوء عن ذلك في تونس قبل سنوات مضت...

كان دوريا يمطر البحارة بوابل من القذائف من سفنه الحربية. غير أنّ تلك القذائف لم يكن لها تأثير يُذكر سوى إثارة البحارة واستفزازهم مما جعلهم يصرّون على التصدي له وإلحاق الهزيمة به.

في هذه الحملة ساق النصارى معهم آلاف المسلمين لاستخدامهم جدّافين في السفن. ونتيجة للعواصف التي أشرنا إليها غرق الآلاف من هؤلاء البؤساء في البحر. إلّا أنّ عزيمة وإصرار حسن باي مكنتاه من تخليص ألف وثلاثمئة أسير مسلم.

وأمّا دوريا فقد تعرضت سفينة القيادة التي كان يركبها للغرق؛ بينما نجا ذلك الجنوي الكافر بجلده عندما قفز من سفينته الغارقة وركب سفينة أخرى ولاذ بالفرار.

كانت وضعية الصليبيين قد بلغت درجة من السوء يعجز اللسان عن وصفها. وأما الملك كارلوس فإنّه في الوقت الذي كان يملك نصف أوربا، إلّا أنّ الهزيمة الشنعاء التي مُنِي بها أمام أسوار الجزائر دفعته إلى ذبح فرسه الثمينة ليقتات بلحمها!..

وعندما كان يلوذ بالفرار من الجزائر مهزوما خلع تاجه من رأسه وألقى به في البحر من شدة الغيظ. لقد شُغِل باله بمولانا سليمان خان ورام الانتصار عليه، مع أنّه لم ينشأ قط نشأة عسكرية مثل مولانا السلطان، ولم يتولّ قيادة جيش بمفرده طيلة حياته. وفوق ذلك كان جاهلا كليا بفنون الحرب وعلوم البحار. فأنّى له أن ينتصر على مولانا السلطان سليمان خان؟!..

إن هذا الملك المغرور بنفسه وقواته كاد أن يقع في الأسر لولا حماية فرسان مالطا له وقلة رجال حسن باي.

لم يتمكّن الأسطول الصليبي من الإقامة في أرض الجزائر المباركة سوى ثلاثة عشر يوما. بينما كانت ثلاثة أيام كافية للقضاء عليه قضاء مُبْرَمًا. لتنسحب بعد ذلك سفنه المهزومة إلى موانئ إسبانيا وإيطاليا محملة بالصليبين المتّشحين بأَرْدِيَةِ الخِذْلان التي غدت غُصَّةً في حلوقهم تخنق عبراتهم من شدة الأسى.

بعد هذا الانتصار لُقِّبَ ولدي حسن باي بـ: «الغازي». لقد كانت رتبته العسكرية في هذا الوقت هي: «بحرية سنجق بايي»[1]. وبعد هذه المعركة بفترة قصيرة وصلت إلى الجزائر، وقمت بجولة في أرض المعركة. لقد كان سبب تأخري يعود إلى أني لم أكن أتوقع هجوم كارلوس على الجزائر بهذه السرعة».

---

(1) أي: قائد لواء البحرية.

إنّ هزيمة كارلوس لم تكن على يد مولانا السلطان أو الوزير الأعظم أو أي وزير من وزرائه ولا حتى على يد بيلرباي. لقد كانت على يد قائد لواء البحرية !!..إنّ أوربا لم تعش منذ عصور طويلة على وقع هزيمة مدوية لملك كبير كهذه. ولذلك فإنّ هذه الهزيمة سوف تحفر في ذاكرة التاريخ على أنّها من الحوادث النّادرة التي قلّما تتكرّر.



الفصل الثالث

مجموعة منشآت السلاطين

فريدون أحمد بك

تمهيد

ألّف كاتب الرسائل السلطانية والتوقيعي فريدون أحمد بك كتابه القيّم «مجموع منشآت السلاطين» سنة 1574 أو 1575. وقد جمع فيه ما وقع تحت يده من المراسيم والرسائل السلطانية والأجوبة عليها؛ وكذا رسائل الفتح وبشائر النّصر التي كانت ترد من مختلف الجبهات، وغيرها من الوثائق المهمة. ونظرا لتضمّن هذا الكتاب العديد من الرسائل والمراسيم السلطانية التي تخص الجزائر، اعتُبر هذا الكتاب أحد المصادر المرجعية التي تسلط الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الدولة العثمانية والإيالات التابعة لها خلال الثلث الأخير من القرن 16.

وهذه الدراسة تهدف إلى التعريف بهذا الكتاب، وبيان أهميته في الدراسات العثمانية. مع تذييله بنص نموذجي مترجم إلى العربية يتعلق بالجزائر، لكي يأخذ القارئ تصوّرا أوّليا عن الأسلوب الذي عرض به المؤلف الرسال السلطانية التي تخص الجزائر.

التعريف بالمؤلف

هو المؤرخ ورجل الدولة فريدون أحمد بك. لا يعرف تاريخ ولا مكان مولده. توفي في إستانبول سنة 1592 أو 1593[1].أديب وشاعر وخطاط وكاتب للرسائل السلطانية. عمل كاتبا خاصّا لدى الوزير

(1) Abdülkadir Özcan, *Feridun Bey*, DİA, XII, s. 396- 397.

الأعظم صوقولي محمد باشا (1565- 1579).

وفي أثناء الفوضى التي صاحبت جلوس السلطان سليم الثاني (1566- 1574) على عرش الدولة العثمانية، لعب فريدون بك دورًا كبيرًا في مساعدة الوزير الأعظم صوقولي محمد باشا على تهدئة الأوضاع[1]، فكافأه السلطان سليم الثاني بتعيينه رئيسًا للكتّاب، قبل أن تتم ترقيته ليصبح وزيرًا مكلّفًا بمراجعة القرارات التي يصدرها الديوان قبل عرضها على السلطان. هذا المنصب الذي كان يحمل صاحبه في الإدارة العثمانية لقب «**نيشانجي Nişancı**» أي: توقيعي[2].

يعتبر عصر السلطان سليم الثاني أزهى فترات حياة فريدون بك، إلّا أنّ ذلك لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما بدأت مكانته في التراجع بعد تولّي السلطان مراد الثالث (1574- 1595) الحكم في الدولة العثمانية، وذلك بسبب انتهاج هذا الأخير سياسة التخلّص من نفوذ الوزير الأعظم صوقولي محمد باشا، والذي لا يمكن أن يتحقّق إلّا بإبعاد رجاله الذين كان يعتمد عليهم في إدارة دواليب الدّولة. وهكذا كان من الطبيعي أن ينال فريدون بك نصيبه من هذه الإجراءات. ولحماية منزلته لدى السلطان، قام فريدون بك بتأليف كتابه «**مجموع منشآت السلاطين**» وأهداه للسلطان بواسطة الصدر الأعظم صوقولي محمد

(1) Rehber Ansiklopedisi, *Ferdidun Bey Mad.*

(2) Age.XII, s. 396

باشا. غير أنّ هذا العمل لم يحظ بقبول السلطان للاعتبارات السالفة، ونتيجة للدور التحريضي الذي لعبه خصوم فريدون بك لدى السلطان الذين أوحوا إليه بعدم أهمية كتابه.

لم يلبث فريدون بك طويلًا حتّى تمّ إبعاده من منصبه كَتَوْقِيعِيٍّ بالديوان السلطاني، ليُعيّن في منصب أقل أهمية، وهو والي في مقاطعة سَمَنْدَرَة برتبة سنجق بكي، أي: أمير لواء، وذلك في سنة 1577 قبل أن ينقل بعدها إلى مقاطعة **كُوسْتَانْدِيلْ Köstendil** في نفس الوظيفة.

بعد اغتيال الوزير الأعظم صوقولي محمد باشا، تم تعيين فريدون بك سنة 1582 توقيعيا في الديون السلطاني مرة أخرى. وبعد حياة حافلة بالتقلب في مختلف الوظائف الإدارية والسياسية في الدولة العثمانية، توفي فريدون بك سنة 1592 أو 1593 بإستانبول، ودفن بمقبرة أبي أيوب الأنصاري بإستانبول.

مكانته العلمية والأدبية

يُعَدُّ فريدون بك أحد الشخصيات الإدارية والعلمية البارزة في تاريخ الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن 16. فبالإضافة إلى منصبه كتوقيعي بالديوان السلطاني الذي تولّاه لأربع سنوات من حياته المهنية، كان فريدون بك كاتبًا للرّسائل السلطانية، وشاعرًا حاز على تقدير شعراء عصره. وفضلًا عن ذلك فقد كان خطّاطًا اعترف له بالمهارة

أستاذه في فنّ الخطّ التّوقيعي قوجة نيشانجي جلال زادة أفندي[1].

أهم مؤلفاته

1. **منشآت السلاطين:**

يعتبر هذا الكتاب أهمّ مؤلفات فريدون بك على الإطلاق وبه اشتهر، فرغ منه سنة 1575، كما يعتبر أهم المؤلفات التي جمعت الرسائل السلطانية الخاصة بالسلاطين العثمانيين في القرن السادس عشر بلا منازع. فقد جمع فيه مؤلفه كلّ ما وقع تحت يده من الرسائل السلطانية منذ تأسيس الدولة العثمانية حتى عصر السلطان مراد الثالث.

2. **نزهة الأسرار الأخيار در أخبار سفر زِغَتْوَارْ (نزهة أسرار الأخيار في أخبار حملة زغتوار):**

تناول المؤلف في هذا الكتاب فتح قلعة **زِغَتْوَارْ Zigatvar** والسنوات الأولى من حكم السلطان سليم الثاني. وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا حتى الآن حسب علمي[2].

3. **نيشانجي فريدون أحمد بك قانونامه سي:**

أي: قانون التوقيعي فريدون أحمد باي. قام فريدون بك في هذا الكتاب بالتعريف بالقوانين العثمانية التي كانت سارية في عصر السلطان

(1) Age, XII, s. 296- 297.

(2) Özcan, age, XII. s. 396- 397.

مراد الثالث ومصطلحاتها. وقد تم نشر الكتاب باللغة التركية الحديثة[1].

يعتبر هذا الكتاب مصدرًا في غاية الأهمية بالنسبة للباحثين في تاريخ القانون والفقه الإسلامي؛ فضلا عن كونه يشكل مرآة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية للمجتمع العثماني الذي وضعت له تلك القوانين.

4. **مفتاح جنة (مفتاح الجنة):**

رسالة صغيرة ذات طابع ديني وأخلاقي سبقت الإشارة إليها، أدرجها فريدون بك ضمن كتاب منشآت السلاطين. لعله قصد به التلميح إلى المحيطين بالسلطان من الوشاة الذين أوغروا صدره عليه، حتى رفض قبول كتابه منشآت السلاطين.

التعريف بالكتاب وسبب تأليفه

ألف فريدون أحمد بك كتابه الموسوم بـ: «**مجموع منشآت السلاطين**» سنة 1574م. وذلك بعد سنوات طويلة من عمله في الإدارة العثمانية. وقد شرح سبب تأليفه لهذا الكتاب، مبيّنًا بأنّه قد جمع فيه المراسلات الرسمية وأهداها للسلطان. وعلّل ذلك بأنّه لاحظ بأنّ المراسيم

(1) Umit Kılıç, *Nişancı Feridun Ahmet Paşa Kanunnamesi*, AÜ, Türkiyat Araştırmaları Enstütüsü Dergisi, s. 28, Erzurum 2005, s. 281

السلطانية والقرارات وغيرها من المراسلات الرسمية الصادرة عن الديوان السلطاني تمّ إهمالها من طرف رؤساء الكتّاب. الأمر الذي جعلها عرضة للضياع مع مرور الزمن. وذكر بأنّه عندما كان رئيسًا للكتّاب قام بنسخ المراسيم والرسائل السلطانية والأجوبة الواردة عليها، وكذا رسائل الفتح (**فتح نامه لر Fetihnâmeler**) وبشائر النصر التي كانت تُرسل من مختلف الجبهات (**ظفر نامه لر Zafernâmeler**) وغيرها من الوثائق المهمة، وجعلها في دفتر خاص لأجل المحافظة عليها من الضياع. كما أشار إلى أنه منذ مطلع شبابه وهو يقوم بجمع المراسلات الرسمية الخاصة بآل عثمان، سواء كانت هذه المراسلات مكتوبة بالعربية أو بالفارسية أو بالتركية، حتى تكوّن له منها مجلد واحد. وذكر بأنّه استمر في جمع هذه المراسلات بعد تولّيه لوظيفته الرسمية كـ«**توقيعي**» في الديوان السلطاني سنة 981هـ/ 1573م. وعندما فرغ من عمله ذلك، قام بتقديمه للسلطان مراد الثالث بواسطة الصدر الأعظم صوقولي محمد باشا. غير أن هذا الكتاب لم يلق القبول اللائق من طرف السلطان بسبب طعن بعض الحُسّاد المحيطين به، والذين أوحَوْا إليه بأنّه لا طائل من جمع مراسلات السابقين في كتاب..!!.

منهج المؤلف وأهمية الكتاب

بالتدقيق في موضوع الكتاب والمنهج الذي سار عليه مؤلفه، نجده قد افتتحه بإيراد مختلف الألقاب السلطانية التي كانت تستعمل في الوثائق

العثمانية، مثل: الألقاب الخاصة بأشراف مكة وخانات القرم وسلاطين الأوزبك وألقاب ملوك فارس، وأولاد السلاطين والوزير الأعظم والوزراء المتقاعدين والدفتردار ورؤساء العشائر. بالإضافة إلى الألقاب الخاصة برؤساء الكُتَّاب وأَغَوَاتِ الباب وكُتَّاب الديوان والحرس السلطاني وفرسان السِّبَاهِيّة ودايات أوجاق الغرب ورؤساء البحر والعلماء وقاضي عسكر وشيخ الإسلام وألقاب ملوك أوربا وغيرها..

ولا شك أنّ معرفة هذه الألقاب تعتبر في غاية الأهمية، إذْ بواسطتها يمكن التمييز بين وثيقة وأخرى، وبها تعرف درجة الشخص المخاطب بالوثيقة، وبالتالي تدرك أهميته في الموضوع الذي تناولته تلك الوثيقة.

وبعدما أنهى المؤلّف حديثه عن الألقاب السلطانية، أتبعها بديباجة بيّن فيها سبب تأليفه للكتاب والمنهج الذي سلكه في ذلك على النحو الذي بينّاه آنفا. وقبل أن يشرع في إيراد الوثائق التي جمعها، أقحم رسالة من 06 صفحات سمّاها: «**رسالة الجنّة**» ضمّنها موضوعات تربوية تحدث فيها عن صفاة المؤمنين والصدّيقين والوفاء بالعهد وأهمية كتمان السرّ. كما تحدث فيها عن أرباب الشقاق والنّفاق والحسّاد وذي الوجهين والمغتابين والكذابين والمرائين.

في الحقيقة لم نستطع أنّ نعرف على وجه الدقّة السّبب الذي جعل المؤلف يقوم بإدراج هذه الرسالة في كتابه، لعدم وجود صلة بين موضوعه وموضوع الديباجة. إلّا أن يكون قصده من وراء ذلك لفت

انتباه السلطان إلى المحيطين به من الوشاة والحساد الذين أوغروا صدره عليه للتقليل من قيمة العمل الذي أنجزه بهذا الكتاب.

بعد هذه الديباجة مباشرة، شرع فريدون بك في إيراد نماذج من الرسائل النبوية ورسائل الخلفاء الراشدين وأجوبتها، واستغرقت هذه الرسائل من الصفحة 30 الى الصفحة 47 من الكتاب؛ لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الموضوع الأساسي للكتاب، وهو رسائل السلاطين العثمانيين.

وحسبما ذكر المؤرخ العثماني مصطفى سلانيكي (1563-1595/ 1600) في تاريخه، فإن فريدون بك أورد في منشآته 1880 وثيقة[1]. وعندما قام فريدون بك بنشر كتابه في الطبعة الأخيرة، قام بإصداره في مجلدين كبيرين. وحسب الطبعة الثانية من الكتاب، نلاحظ بأنه قام بتقسيم الوثائق الواردة فيه على النحو التالي:

- ❑ الوثائق الخاصة بعصر الغازي عثمان، ص 48 — 65.
- ❑ الوثائق الخاصة بعصر الغازي أورخان، من ص 66 — 87.
- ❑ الوثائق الخاصة بعصر السلطان بايزيد الأوّل (يلديريم بايزيد)، ص 87 — 113.
- ❑ الوثائق الخاصة بعصر السلطان محمد جلبي، ص113 — 143.
- ❑ الوثائق الخاصة بعصر السلطان مراد الثاني، ص 166- 220.

---

(1) سلانيكي تاريخي، 1/ 110.

- الوثائق الخاصة بعصر السلطان محمد الفاتح، ص 221 – 290.
- الوثائق الخاصة بعصر ا لسلطان بايزيد الثاني، ص 290 – 368.
- الوثائق الخاصة بعصر السلطان سليم الأول، ص 368 – 500.
- الوثائق الخاصة بعصر السلطان سليمان القانوني، ص 500- 535 من المجلد الأول؛ واستمر في ذلك حتى ص 87 من المجلد الثاني.
- الوثائق الخاصة بعصر السلطان سليم الثاني، من ص 2/ 87 إلى 100.
- الوثائق الخاصة بعصر السلطان مراد الثالث تستغرق من ص 100 وما بعدها إلى نهاية الوثائق الواردة في الكتاب.

وختم المؤلف كتابه بملحق تحدث فيه بشكل مفصل عن إدارة الأراضي في مصر. كما أضاف رزنامة للأحداث المتعلقة بحملة السلطان سليم الأول على إيران ومصر؛ بالإضافة إلى رزنامة أخرى تخص السلطان سليمان القانوني، وذلك أثناء حديثه عن الوثائق الخاصة بفترة حكمه.

هذا؛ وقد طبع كتاب منشآت السلاطين مرتين، الأولى سنة 1818، والثانية سنة 1857. وفي كلّ طبعة أضيفت إلى الكتاب بعض الوثائق

التي لم تكن موجودة في النسخة الأصلية منه، الأمر الذي جعل بعض النقاد يشككون في صحة نسبة تلك الوثائق إلى أصحابها. وقد تم نشر الكتاب باللغة التركية الحديثة بتحقيق **خليل يِنَانْجْ Halil Yinanç**[1].

الجزائر في كتاب «منشآت السلاطين»

الكتاب كما يتّضح من محتوياته جمع فيه مؤلفه مختلف الوثائق الرسمية التي صدرت عن الديوان السلطاني باسم السلطان، وعليه؛ فإنّ ما أورده فريدون بك في كتابه مما يخص الجزائر يندرج في هذا الإطار. فالوثائق المتعلقة بالجزائر التي قمت بإحصائها كانت صادرة من السلطان وموجهة بشكل أساسي إلى الشخصيات المؤثرة في الأحداث المؤثرة في الجزائر. وزمنيا وجدت معظمها يعود إلى عصر السلطان سليم الثاني أو مراد الثالث ولم أجد أية وثيقة تخص الجزائر تعود إلى عصر القانوني (1520– 1566) أو سليم الأول (1512– 1520)، ومن باب أولى ألّا نجد وثائق تعود إلى الفترات السابقة لهذين السلطانين.

ويمكن تقسيم الرسائل الخاصة بالجزائر إلى نوعين:

النوع الأول: رسائل تتحدث عن الجزائر بشكل مباشر. هذه الرسائل تناولت في مجملها قضايا متنوعة تخص الجزائر، مثل: ما يتعلّق بالصلح بين الجزائر وتونس؛ ورسائل موجهة إلى أهالي الجزائر، وأخرى إلى

---

(1) Halil Yinanç, Feridun Bey Münşeatı, '' *Türk Tarihi Encümeni Mecmuası* '', XIV/4. S. 216-226

رؤساء البحر بالجزائر، وفرمان تعيين قليج علي رئيس[1] (1500-1587) قائدا للأسطول العثماني. ورسالة أخرى إلى بيلرباي الجزائر، وفرمان تعيين رمضان باشا نائبا (قائم مقام) قلج علي رئيس على تونس بعد إلحاقها بالدولة العثمانية...إلى غير ذلك من الرسائل التي تتناول قضايا مباشرة تتعلق بالجزائر.

النوع الثاني: رسائل تخص الجزائر بشكل غير مباشر. وذلك كأن يرد اسم الجزائر فيها، أو أن جزءا من الأحداث يتعلق بالجزائر. وهذا النوع من الرسائل تشترك فيه الجزائر مع دول عديدة مثل: فرنسا وإسبانيا ومالطا وكريت وطرابلس الغرب وتونس، ونظرًا لتداخل الأحداث في ذلك العصر وتشابك العلاقات الدولية، فإنّ هذه الوثائق لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة تاريخ الجزائر.

من الناحية التقنية، لاحظت أنّ الوثائق التي أوردها فريدون بك خَلَتْ من التأريخ والتوقيع السلطاني وتأشيرة التوقيعي (نيشانجي) وغير ذلك مما نجده في الوثائق الرسمية، وذلك لأن المؤلف قام بإعادة نسخ الوثائق التي أوردها في كتابه عن وثائق رسمية. فأهمية كتابه تكمن في احتفاظه بنسخ من هذه الوثائق التي قد لا يمكن الوصول إلى أصولها اليوم. إلّا أن عدم وجود التاريخ واسم السلطان الذي صدر عنه أو

---

(1) هكذا يعرف في كافة المصادر العثمانية والتركية الحديثة. ويعرف في المصادر والمراجع الجزائرية بـ: العلج علي. والأول أصح.

صدر في عصره ذلك المرسوم أو الرسالة، يفقد الوثيقة الكثير من مصداقيتها. ولعل هذه أحد الأسباب التي جعلت بعض النقاد يشككون في صحة نسبة بعض الوثائق إلى السلاطين الذين ذكرهم فريدون بك؛ بل لم يترددوا في اتهامه بالاختلاق والتزوير[1].

(1) Abdülkadir Özcan, DİA, *Münşeâtü's-Slâtîn*, s. 20- 21.

نص نموذجي عن الجزائر مترجم من كتاب «**مجموع منشآت السلاطين**»[1]

نسخة من الأمر الشريف الموجه إلى خدمي البحارة المرابطين بالجزائر

إلى خدمي أغوات وقادة المشاة[2] وقادة الوحدات[3] وقادة الكتائب، ما يلي:

منذ الأيام الماضية حتى اليوم، وبعدما درج ملوك فرنسا على موالاة ومصافاة أجدادي العظام ومصالحتهم، لم يصدر منهم حتى اليوم أي نقض للعهود، لم يبد منهم أي سلوك يُشعر بعدم رضاهم عن عهد الأمان الممنوح لهم. إلّا أنّ حكّام الجزائر وقراصنتها ما فتئوا يعتدون على الرعايا الفرنسيين، وحينما كان يحدث ذلك، كان ملك فرنسا يقوم ولمرات عديدة، بإعلام المرحوم والمغفور له والدي السلطان المعظم طاب ثراه، ولحلّ هذه المسألة كان بدوره يرسل أحكاما شريفة مؤكدة بخصوص هذا الأمر، غير أنّه في عهدي الذي جعلته عنوانًا للعدالة، قد أرسلت مرارًا وتكرارًا أحكاما سلطانية شريفة إلى الجزائريين، بعد إخلالهم بعهد الأمان

---

(1) مجموع منشأت السلاطين، ج 2، ص 198.

(2) وردت تسميتهم في النص الأصلي بـ: يَايَابَاشِيلَرْ **Yayabaşılar**.

(3) وردت تسميتهم في النص الأصلي بـ: بْلُوكْـ بَاشِيلَرْ **Bölükbaşılar**.

المتضمّن عدم التعرّض للرعايا الفرنسيين وأموالهم وأرزاقهم. وأكدت ذلك بمختلف أنواع التنبيه والتحذير، وزيادة في التأكيد، قام ملك فرنسا بإرسال دفتر يتعلق بأموال التجار والصنّاع من مملكته إلى إستانبول[1].

والآن: ليعلم رعايا فرنسا وصنّاعها بأنّ هذا الاعتداء والتجاوز قطعيًّا لم يكن برضائي وموافقتي، وأنّ هذا الدفتر كان قد تمّ نسخه وإرساله إلى بايلرباي الجزائر سليمان باشا الذي تمّ عزله، وصدر مرسومي السلطاني الذي يقضي بإعادة أموال الفرنسيين الذين تعرضوا للاعتداء ومخالفة عهد الأمان ومعاقبة مرتكبي هذا الفساد كائنًا من كان.

وقد أمرتكم أن تجتمعوا كلكم دون تأخير بمجرد وصول مرسومي السلطاني إليكم وتقرأوا أوامري الشريفة المرسلة من عتبتي السامية؛ وأن تطلعوا على الدفتر المرسل من قِبَل ملك فرنسا. وعليكم أن تستشيروا أهل التجربة من عقلائكم وتعتقلوا مرتكبي هذا الفساد المخالفين لعهد الأمان كائنًا من كان، وتلزموهم بتعويض ما خسره الفرنسيون، وإعادة الأموال المستولى عليها لأصحابها، وأنّ تعاقبوا هؤلاء المفسدين ليكونوا عبرة لسائر

(1) يقصد التجار والصناع الذين تعرضوا لاعتداءات القراصنة والبحارة الجزائريين (المترجم).

قطاع الطرق[1].

هذا؛ وبعدما أثبت ملك فرنسا صداقته وإخلاصه لمقامنا السامي، فإنّه سيلقى منا مزيدًا من الإحسان. وأنّ ما تعرض له رعاياه وصنّاعه من اعتداء وتجاوز لم يكن قطعيًّا برضاي وموافقتي.

إنّه لن يكون أيّ إهمال، والأموال المغتصبة سوف تستعاد ويعاقب أهل الفساد المخالفون لعهد الأمان، ولن يتعرض الفرنسيون بعد الآن لأيّ ظلم.

وليكن معلومًا بأنّه تجب الطاعة والانقياد لأمري الشريف عند وصوله إليكم ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[2].

وليُعلم بأنّ أيّ مستهتر بأوامري الشريفة سوف يكون مآله خسران الدنيا والآخرة، ولن يكون عذركم مقبولا ولا جوابكم مسموعًا.

---

(1) واضح من اختياره لعبارة قطاع الطرق هنا أنه يقصد القراصنة الجزائريين الذين كانوا يعملون لحسابهم، فيقومون بمهاجمة السفن الأوربية بشكل مستقل، دون الرجوع إلى الدولة أو التفكير فيمن هو في حالة حرب أو سلم مع الجزائر أو الدولة العثمانية.

(2) سورة النساء، الآية: 58.

وعلى قادة حرس الحدود[1] والأغوات وقادة وحدات المشاة وقادة الكتائب والفرسان وقادة الوحدات المساندة[2] أن يقوموا بواجب حفظ البلاد. وعليهم أن يصادقوا من قدم إلى الآستانة عارضا صداقته. وكلّ من يخالف أوامرنا السلطانية لا يفسح له أي مجال للفساد. وأن يعاقب كل من يخالف مرسومي السلطاني كائنا من كان.

وفيما يخصّ دفع الفساد والبغي والعناد، فليعلم خدمي البحارة بأنّ مخالفتهم للشّرع الشّريف والعهد المنيف مع اعتدائهم على من تربطنا بهم علاقة صداقة، سوف يجعل منهم طغاة وبغاة. وهو ما يخرجهم عن كونهم خدمي وأتباعي، وذلك لأن خدمي هم من يتبعون الشرع الشريف، ويطيعون أوامري.

وعليه؛ فإنكم إذا خالفتم أوامري، فإنّكم لن تنالوا آثار عنايتي وتكونون عرضة لدعائي عليكم. وبموجب الشرع الشريف، فإنّه يجب عليكم أن ترعوا حقكم وأن تنظروا في العواقب، وأن تسعوا دائما للفوز بِرِضَاي السّلطاني[3].

---

(1) ورد في الأصل: سَرْحَدْ قُولْلَرِى **Serhadkulları**.

(2) ورد في الأصل وردت تسميتهم بـ: مُسَلَّمْلَرْ **Müsellemler**. هي وحدات نظامية مكلفة بتقديم مختلف أنواع الإمداد للوحدات المقاتلة في الجيش العثماني أثناء خروجه للغزو.

(3) فريدون بك، منشآت السلاطين، 2/ 198.



الفصل الرابع

«تحفة الكبار في أسفار البحار»

و «فذلكة التواريخ»

كاتب جلبي

تمهيد

يعتبر كتاب «تحفة الكبار في أسفار البحار» للعلامة الموسوعي والمؤرخ ورجل الدولة حاجي خليفة، أو كاتب جلبي أول كتاب في تاريخ البحرية العثمانية أراد به مؤلفه أن يؤرخ للمعارك البحرية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار خلال القرن 16 والنصف الأول من القرن 17، حتى سنة 1656.

وقد خصص المؤلف حوالي (60 صفحة) من كتابه للحديث عن الجزائر، اعتمد فيها بشكل أساسي على ما ورد في مذكرات خيرالدين بربروس حسبما صرح بذلك بنفسه، وأضاف إليها ما وقع تحت يده من مصادر لم يشر إليها.

ونظرًا لأهمّيّة هذا الكتاب رأيت أنّه من الضروري إدراجه ضمن هذه الدراسة، جاعلًا منه نموذجًا للكتابة التاريخية العثمانية خلال القرن 17. هذه الكتابة التي تميزت بأنّها دُوِّنَتْ من طرف كبار الموظفين الذين جمعوا بين العلم والإدارة والعسكرية، على أمل أن يتسنّى لي إضافة نماذج أخرى من الكتابات التاريخية التي أُلّفت من طرف شخصيات علمية لا تقلّ أهميّة عن هذه التي تمّ اختيارها في هذه الدراسة.

التعريف بالمؤلف ومكانته العلمية

هو العلامة الموسوعي التركي الذي لمع نجمه في القرن السابع عشر الميلادي. اسمه الحقيقي مصطفى، واسم والده عبد الله. اشتهر بلقب:

حاجي خليفة[1] **وكاتب جلبي**. ولد في إستانبول سنة 1609، وتوفّي بها سنة 1657م. تعلم في مدرسة **أَنْدَرُونْ Enderun** الخاصة بإعداد الكوادر الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية.

التحق بوالده للعمل في ديوان هومايون[2]، حيث عمل محاسبًا، فمكّنه هذا المنصب من اكتساب خبرة في المحاسبة، فضلاً عن تدرُّبه على خطّ **السياقة Siyaket yazısı**[3].

تولّى عدّة مناصب في الجيش العثماني، وشارك في العديد من الحملات العسكرية في مناطق مختلفة من العراق ضدّ الصّفويّين في السنوات: (1626، 1630، 1635). كما اشترك في قمع حركات التمرّد التي اندلعت في **أَرْضْرُومْ Erzurum ودياربكر Diyarbakır** سنة 1628.

وخلال ذلك تمكن من تسجيل مشاهداته في كتابيه: **جِهَانُّومَة وفذلكة**[4]. وفي أثناء وجوده في إحدى الحملات لقمع الثورات التي اندلعت في شرق الأناضول، انتهز فرصة انسحاب الحملة إلى حلب فزار

---

(1) Abdlülhak Adnan Adıvar. *Osmanlı Türklerinde İlim*, İstanbul 1943, s. 105.

(2) ديوان هومايون: مجلس ورزاء الحكومة العثمانية.

(3) خط السياقة هو الخط الذي كانت تكتب به الرسائل المشفرة ذات الطبيعة العسكرية والأمنية. وكذلك التقارير المالية التي يعدّها مفتّشو الإدارة المالية في الدولة العثمانية.

(4) سيأتي التعريف بهما عند الحديث على مؤلفات كاتب جلبي.

البقاع المقدسة حيث أدى فريضة الحج، فأصبح لقب «**حاجي**» ملازمًا له منذ ذلك التاريخ.

لم تمنعه خدمته في الجيش من تلقي العلوم المختلفة عندما كان يعود إلى إستانبول. ولأجل ذلك التحق بدروس العالم **قاضي زادة أفندي**، الذي تأثر به كثيرا. إذْ قرأ عليه التفسير وإحياء علوم الدين وشرح المواقع والدرر والطريقة المحمدية[1]. كما حضر دروس عالم العصر صاحب الفضائل **الشيخ الأعرج مصطفى أفندي**[2]. وقد خصّ هذا الأخير كاتب جلبي بعناية خاصة، لتميّزه عن غيره من طلابه. فقرأ عليه كاتب جلبي كتب **الأندلسية**، و**هداية الحكمة** حتى الباب الرابع و**شرح ملخص الهيئة**. كما حضر الدروس العامة التي كان يلقيها الشيخ **كجي محمد أفندي** في جامع أياصوفيا والسليمانية.

وفي أثناء وجوده في ديار بكر خلال إحدى الحملات في شرق الأناضول، لقي العديد من العلماء واستفاد منهم من خلال جلسات المناظرة التي كان يعقدها معهم في سنة 1635.

ترك كاتب جلبي الخدمة في الجيش ليتفرغ بشكل كامل للعلم والمعرفة، وأنفق ما جمعه من مال وما ورثه عن والده لاقتناء آلاف

---

(1) Kâtib Çelebi: *Hayatı ve Eserleri Hakkında İncelemeler*, Ankara 1985,s 38.

(2) Bursalı Mehmet Tahir, *Osmanlı Müellifler*, İstanbul III, 124-131

الكتب. كما شرع في تدوين أسماء الكتب التي شاهدها خلال وجوده في حلب عند الصَّحَّافين[1]. واهتم بتقييد كتب التاريخ والطبقات والتراجم على وجه الخصوص لشغفه بقراءتها، فلم تأت سنة 1636 حتى كان كاتب جلبي قد فرغ من قراءة معظم تلك المصنفات[2].

خلال انشغاله بالتدريس لبعض طلبته انشغل إلى جانب ذلك بدراسة علم الخرائط، وذلك خلال حملة **كْرِيتْ Krit** سنة 1645. وفي أثناء مرضه انشغل بدراسة كتب الطب من أجل مداواة نفسه، فتمكن بفضل ذلك من اكتساب معارف طبية كثيرة. كما قام بترجمة بعض الآثار من اللاتينية إلى التركية بفضل المسلم من أصل فرنسي محمد إخلاصي.

هذا؛ وقد أعطى كاتب جلبي أهمية كبيرة للدراسات التاريخية والبيبليوغرافية. ولتوسيع معارفه التاريخية تمكن من الاطلاع بشكل واسع على المصادر التاريخية. فقد ذكر بأنّه في أثناء تأليفه لكتاب «**فذلكة**» راجع 1300 مصدراً. وأعاد هذا التصريح عند حديثه عن كتابه: «**تقويم التواريخ**».

بالإضافة إلى اهتمامه بالدراسات التاريخية، اهتم كاتب جلبي أيضا بالجغرافية واعتنى بها عناية خاصة. وإدراكا منه لتفوق الجغرافيين الغربيين واليونان على المسلمين في هذا العلم، ألّف كتابه «**جِهَانُّومَة**

---

(1) أي بائعو الكتب وأصحاب المكتبات.

(2) *Bilgi*, XI/128. İstanbul 1957 (Kâtib Çelebi özel sayısı)

Cihannuma» لاستدراك هذا النقص.

انتقد في مؤلفاته التاريخية معاصريه ومن تقدمه من المؤرخين الأتراك، أمثال: زكريا القزويني في كتابه: «**أعشار البيلود**»، وعالي مصطفى أفندي في كتابه: «**كنه الأخبار ومرآة العوالم**»، وكذا الحديدي في منظومته **التاريخ العثماني** وغيرهم.

نال كاتب جلبي اهتماما كبيرًا لدى الباحثين الأتراك والغربيين على حد سواء، باعتباره أحد نوابغ القرن 17م. ومما يدل على ذلك، اعتناؤهم بكتابه: «**كشف الظنون في أسامي الفنون**» باعتباره كتابا موسوعيًا ومرجعًا أوّليًا في الدراسات الشرقية. ولا غرابة أن تترجم العديد من مؤلفاته إلى مختلف اللغات العالمية.

اهتمّ كاتب جلبي بدراسة المشكلات الاجتماعية والفكرية التي عايشها في عصره وتناولها بالدراسة والتحليل، وذلك إيمانًا منه بأنّ العالم يجب أن يمثل صوت العقل لدى الدولة والمجتمع. ومن أجل ذلك ساهم في البحث عن الحلول الملائمة لمشاكل مجتمعه.

وليس من المبالغ فيه إذا اعتبرنا كاتب جلبي من أبرز المتأثرين بمدرسة ابن خلدون التاريخية من خلال مزجه بين حركة التاريخ وحركة المجتمع وفعالياته. ويتجلى ذلك بالتأمل في كتابه القيم: «**دستور العمل**».

بعد حياة حافلة بالدراسة والبحث، توفي كاتب جلبي في 1657، ودفن في المقبرة المجاورة لجامع زيرق بإستانبول.

أهم مؤلفاته التاريخية

ترك كاتب جلبي العديد من المؤلفات ذات القيمة العلمية الكبيرة في مختلف العلوم. وبخصوص الدراسات التاريخية التي خلّفها نشير إلى أهم مؤلفاته:

1. فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار، المعروف اختصارا بـ: «فذلكة التواريخ»:

كتاب في التاريخ العام منذ ظهور الخليقة حتى سنة 1641م باللغة العربية حققه الدكتور سيد محمد السيد ونشره مجمع التاريخ التركي بأنقرة سنة 2009.

2. تقويم التواريخ:

كتاب في التاريخ العام من آدم عليه السلام حتى 1648. ألفه بالتركية ورتبه على الحوليات. يعتبر كتابًا مستقلًّا أشبه بفهرس لأهم الأحداث التاريخية منذ نزول آدم حتى 1648. يعتبره بعض الباحثين فهرسا لفذلكة التواريخ الآنف الذكر. وقد أُلِّفَتْ حوله ذيول تكميلية عديدة. طبع في أجزاء متفرقة لأوّل مرّة سنة 1728. ثمّ أعاد نشره الباحث التركي علي سُوَارِي مُذَيَّلًا بتعليقات هامة.

3. تاريخ ملوك آل عثمان:

كتاب مختصر في التاريخ العثماني، ألفه كاتب جلبي باللغة العربية نشر مذيلا مع كتاب فذلكة التواريخ المشار إليه آنفا. إلّا أنّ البعض لا يعتبره كتابا مستقلا، بل يعتبره تعليقات على بعض الحوادث الواردة في فذلكة التواريخ.

4. فذلكة (النسخة التركية):

كتاب يتناول الحوادث الواقعة خلال الفترة (1592- 1655). الكتاب مطبوع بالتركية القديمة والحديثة. وهذا الكتاب ليس ترجمة تركية للنسخة العربية كما يظن البعض، بل يعتبر مستقلا وأكثر توسّعاً وتفصيلاً من الفذلكة العربية.

5. تحفة الكبار في أسفار البحار:

كتاب تطرق فيه إلى المعارك الحربية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار في مطلع القرن السادس عشر والسابع عشر حتى سنة 1656م. يعدّ هذا الكتاب أهم كتاب في تاريخ البحرية العثمانية. نشر لأول مرة سنة 1729، ثم نشر بعد ذلك عدة مرات. كما نشر لأول مرة بالتركية الحديثة سنة 1973. ترجم إلى الإنجليزية ونشر من طرف منظمة اليونيسكو سنة 2009 بمناسبة الاحتفالية التي نظمت في إستانبول لإحياء الذكرى 400 لميلاد كاتب جلبي.

5.ترجمة تاريخ افرنجي:

نشر في باريس من طرف جون كاريون سنة 1548. الكتاب مرتب على طريقة الحوليات. ترجمه كاتب جلبي بمساعدة المهتدي الفرنسي محمد إخلاصي. (توجد نسخة مخطوطة وحيدة في مكتبة عزة كويوناوغلوبقونيا، تركيا).

6. إرشاد الحيران إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى:

كتاب يتناول تاريخ الدول الأوربية. اشتمل على معلومات نادرة تتعلق بالدول الأوربية. ألفه للمؤرخين المهتمين بالتاريخ الأوربي. الكتاب يحتوي على 56 ورقة. مقسّم إلى قسمين: الأوّل: يتناول أديان ومذاهب أوربا، والثاني: النظام الإداري في أوربا.

7.سلم الوصول إلى طبقات الفحول:

كتاب في الطبقات مرتب على حروف المعجم. ألّفه كاتب جلبي باللغة العربية، ويتكوّن الكتاب من قسمين رئيسيين: الأول: تناول فيه المؤلف الأعلام المشهورين بأسمائهم. وأما القسم الثاني: فقد خصصه للمشهورين بأنسابهم وكناهم وألقابهم. الكتاب اعتمد فيه كاتب جلبي على كتاب: «**تاريخ اللباب**» للسيوطي، وأضاف إليه ما جمعه من غيره من المصادر التي فاق عددها 100 مصدراً. توجد منه نسخة مسوّدة يبدو أنّ المؤلّف لم يفرغ من تأليفها في مكتبة السليمانية. وضع له العلامة أوسطاقي زادة ذيلا أكمل به الترجمة للأعلام الذين لم يدركهم كاتب

جلبي زادة حتى سنة 1761.

8. جِهَانُّومَة Cihannuma:

كتاب مشهور ألفه كاتب جلبي في الجغرافيا تضمن معلومات مهمة عن الخصائص الجغرافية والاجتماعية للمجتمعات التي قام بدراستها.

9. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:

موسوعة باللغة العربية تناول فيه كاتب جلبي التعريف بالمؤلفات العربية منذ عصر ابن النديم مؤلف كتاب الفهرست حتى عصره. الكتاب مطبوع عدة مرات في مختلف البلدان[1].

---

(1) لمزيد من التفاصيل عن شخصية كاتب جلبي ومؤلفاته، انظر:

Şeyhî, *Vekâyİu't-fuzalâ*. I, 262-264Bursalı Merımed Tâhir, *Müverrihini Osmâniyye'den Âlî ,Kâtib Çelebİ'nin Tercüme-i Halleri*, Selanik 1322, s. 18-43; Osmanlı Müellifler, İstanbul III, 124-131; AbdülhaK Adnan Adıvar. *Osmanlı Türklerinde İlim*, İstanbul 1943, s. 105; Bekir Kütükoğlu, Kâtib *Çelebi "Fezleke"sinin Kaynakları*, İstanbul 1974; Babinger (Üçok). s. 214-223; Osrnan Saik Gökyay. *Kâtib Çelebi: Yaşamı, Kişiliği ve Yaptıklarından Seçmeler*, Ankara 1982; *Kâtib Çelebi: Hayatı ve Eserleri Hakkında İncelemeler,* Ankara 1985; Ali Canip [Yöntem]. "*Kâtib Çelebi'de Liberallik*", HM, 111/ 20 (1927), s. 462; *Bilgi, XI*/128. İstanbul 1957 (Kâtib Çelebi özel sayısı

التعريف بالكتاب الأول:

تحفة الكبار في أسفار البحار

الكتاب -كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل- تحدّث فيه مؤلفه عن أهم المعارك البحرية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار منذ القرن الخامس عشر حتى عصر المؤلف. وقد نشر الكتاب في جزأين، كل منهما مكون من عدة فصول.

الجزء الأول: يتكون من مدخل وتسعة فصول.

المدخل: أورد فيه المؤلف معلومات جغرافية تتعلق بالبحار والمحيطات، معطيًا أهميّة خاصّة لسواحل البحر المتوسط وإيجة والجزر الواقعة فيهما مثل جزيرة المورة؛ بالإضافة إلى سواحل ألبانيا والبوسنة والجمهوريات الإيطالية وفرنسا وإسبانيا[1].

الفصل الأوّل: خصّصه للحديث عن الأساطيل العثمانية، والفتوحات التي قامت بها، ونماذج مختصرة عن المعارك التي وقعت منذ منتصف القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر[2].

الفصل الثاني: خصّصه للحديث عن الحروب العثمانية في البحر

---

(1) ص 5-17.

(2) ص 18-40.

المتوسط خلال عصر خيرالدين بربروس، وهنا نلاحظ بأنه خصص حوالي 60 صفحة من الكتاب للحديث عن الجزائر. ذكر بأنّه اعتمد فيها على مذكرات خيرالدين بربروس، وأنّه ينقل ما ورد فيها ملخصا[1].

ومن أهمّ المباحث التي تناولها في هذا الفصل ممّا له علاقة بالجزائر:

- غزوات عروج وخيرالدين.
- محاصرة بجاية وفتح جيجل.
- قدوم عروج إلى الجزائر.
- هجوم أساطيل الكفار والقبائل البدوية على قلعة الجزائر.
- فتح تنس.
- فتح تلمسان.
- قدوم الكفار لغزو قلعة الجزائر.
- استيلاء حسن باي على تلمسان.
- مقتل الأسرى بالجزائر.
- هزيمة سلاطين تونس وتلمسان.
- الاستيلاء على تلمسان للمرة الثانية.
- تمرد ابن القاضي.

(1) ص 41.

- ❑ هجرة خيرالدين إلى جيجل.
- ❑ غزوات خيرالدين في جيجل.
- ❑ الحرب والسلام مع سلطان تلمسان عبد الله.
- ❑ موضوع حصن الجزيرة.
- ❑ الاستيلاء على الحصن.
- ❑ غزوة أيدين رئيس.
- ❑ ظهور أندريا دوريا وغارة خيرالدين.
- ❑ فرار أندريا دوريا والمعركة في البر.
- ❑ استيلاء أندريا دوريا على قورون وتمرد سلطان تلمسان.
- ❑ أحوال الموريسكيين في إسبانيا.
- ❑ مخادعة أندريا دوريا واحتياط خيرالدين.
- ❑ اعتقال الأسرى الكفار وإعدامهم.
- ❑ وفود خيرالدين على السلطان العثماني.
- ❑ سفر خيرالدين إلى حلب.

الفصل الثالث: خصّصه للحديث عن الحوادث التي وقعت في أثناء تولي خيرالدين لقيادة الأسطول العثماني. ومن أهمّ الموضوعات التي تطرق إليها:

- ❑ الأحوال البحرية في أثناء تولي خيرالدين باشا لقيادة الأسطول العثماني.
- ❑ الغزوات الأولى لخيرالدين باشا.
- ❑ استيلاء الكفار على قلعة تونس بعد معركة شديدة.
- ❑ استيلاء خيرالدين على جزر البندقية.
- ❑ هدايا خيرالدين المرسلة إلى السلطان.
- ❑ حملة خيرالدين الثالثة.
- ❑ معركة خيرالدين الكبرى.
- ❑ انهزام الكافر وفراره.
- ❑ غارة الكفار على حصن نوفا.
- ❑ حملة ملك إسبانيا على الجزائر، وصمود حسن باشا.
- ❑ طلب فرنسا مساعدة الدولة العثمانية وتدخل السلطان.

الفصل الرابع: خصّصه للحديث عن غزوات قادة الأسطول العثماني بعد خيرالدين وظهور بيالة باي[1].

الفصل الخامس: غزوات بيالة باي[2].

وفي هذا الفصل تحدّث عن بعض الموضوعات ذات العلاقة بتاريخ

(1) ص 91.

(2) ص 106.

الجزائر العثمانية وغيرها من بلدان المغرب العربي في بداية القرن السادس عشر، منها:

- مساعدة العثمانيين لفرنسا.
- غزو وهران.
- الحملة على بنزرت.
- الحملة على جربة.
- نهب جزيرة مالطا.
- استشهاد تورغوت رئيس.

الفصل السادس: حول غزوات علي باشا[1].

الفصل السابع: حول قادة الأساطيل العثمانية وغزواتهم لجزيرة كريت[2].

الفصل الثامن: شرح أسباب الخروج لغزو جزيرة كريت[3].

الجزء الثاني: قسمه إلى عدة أقسام. أهمها:

القسم الأول: التعريف بأهم قادة الأساطيل العثمانية حتى عصر المؤلف[4].

---

(1) ص 130.

(2) ص 152.

(3) ص 185.

(4) ص 213.

القسم الثاني: حول التشكيلات البحرية ونظمها وقوانينها[1].

القسم الثالث: غزوات الأسطول العثماني في البحر واللوائح المنظمة لذلك[2].

القسم الرابع: اللوائح المنظمة لغزوات البحر[3].

القسم الخامس: أنواع السفن ورياس البحر وعمال الموانئ[4].

القسم السادس: مالية الأسطول العثماني[5].

القسم السابع: حول غزوات البحر ونصائح البحارة[6].

التوضيحات: اشتملت على الهوامش التوضيحية التي ذيّلها ناشر الكتاب.

القاموس: اشتمل على العديد من المصطلحات التاريخية الواردة في الكتاب مرتبة على حروف المعجم.

ملاحظات منهجية حول الكتاب:

أشار المؤلّف إلى أنّه اعتمد على مذكرات خيرالدين بربروس في روايته للأحداث المتعلقة بالوجود العثماني في المنطقة خلال الفترة الأولى من

---

(1) ص 225.

(2) ص 233.

(3) ص 233.

(4) ص 235.

(5) ص 238.

(6) ص 245.

القرن السادس عشر. وقد التزم المؤلف بما ذكره في مقدمة الكتاب، إلّا أنّه بمقارنة بسيطة بين ما ورد في الكتاب موضوع الدراسة وما ورد في مذكرات خيرالدين بربروس نجد بأنّ المؤلّف قد استفاد من مصادر أخرى غير المذكّرات، إلّا أنّه لم يشر إليها. ويتجلى ذلك بملاحظة وجود تفاصيل لحوادث تاريخية في كتاب تحفة الكبار لم يرد ذكرها في مذكرات خيرالدين بربروس.

كما نشير إلى أنّ المؤلّف يُعَدُّ من أوائل المؤرخين الأتراك الذين اتّجهوا بهذا المنهج إلى دراسة التاريخ الموضوعي، بعدما كانت الكتابة التاريخية تنهج منهج الحوليات التي تجعل من السلطان محورا للحوادث التاريخية، فخصّص كاتب جلبي كتابه هذا لدراسة موضوع واحد هو المعارك الحربية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار، خصوصا البحر المتوسط الذي كان ميدانا أساسيا للصراع بين أوربا ممثّلا في إسبانيا وحلفائها من جهة، والعالم الإسلامي ممثّلا في الدولة العثمانية من جهة ثانية، وذلك خلال فترة زمنية محددة، هي القرن 16 ومنتصف القرن 17 الميلاديين.

وكغيره من المؤرخين المسلمين غلب على دراسته أسلوب الإطراء والإعجاب بالبحرية العثمانية. حيث يلاحظ القارئ حديثه بإعجاب كبير وإشادة بالغة بالانتصارات التي حققتها الأساطيل العثمانية، والمبالغة في تضخيم خسائر أساطيل الأعداء دون الإشارة إلى هزائم

العثمانيين وخسائرهم، وحتّىٰ وإن اضطر إلىٰ ذلك، فإنّه يكتفي بالمرور عليها بشكل سريع.

وبالرّغم من اعتبار الكثير من الباحثين أن كاتب جلبي متأثر إلىٰ حد كبير بمنهج ابن خلدون في دراسة التاريخ، نظرًا لاهتمامه بنقد غيره من المؤرخين، والاهتمام بحركية المجتمع؛ إلّا أنّه لم يوظف ذلك في كتابه هذا، بل اكتفىٰ بما ورد في مذكّرات بربروس وغيرها من المصادر الأخرىٰ التي استعان بها دون تمحيص أو نقد.

كما أنّه تابع خيرالدين بربروس في إغفال أسماء الكثير من الأماكن والأشخاص والحوادث التي تحتاج إلىٰ التصريح بها لكي يتمكن الباحث من الرجوع إليها ودراستها انطلاقًا من المعلومة الدقيقة التي ذكرها كاتب جلبي.

بعض مآخذ الكتاب:

بالرغم من أهميّة الكتاب وغزارة مادته، إلّا أنّنا لاحظنا عليه بعض المآخذ المتعلّقة بعدم التثبّت من الأماكن والحوادث التاريخية الخاصة بالجزائر. ومن ذلك علىٰ سبيل المثال: زعمه بأنّ بجاية تقع في نواحي طرابلس[1]، وأنّ الذي وقع في الأسر لدىٰ فرسان القديس يوحنا

(1) انظر تحفة الكبار، ص 42.

بجزيرة رودس هو خيرالدين[1]، بينما يصرح هذا الأخير في مذكراته بأن الذي وقع في الأسر هو أخوه عروج[2]. بالإضافة إلى خلطه بين الحفصيّين والزيّانيّين. فقد زعم مثلا بأن أخا السلطان الحفصي لجأ إلى إسبانيا طالبا مساعدته على استرجاع عرشه من السلطان المغتصب له في تلمسان. فأعانه الإسبان بتسهيل استيلائه على تنس. وهذا ينطبق على الأمير الزياني يحيى الثابتي الذي أجلسه الإسبان على عرش تنس نكاية في عمه أبي حمو الثاني الذي قاومهم في وهران[3]. كما لوحظ عليه، مثلما أشرنا إلى ذلك سابقا، تضخيم أرقام الغنائم وأعداد الأسرى والسفن التي يتم غنمها في المعارك الحربية ضد السفن والجيوش المسيحية. وفي مقابل ذلك يتجاهل خسائر العثمانيين البشرية والعسكرية أو يقللها. ويؤاخذ على الكتاب أيضا اعتماده على مصادر أخرى غير المذكرات دون أن يصرح بها[4]. ويتجلّى ذلك في تطرّقه إلى أحداث وقعت بعد المذكّرات التي تنتهي حوادثها عند حملة شرلكان على الجزائر سنة 1541. ولا شكّ أنّ عدم ذكر كاتب جلبي لمصادره يربك الباحث ويضطره إلى البحث من جديد على مصادر تلك المعلومات للتأكد من

---

(1) نفس المصدر، ص 43.

(2) انظر: **مذكرات بربروس،** مصدر سابق، ص23.

(3) انظر ما أورده كاتب جلبي في التحفة، ص 46.

(4) هذه الأرقام من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها في هذه الدراسة. ويمكن ملاحظتها بسهولة بمجرد قراءة بضع صفحات من الكتاب.

صحتها وتوثيقها.

أهمية الكتاب:

مهما كانت المآخذ التي يمكن أن يلاحظها الباحث عند تدقيقه في الكتاب، إلّا أنّ ذلك لا ينقص من قيمته كمصدر مهم في تاريخ البحرية العثمانية. فضلاً عن كونه أحد المصادر التركية التي تؤرخ للبحرية العثمانية في المغرب العربي. وعليه فإنّه حرِيٌّ أن يأخذ هذا المصدر مكانته اللائقة به لدىٰ الباحثين.

هذا، وتزداد أهميّة «**تحفة الكبار في أسفار البحار**» بالنّظر إلىٰ تميّز مؤلفه قد جمع بين صفتين نادرًا ما تجتمع في غيره من المؤرخين، وهما: كونه أحد موظفين الدولة العارفين بخباياها، وكونه رجل علم وثقافة موسوعية متنوعة مكنته من الإمساك بزمام البحث التاريخي. وفضلاً عن ذلك، فإنّ المؤلّف قد عاصر الوجود العثماني في الجزائر، ولا شكّ أنّه كان علىٰ دراية بمجريات الأحداث عن قرب بحكم إقامته في إستانبول وقربه من أصحاب القرار ورجالات الدولة -التي كان واحدا منهم-.

ولا تكمن أهمية الكتاب في جانبه المعرفي والمعلوماتي هذا فحسب؛ بل تميّزه بسلاسة الأسلوب ووضوح المنهج. فقد كتب بلغة تركية خالية من التكلف والتعقيد وبطريقة في غاية الدقة والتنظيم.

ولأهمية الكتاب، فإنّ معرفة التاريخ العسكري والسياسي للجزائر

خلال المرحلة العثمانية من تاريخها يبقى ناقصًا ما لم يُترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ليكون في متناول أيدي الباحثين المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث.

كما أدرك الغرب أهمّيّة هذا الكتاب، حيث قامت منظمة اليونيسكو بترجمته ونشره باللغة الإنجليزية بمناسبة الذكرى 400 لوفاة مؤلفه كاتب جلبي. فليت المنظمات العربية أو الوطنية المهتمة بالعلوم والثقافة تأخذ بزمام المبادرة وتقوم بترجمة الكتاب ونشره باللغة العربية ليكون بين يدي الباحث والقارئ العربي.

الجزائر في كتاب «تحفة الكبار في أسفار البحار»

خصّص كاتب جلبي حوالي 60 صفحة من «**تحفة الكبار**» للحديث عن الجزائر بدون انقطاع، وصرّح في مقدمة ما كتبه بأنّه ينقل ذلك مختصرا من «**مذكرات خيرالدين بربروس**»، غير أنّنا عندما ندقّق النّظر فيما ورد في «**مذكرات خيرالدين بربروس**»، وما ورد في «**تحفة الكبار في أسفار البحار**» نجد بعض الفروق المهمّة في المعلومات الواردة في كلا الكتابين، بالرغم من اعتماد الثاني على الأوّل منهما. وهذه الفروق تجعلنا نعتقد بأنّ كاتب جلبي لم يكتف بما أورده في «**تحفة الكبار**» بـ«**المذكرات**»؛ بل راجع مصادر أخرى فضّل عدم الإشارة إليها. هذا بالنسبة للفترة التي عاصرها خيرالدين بربروس، وأمّا في المراحل التالية لذلك، فقد تطرّق إلى الجزائر في مواضع مختلفة من كتابه دون أن يخصّص لها فصلا

خاصا، وذلك بحسب ما يتوفر لديه من معلومات يوردها في السياق العام الذي وردت فيه الحوادث، وفي كلّ ذلك كان يستمد معلوماته من مصادر أخرى غير المذكّرات، وذلك لأنّ الحوادث الواردة في المذكّرات تتوقف عند حملة شرلكان على الجزائر سنة 1541، بينما تجاوزت الأحداث التي أوردها كاتب جلبي في «**تحفة الكبار**» هذا التاريخ إلى ما بعد وفاة خيرالدين بربروس سنة 1546.

نص نموذجي عن الجزائر مترجم من كتاب:

«تحفة الكبار في أسفار البحار»

هجوم سفن الكفار والقبائل العربية على قلعة الجزائر

«علم الكفار والقبائل المتحالفة معهم باستيلاء أُرُوجْ[1] على الجزائر. فجهّز الإسبان لمهاجمته أربعين سفينة من نوع بارة PARE وأربعين قطعة أخرى من نوع بارجة BARÇA على متنها خمسة عشر ألف مقاتل كافر، تلاحقوا أفواجا حتّى اجتمعت وحدات أسطولهم قريبا من الجزائر.

فلمّا علم أروج رئيس بتوجّه الكفار إلى الجزائر، أخذ في الاستعداد للتصدّي لهم مع أتباعه. وقرّر أن يبدأ بصدّ القبائل المتحالفة مع الكفار. فسار إليها واشتبك مع رجالها في معركة شديدة، انتهت بعون الله تعالى بانتصار أروج وهزيمة رجال القبائل الذين ولّوا مدبرين، بعدما خلّفوا وراءهم اثني عشر ألف بعير.

وما كاد أروج رئيس ينتهي من أمر القبائل، حتّى وصل أسطول الكفّار ورست سفنه قريبًا من قلعة الجزائر، وعندما تكامل اجتماع

(1) يقصد «عروج» أخو خيرالدين بربروس؛ لأن اسمه يرد في كافة المصادر والوثائق التركية هكذا: «أروج رئيس» أو «أروج باي».

وحداته، قام الكفّار بإنزال قواتهم في البر ونصبوا مدافعهم نحو قلعة الجزائر، وضربوا عليها حصارا شديدا.

كانت أجزاء عديدة من قلعة الجزائر متهالكة على وشك الانهيار، فانشغل أروج رئيس بترميم الفجوات الخربة منها. وبينما هو كذلك إذ قام الكفار بشنّ هجوم خاطف على القلعة، حتى تمكنوا من نصب رايتهم على أحد أسوارها. فردّهم رجال أروج رئيس على أعقابهم بعيدا عن القلعة، وتمكّنوا من إنزال راية الكفار من الموضع الذي نصبت فيه. ولم يمض وقت طويل حتى لاحقت بوادر الهزيمة على الكفار، وبدأوا يلوذون بالفرار طالبين النجاة في سفنهم الراسية على ساحل الجزائر، فأدركهم غزاة الجزائر وألحقوا بهم خسائر كبيرة، بعدما قضوا على أكثر الكفار الذين لم يَنْجُ منهم سوى ألف مقاتل.

عندما فرغ أروج رئيس من كسر شوكة الكفار، دانت له الجزائر. فأرسل على إثر ذلك إلى أخيه خيرالدين يبشِّرُه بالنصر، ويعلمه بما آلت إليه الأمور في قلعة الجزائر. فلما بلغ الخبرُ خيرالدين سار إلى جيجل، وهناك ألقى القبض على شيخ البلد الذي كان مواليًا للكفّار، وفرض عليه أن يؤدّي إليه ما كان يدفعه إلى الكفار من مال. وعندما فرغ من أمره توجه إلى الجزائر للقاء أخيه.

فتح تنس

قبل الأحداث السالفة الذكر كان أخو ملك تلمسان الذي ينتسب إلى بني حفص[1] قد لجأ إلى إسبانيا، طالبًا منهم مساعدته في الاستيلاء على تنس، فأمدّه هؤلاء بأربع سفن مشحونة بالرجال والعتاد، استطاع أن يستولي بها على قلعة تنس.

لم يقبل أهالي تنس استعانة الأمير المذكور بالإسبان واستيلائه على قلعتهم، فأرسلوا إلى أروج رئيس يرجونه أن يقدم عليهم ليخلّصهم من الأمير وحلفائه الإسبان. فاستجاب أروج رئيس لطلبهم وأرسل إليهم أخاه خيرالدين. فلما رأى الأمير وحلفاؤه الكفار ذلك تحصنوا بقعة تنس.

استولى خيرالدين على سفن الكفار الراسية في مرسى تنس، ثمّ فرض على قلعتها حصارًا شديدًا، وبعد يومين من الحصار أدرك الكفار بأنهم لا يستطيعون الاستمرار في المقاومة، فطلبوا الأمان.

---

(1) هذا سهو من المؤلف، لأن سلطان تنس في هذه الفترة كان من بني زيان وليس من بني حفص. وفي هذه الفترة كان الصراع محتدما بين أفراد البيت الزياني على العرش، حيث عمل الإسبان على تغذية هذا الصراع لإضعاف الدولة الزيانية وبالتالي التمكن من احتلال السواحل الجزائرية دون أن=

= يتمكن أحد من التصدي لهم. لمعرفة أوضاع الدولة الزيانية في هذه المرحلة أنظر: محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015، ص 83- 94.

فقبل منهم خيرالدين ذلك وأذن لهم بالانسحاب مقابل تسليم القلعة. فوافقوا على ذلك وخرجوا عائدين إلى بلادهم. أمّا الأمير الحفصي، فإنّه خرج من القلعة متذرّعا بملاقاة خيرالدين، إلّا أنّه لاذ بالفرار فور خروجه منها.

دخل خيرالدين قلعة تنس فوجد بها أربعمائة من العرب الموالين للإسبان، فقام باعتقالهم وهَمَّ بأخذهم معه إلى الجزائر، غير أنّ الأهالي رجوه أن يطلق سراحهم ويعفو عنهم، فأجابهم لذلك وعفا عنهم. وبعدما تمكّن خيرالدين من الاستيلاء على تنس قفل عائدًا إلى الجزائر محمّلا بغنائم وافرة.

بعد هذه الحادثة تقاسم أروج رئيس وخيرالدين القلاع والحصون الواقعة بين الجزائر وبجاية، وكان عددها عشر قلاع. وكتب الأخوان بينهما اتفاقا يقضي بأن يتولى خيرالدين إدارة خمس قلاع في شرق الجزائر؛ بينما يتولى أروج رئيس إدارة القلاع الخمس الواقعة غرب الجزائر.

غزو بجاية وفتح جيجل

قام خيرالدين وأخوه أروج بتجهيز عشر سفن وانطلقوا بها إلى قلعة بجاية. وفي طريقهم قاموا بفتح قلعة صغيرة تدعى جيجل، وأسر مئة كافر كان متحصّنا بها. وتركوا فيها خمسين غازيًا مزودين بثلاث سفن لحمايتها. ثم توجهوا إلى بجاية، فلما أتوها أمر

خيرالدين بإنزال رجاله ومعدات القتال في البرّ. لقد كان ببجاية قلعتان حصينتان، تمكّن غزاة البحر من فتح إحداهما وأسر خمسمائة كافر بعد أربعة أيام من القتال العنيف.

وخلال محاصرة القلعة التحق بخيرالدين عشرون ألف مقاتل من رجال القبائل الذين قدموا لنصرته من مختلف نواحي بجاية. فأذن لهم خيرالدين بنهب القلعة بعد فتحها، وبعد ذلك حاصر الغزاة القلعة الثانية، وقاموا بقصفها عشرين يوما. فلما نفد ما عندهم من البارود أرسل خيرالدين إلى سلطان تونس يطلب إمداده بالبارود، فلم يجبه السّلطان إلى ذلك.

في هذه الأثناء وصل أسطول كبير من أساطيل الكفار مكوّن من مئتي قطعة بحرية على متنها أكثر من عشرة آلاف مقاتل. فلمّا رأى الغزاة ذلك أصيبوا بالإحباط واليأس من فتح القلعة، ولم يكن بوسعهم إلّا أن يقوموا برفع الحصار، وسحب سفنهم إلى النهر لحمايتها من غارات الكفار. فلمّا علقت السفن في النهر وتعذر عليهم النزول بها مرة أخرى إلى البحر قاموا بإحراقها، ثم انسحبوا بمن معهم من الأسرى برّاً إلى جيجل التي كانت تبعد ستين ميلا، حيث كان بها لكل من خيرالدين وأروج سفينة من نوع قادرغة KADIRGA ذات أربعة وعشرين مجدافا.

أقام أروج رئيس بجيجل، بينما توجه خيرالدين إلى تونس

بثلاث سفن. ومن هناك خرج للغزو على رأس أربعة عشر سفينة، منها أربع سفن كان قد اشتراها بتونس، وعشر سفن متطوعة خرجت للاشتراك معه في الغزو.

ثمّ لم يلبث أن التحق به قورد أوغلي **KURTOĞLU** مصلح الدين رئيس بأربع عشرة قطعة بحرية. فصار مجموع الوحدات التي خرج بها خيرالدين ثمانية وعشرون سفينة، انطلق بها جميعا للغزو في ديار الكفر. فصادفوا في سواحل جنوة ثماني قطع بحرية من نوع بارجة **BARÇA** محملة بالقمح، فاستولوا عليها بعون الله دون قتال أو مقاومة من أصحابها. وفي أثناء عودتهم استولوا على اثني عشر سفينة كانوا قد صادفوها في طريقهم. فبلغ مجموع ما غنموه في هذه الحملات عشرين سفينة، تمّ إرسالها إلى تونس مع قورد أوغلي، بينما انصرف خيرالدين إلى جيجل حيث يقيم أخوه أروج رئيس.

التعريف بالكتاب الثاني

فذلكة التواريخ

يعتبر كتاب «فذلكة التواريخ» لكاتب جلبي، أحد أهم المصادر العثمانية التي ألفها مؤرّخ تركي باللغة العربية في القرن 17م. ويتناول فيه مؤلفه التاريخ السياسي للدولة العثمانية منذ تأسيسها حتّى عصر المؤلف. وقد قمت بإدراجه هنا كنموذج للكتابة التاريخية العثمانية التي ألّفها مؤرّخ تركي باللغة العربية، وتحدّث فيه مؤلّفه عن الجزائر ضمن السّياق العام للتاريخ العثماني.

اسم الكتاب وموضوعه وأهميّته:

بالنظر إلى النسخ المخطوطة أو المطبوعة للكتاب نجد المؤلف قد سمّى كتابه: «**فذلكة التواريخ**»، أو «**فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار**». وأمّا تاريخ تأليفه فقد صرح كاتب جلبي بأنّه انتهى منه في أواخر ربيع الآخر 1052هـ/ 1642. وأما موضوعه فقد أورد فيه مؤلفه أهم الأحداث التي تخص التاريخ الإسلامي منذ بدء الخليقة حتى سنة 1049هـ/ 1639م.

محتوى الكتاب وطريقة ترتيبه

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وقسمين رئيسيين.

- **المقدمة**: قسمها إلى أربعة فصول في كل فصل منها تحدث عن

معنى التاريخ وموضوعه وأهميته وفائدته، وأهم المؤلفات التاريخية، مرتبا إياها على حروف المعجم. وختم ذلك بالحديث عن قواعد لا يسع المؤرخ جهلها.

❑ **القسم الثاني**: فيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أورد فيه أهمّ الملوك الذين حكموا قبل الإسلام. فذكر ملوك الفرس والروم ومصر وبني إسرائيل وملوك الهند والصين والترك والسريان والنبط واليمن ..إلخ.

الفصل الثاني: أورد فيه الملوك الذين حكموا بعد الإسلام، على ترتيب القرون حتى أواخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).

الفصل الثالث: خصّصه لبيان فرق المتغلّبين من الشيعة والخوارج ومن ادعى النبوة وما شابه ذلك من الموضوعات.

كما نلاحظ بأنّ المؤلف قد خصّص قسمين آخرين سمى كلا منهما «**أصلا**». جاعلًا ما ذكره في القسمين السابقين بمثابة الأصل الأول. فكان الشطر الباقي من الكتاب بمثابة الأصل الثاني والثالث على حسب ما ورد في مقدمة الكتاب.

❑ **الأصل الثاني**: أورد فيه معلومات جغرافية مهمة عن الأرض وأقاليمها وخصائص كلّ إقليم. إضافة إلى معلومات تتعلق بقبائل

العرب وغيرهم من الشعوب والأمم.

❐ **الأصل الثالث:** خصصه للحديث عن الشيعة، بالإضافة إلى معلومات عن التقويم التركي والعربي والرومي والقبطي، وأسماء الشهور والأيام، والفروق بين التواريخ ..إلخ.

❐ **وأما خاتمة:** الكتاب فقد أورد فيها أشراط الساعة وعلامات القيامة وذكر أشياء مما يتعلق بآخر الزمان.

ملاحظة منهجية هامة

بالنسبة للقسمين الأخيرين من الكتاب اللذين أشار إليهما المؤلف في مقدمة كتابه: «**فذلكة التواريخ**» لم يتمكن من إنجازهما، وبقي مجرد تصور فقط حسب ما ذكره النُّقّاد الذين قاموا بتتبع جميع النسخ المخطوطة للكتاب، حيث لم يعثروا في أيٍّ منها على القسمين المذكورين. لكن بعد إنهاء كاتب جلبي لفذلكة التواريخ بِسِتِّ سنوات، قام بتأليف كتاب باللغة التركية آخر سنة 1058هـ/ 1648، مرتب على الحوليات ضمّنه ملخصا لأهم الحوادث الواردة في «**فذلكة التواريخ**» سمّاه: «**تقويم التواريخ**». ونظرا لتشابه محتوى هذا الكتاب وما ورد في مقدمة «**فذلكة التواريخ**» التي ذكر فيها الأصلين الثالث والرابع اللذين سقطا من محتويات الكتاب، ظن البعض بأن كتاب «**تقويم التواريخ**» هو الجزء المفقود من كتاب «**فذلكة التواريخ**». والحقيقة أن «**تقويم التواريخ**» كتاب آخر احتوى على ملخص للوقائع الواردة في الفذلكة.

وبعد فراغه من كتابه «**فذلكة التواريخ**» أعاد كاتب جلبي نشر الكتاب باللغة التركية بنفس الاسم، وهكذا صار للكتاب نسختان: إحداهما بالعربية والثانية بالتركية. إلّا أنّه بالمقارنة بين النسختين العربية والتركية نلاحظ بأنّ الكتابين -بالرغم من اشتراكهما في مجمل المحتويات- إلا أنهما يختلفان في الكثير من تفاصيلها. كما أنّ النّسخة التركية جاءت أكثر توسّعا وأكثر تفصيلا من النسخة العربية. وعليه؛ فإنّه لا يمكن اعتبار النسخة التركية لـ «**فذلكة التواريخ**» ترجمة للنسخة العربية التي تحمل ذات الاسم. وغاية ما يمكن قوله عن العلاقة بين الكتابين أنّه من المحتمل أن تكون النسخة العربية أساسا هي من أقام عليها كاتب جلبي كتابه الآخر الذي أصدره بنفس الاسم.

وقد صرّح كاتب جلبي بأنّه اعتمد كثيرًا على كتاب الجنابي «**العَيْلَمُ الزَّاخِر**»، حتّى ظنّ البعض بأنّ «فذلكة التواريخ» هو صياغة مختصرة لكتاب الجنابي. وهذا ليس بصحيح. فكتاب «فذلكة التواريخ» كتاب آخر ومستقل تمامًا عن كتاب الجنابي، رغم تأثر مؤلفه به ونقله عنه في مواضع مختلفة. فقد أورد كاتب جلبي في «**تقويم التواريخ**» بأنّه اعتمد على 1300 مصدراً في تأليفه لـ «**فذلكة التواريخ**». كما صرّح ببعض تلك المصادر في مواضع مختلفة من الكتاب.

ومن المهمّ التّنويه بأنّ كتاب «**فذلكة التواريخ**» يتكوّن من متن وحاشية؛ في المتن ذكر فيه كاتب جلبي الحوادث المهمة التي تخص

التاريخ العثماني، مراعيًا في ذلك -قدر الإمكان- تسلسلها الزمني، متجنّبا الإسهاب في ذكر التفاصيل التي لا تؤثّر على السير العام للأحداث. وفي الحاشية، قام المؤلف بشرح الأحداث التي رأى أنهّا تحتاج إلى تفصيل أكثر.

كما لاحظنا بأن المؤلف أورد في كتابه اقتباسات كما وردت في أصلها التركي أو العربي. ولعله أراد من خلال ذلك أن يري القارئ نماذج من النّصوص التي اعتمد عليها في إعداد كتابه. كما أورد أيضا في الحواشي بعض الوثائق كنماذج للمراسلات التي كانت تتم بين السلاطين العثمانيين والملوك والأمراء في الداخل والخارج. وهذه الوثائق تكتسي أهمية كبيرة لكون الكثير منها في عداد المفقود، أو يتعذر الوصول إليها في أحيان كثيرة. وبالتالي فإنّ الاستناد إليها كوثائق تاريخية تعطي معلومات جوهرية في غاية الأهمية، ما كان للباحث أن يصل إليها لولا ورودها في مثل هذا الكتاب المهمّ.

التاريخ العثماني في «فذلكة التواريخ»

فيما يتعلق بالتاريخ العثماني، فقد ذكر كاتب جلبي الأسرة العثمانية في الفصل السابع من كتابه. حيث خصّص قسماً كبيرًا من كتابه. وعليه؛ فإن أهمية الكتاب بالنسبة للدراسات العثمانية تكمن في هذا القسم على وجه الخصوص.

وقد شرع كاتب جلبي في التأريخ للدولة العثمانية في «**فذلكة**

التواريخ» بدءا من السلطان أورخان بن الغازي عثمان، معتبرا وقائع عصر هذا الأخير مكملة لما أورده من وقائع ظهور العثمانيين كتشكيل سياسي في المنطقة على يد الغازي أَرْطُغْرُلْ بن سليمان شاه. وهكذا بدأ المؤلف يؤرخ لوقائع 17 أميراً وسلطانا عثمانياً، بدأهم بالغازي عثمان (ت:726هـ/ 1326م)، وأنهاهم بالسلطان مراد الرابع (ت:1050هـ / 1640م). فيكون كاتب جلبي قد أَرَّخَ لفترة تربو عن 3 قرون من تاريخ الدولة العثمانية.

وقد انتهج المؤلف في كتابه ذكر اسم السلطان ولقبه الذي اشتهر به، ونسبته لمن سبقه من السلاطين، وكيفية انفراده بالسلطة وتمكّنه منها، وسنّه عند اعتلائه العرش، وغير ذلك من المعلومات التي يراها ضرورية. وذلك قبل أن يبدأ في سرد وقائع عصر كل سلطان. وبعد إيراده لتلك الوقائع، يذكر المؤلف ملابسات نزول كل سلطان عن العرش أو أسباب وفاتهم، والإجراءات التي كان رجال الدولة يتخذونها عند وقوع هذا الحدث إلى أن يتمّ دفنه، ثمّ يختم ذلك بذكر صفات السلطان وملكاته العقلية والأدبية، وما اشتهر به، وما ترك من أبناء، وما أقيم في عهده من أبنية الخير[1].

---

(1) انظر مقدمة سيد محمد السيد محقق فذلكة التواريخ، ص 96.

تراجم رجال الدولة العثمانية وعلمائها

من أهم ما يميز كتاب «**فذلكة التواريخ**» هو أن مؤلفه ذيّله بتراجم مختصرة لرجال الدولة وعلمائها كالوزراء العظام وأمراء الأمراء[1] وشيوخ الإسلام والقضاة ونقباء الأشراف ومعلمي السلاطين. وكأنّ المؤلف بهذا المنهج يريد أن يقول للقارئ بأنّه إلى جانب هذا الإنجاز العسكري والسياسي والحضاري الذي حققه السلاطين، قد شارك في صنعه عناصر كثيرة أخرى غير آل عثمان، وهم يستحقون الذكر والتخليد مثل السلاطين.

مصادر فذلكة التورايخ

ذكر كاتب جلبي في «**تقويم التواريخ**» بأنه اعتمد على 1300 مصدراً في إعداده لكتاب «**فذلكة التواريخ**»، غير أنّه صرّح في «**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**»[2] بإعجابه بتاريخ مصطفى الجنابي (ت:999ه/ 1591م)، المشهور بـ «**العيلم الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر**». فذكر أنّه لخّصه في فذلكته العربية بقوله: «**ولم أر كتابا جامعا لدول الملوك مثله، فلخصته في تاريخي المسمى بالفذلكة، وزدت عليه إلى مئة وخمسين دولة**»[3]. ولعلّ سبب اعتماد كاتب جلبي على تاريخ الجنابي

(1) أي: البيلربايات.

(2) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، 1/ 608.

(3) المصدر السابق، 1/ 608.

عند تأليفه لفذلكته، يعود إلى أن تاريخ الجنابي كان أول نموذج لتاريخ عام مختصر بالعربية، ومرتب بحسب الدول يحرره مؤرخ تركي[1].

ومن المهمّ أن نشير إلى بعض المصادر المهمة الأخرى التي اعتمد عليها كاتب جلبي في إعداده لكتابه، الذي نحن بصدد تقديمه لنأخذ فكرة عن الأرضية التي استند إليها في إعداد هذا المصدر المهم:

1. محمد نشري (ت: 1520م)، «**جِهَانُّما**» أو «**تواريخ آل عثمان**» (بالتركية).

2. عاشق باشا زادة (ت: 1484م)، «**تواريخ آل عثمان**» (بالتركية).

3. إدريس بتليسي (ت: 1520م)، «**هِشْتْ بِهِشْتْ**» (بالفارسية).

4. أحمد طاشكبري زادة (ت: 1561م)، «**الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**» (كتاب طبقات ترجم فيه لـ500 من علماء الدولة العثمانية بالعربية).

5. جلال زادة مصطفى جلبي (ت: 1567م)، «**طبقات الممالك ودرجات المسالك**» (بالتركية).

6. قطب الدين المكي النهروالي (ت: 1582م)، «**الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**» (بالعربية).

7. مصطفى جنابي (1590م)، «**العيلم الزاخر في أحوال الأوائل**

---

(1) مقدمة المحقق، ص 86.

والأواخر» (بالعربية).

8. خواجة سعد الدين أفندي (ت:1599م)، «**تاج التواريخ**» (بالتركية).

الجزائر في كتاب «فذلكة التواريخ»

لم يخصص كاتب جلبي للجزائر فصلاً خاصّا في «**فذلكة التواريخ**» على غرار ما فعل في «**تحفة الكبار**». ولعلّ ذلك يرجع إلى اختلاف طبيعة موضوع الكتابين. فكتاب «**تحفة الكبار**» كان يهدف إلى التعريف بالبحرية العثمانية والمعارك التي خاضتها الأساطيل العثمانية في شتى البحار والمحيطات. ولما كان للجزائر حصة الأسد من هذه المعارك، فإنّه من الطبيعي أن يخصص لها المؤلف فصلا مطولا من كتابه القيم، مصرّحا في مطلع ذلك الفصل بأنّه ينقل تلك الحوادث مختصرة من «**مذكرات خيرالدين بربروس**».

وأمّا «**فذلكة التواريخ**»، فإنّ موضوعه الأساسي هو إعطاء نبذة مختصرة عن أهم الحوادث التي تخص التاريخ العثماني بشكل عام. ولذلك فإنّ المنهج الذي التزمه المؤلف في كتابه لم يكن يسمح بتخصيص قسم كبير للجزائر أو لغيرها من الولايات العثمانية مهما كانت أهمّيّتُها، ولأجل ذلك، فإنّ الأحداث التي تخصّ الجزائر أو غيرها من الولايات العثمانية، إنّما أوردها بشكل عَرَضِيٍّ ضمن السياق العام للأحداث التي عاشتها الدولة العثمانية. وهكذا، فإنّه يكون من الطبيعي أن يتطرق

للجزائر بالقدر الذي يسمح به السياق العام لسير الأحداث التي أثّرت على مسار التاريخ العثماني العام.

ولا شكّ أنّ هذا المنهج فيه العديد من الثغرات التي تجعل الكتاب عرضة للكثير من الانتقادات من أهمّها على سبيل المثال: تجاهل المؤلف لأحداث مفصلية عاشتها الجزائر وأخرى عاشتها ولايات عثمانية أخرى. ولا شكّ أنّ التطرق لتلك الأحداث بشكل مقتضب لا تسمح للقارئ باستيعابها على نحو صحيح، ولا أن يدرك أهميتها في صيرورة الأحداث التي ترتبت عنها فيما بعد.

وبما أنّ موضوع هذه الدراسة لا يرمي إلى تقويم ما أُلّف عن الجزائر من قِبَلِ المؤرّخين، وإنّما ترمي إلى إعطاء القارئ فكرة عامة عن الأسلوب الذي تناولوا به تاريخنا خلال تلك المرحلة، ومن ثَمَّ فإنّ تقويم تلك الكتابات تحتاج إلى قراءة أخرى أكثر عمقا وأكثر شمولية، لعلنا نعود إليها حينما يتسنى لنا ذلك.

نصوص نموذجية عن الجزائر من «فذلكة التواريخ»[1].

«وفيها (أي سنة 940هـ/ 1534م) قدم خيرالدين بك والي جزاير[2] بعد وفاة أخيه أروج بك لتقلد الأمر من السلطان. وكان أخوه قد التجأ إلى الباب العالي في سنة 916ه/ 1510، فأكرمه السلطان وخلع عليه[3].

قال الجنابي:

«واتفق وصوله -أي وصول السلطان إلى الآستانة- بعد خروج إبراهيم باشا إلى حلب. فأمر السلطان خيرالدين بأن يسير إلى حلب عند الوزير، فمهما عرض عليه في حقه أقضاه. فسار خيرالدين رئيس، واجتمع به، فأعجبه حاله وعظّمه. لأنه كان لطيفا شجيعا، افتتح بلادا كثيرة، وعرض على الباب بتفويض[4] نيابة الجزاير إليه، فقبل السلطان، فكتب له المنشور في ثاني عشر

---

(1) ألفت انتباه القارئ إلى أن التأريخ للحوادث في جميع المؤلفات التركية كان وفق التاريخ الهجري. والتاريخ الميلادي الوارد في النص ليس من وضع كاتب جلبي بل من وضع محقق الكتاب.

(2) هكذا تكتب في عامة المصادر العثمانية، فضلت تركها كما هي لكي يتعامل القارئ مع النص الأصلي كما ورد.

(3) كاتب جلبي، **فذلكة**، ص 301.

(4) هكذا ورد في الأصل، والصواب: تفويض، دون أن يتعدىٰ بحرف الباء.

رمضان بحلب، وعاد إلى بلاده[1].

وفيها (أي: 943هـ/ 1536م) سار خيرالدين باشا بالعمارة، فوصل إلى بولية في بلاد إسبانيا فخربها، ثم نازل قلعة تسمى قشتلية فحاصرها وفتحها وعاد غانما[2]، ثمّ قصد السلطان فتح جزيرة كفروس من ونديك[3]. فخرج في 27 ذي الحجة 6 حزيران 1537م مع ولديه محمد وسليم خان، وأخرج عمارة صحبة الوزير لطفي باشا وخيرالدين باشا. وسار السلطان حتى نزل في صحراء أولونة[4] في صفر سنة 944هـ/ يوليو 1537م. فجاء أهلها طائعين بسعي من الوزير إياس باشا، وكان من جنسهم. فقعد السلطان فيها مدة شهر، وجعلها سنجقا برأسها. ثم نهض ونزل قبالة كرفوس، ثم وصلت عمارة لطفي باشا وخيرالدين باشا. وأرسل السلطان العسكر فحاصروها برّا و بحرا، وامتدّ الحال إلى حلول الشتاء، فتركوها ورجعوا إلى بلادهم في جمادى الآخرة.

---

(1) حاجي خليفة، **تاريخ ملوك آل عثماني**، تحقيق سيد محمد السيد، أنقرة 2009، ص301.

(2) المصدر السابق، ص 305.

(3) وهي جمهورية البندقية التي كانت تشكل إحدىٰ الجمهوريات الإيطالية في ذلك العصر.

(4) وهي ميناء في بلاد الأرناؤوط وتعرف أيضا باسم «أولونيا».

وفيها قصد كفار إسبانية بلاد سَمَنْدَرَة، فقاتل أميرها محمد بك وانتصر المسلمون وقتلوا مقتلة عظيمة، ثمّ إنّ الإفرنج لحقتهم الأنفة بما فعل خيرالدين باشا. فاتفقوا على قتال المسلمين، وهيئوا سفنا. فأمر السلطان بتجهيز عمارة عظيمة صحبة خيرالدين باشا. فخرجت في صفر 945هـ/ 1938م[1].

.. وفي مدة غيبته -أي غيبة السلطان- استولى الإفرنج على بْرَوَزَة وحاصروها، فاغار أميرها حسن شاه بك عليهم وطردهم. والتقى مع الأَغْرِبَة وبَرْجَاتِ[2] الكفار أمام جزيرة كفالونيا[3] وأغرقها. وأمّا خيرالدين باشا فإنّه سار في البحر واستولى على عدة بلاد وسفن للكفار. وقاتل أهلها وانتصر وغنم غنيمة كثيرة. وغزا أمير بوسنة خسرو بك الدُّبْرُونِيكْ. واستولى على حصن مَنِينْ، ثمّ هجم الكفار بثلاثمائة أغربة على حصار «نُوَة» حتى أخذوها بعد قتال ثلاثة أيام وقتلوا من فيها. فغضب السلطان وأمير بأمير الأمراء روم إيلي خسرو باشا، فسار من البر، وخيرالدين من البحر، فهجموا عليها من كلّ صوب في تاسع ربيع الآخر سنة

---

(1) كاتب جلبي، فذلكة، ص 305-307.

(2) الأغربة جمع غراب ويقصد بها هنا السفن. وأما الـ: برجات، فهي كلمة تركية أوردها بصيغة الجمع مع تعريبها. مفردها بَرْچـَة **Barça** وتعني في اللغة التركية «قطعة». والمراد بها هنا إحدى القطع البحرية الأوربية.

(3) تقع شمالي غرب شبه جزيرة المورة.

946هـ/ أغسطس 1539م. فلم يمهلوا حتى دخلوا وحصدوا الكفار»[1].

وفي سنة 949هـ/ 1542م ورد قاصد فرانسة بالهدايا، واستمد على إسبانية[2]. فأجاب السلطان وأرسل عمارة عظيمة مع خيرالدين باشا، ثمّ نادى بالجهاد الأكبر إلى ألمان وجبه لأنهم لم يكفوا عن التعرّض إلى بلاد الإسلام[3].

«ثمّ أمر السلطان أمير جارلي إيلي طورغود بالمسير إلى إسبانية، وكان أميرا شجيعا عارفا بأحوال البحر. فسار بالعمارة في رجب، حتى وصل إلى جزيرة «شاهين» من «دوبرونيك» وفيها قلعة «اشتية» فحاصرها وافتتحها في اليوم الرابع من شعبان (961هـ/ 24 يونيو 1555)، وقتل من الجانبين خلق كثير وامتنعت الداخل. وخرج أمير القلعة إلى الصحراء بنحو أربعة آلاف، وقاتلوا قتالا شديدا. انتصر المسلمون ثم انهزموا بعد يومين، فاستأمن أهل القلعة وأسروا وغنموا، ثم قاموا وأرسوا في «أولونة». ثم هجموا على بعض العصاة هناك من كفار أرنود[4] فغنموا، ولمّا سمع

---

(1) المصدر السابق، ص 307-308.

(2) أي: طلب المدد من الدولة العثمانية في حربه على إسبانيا عدوهما المشترك.

(3) نفسه، ص 309.

(4) هكذا وردت. ويعني بها أرناؤوط، أي: ألبانيا.

إفرنجة بعمارة المسلمين تقوى وسار على بلاد إسبانية، ثمّ جرى بينهما حروب ووقايع آخرها انهزم عسكر إسبانية وغلب عليهم. وقتل منهم نحو اثني عشر ألف، وأخذ اثنين وعشرين راية ومدافع وكبار وأرسلت إلى السلطان بالهدايا»[1].

«وفيها (961هـ/ 1554م) ورد الخبر من نايب الجزيرة[2] صالح باشا أنه افتتح قلعة بوثاية من أعظم بلاد إسبانية بعد ستة أيام، وقتل جميع مقاتليها وغنموا وضبطوا للسلطان، ثمّ فتحوا ثلاثة حصون هناك للكفار. وكان قبل ذلك كبس عسكر العرب وهزمهم إلى مراكش»[3].

---

(1) نفسه، ص 318.

(2) لعله يقصد نائب الجزائر، أي: بايلرباي الجزائر.

(3) نفسه، ص 319.



الفصل الخامس

تاريخ جودت

أحمد جودت باشا

تمهيد:

يعدّ تاريخ جودت أحد أهم المصادر العثمانية في الفترة الممتدة بين 1774و 1826، وذلك بالنظر إلى الصفة الموسوعية التي تميز بها أحمد جودت باشا من جهة، ولكون المؤلّف معاصرا للأحداث التي أرّخ لها في كتابه. فضلا عن كونه رجل دولة وقانون أتاحت له المناصب الرسمية التي تولاها إمكانية الاطلاع على مصادر كثيرة، ووثائق متعدّدة لا يسع المؤرّخ العادي الوصول إليها إضافة إلى ذلك أنّ المؤلف عاش في فترة شديدة الحساسية ليس بالنسبة للتاريخ العثماني فحسب؛ بل بالنسبة للتاريخ الإسلامي والعالمي عامّة والجزائر بصفة خاصة.

ويلاحظ القارئ بأنّ الحصار الفرنسي للجزائر قد بدأ سنة 1827، أي بعد سنة من فراغ أحمد جودت باشا من كتابة تاريخه، وبعد ثلاث سنوات من الحصار تمّ احتلال الجزائر سنة 1830م، فتاريخ جودت وإن لم يؤرّخ للاحتلال الفرنسي، إلّا أنّه يسلط الضوء على المتغيرات الدولية والإقليمية التي أحاطت بالاحتلال الفرنسي للجزائر، فضلا عن تأريخه للدولة العثمانية خلال فترة شديدة الحساسية.

وعليه فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى تعريف القارئ الجزائري بهذا الكتاب المهم، والكيفية التي تناول بها أحمد جودت باشا الموضوعات المتعلقة بالجزائر، على أمل أن تتاح لنا فرصة أخرى نستطيع من خلالها

ترجمة جميع ما كتبه أحمد جودت باشا عن الجزائر سواء في هذا الكتاب أو في بقية مؤلفاته التاريخية.

التعريف المؤلف

هو العلامة الموسوعي والقاضي والحقوقي ورجل الدولة والمترجم والمفكر أحمد جودت باشا خاتمة المؤرخين الكبار، الذين أنجبتهم الدولة العثمانية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر.

ولد في بلدة **لُوفْـچَـة Löfça** ببلغاريا في 27 مارس 1822، وتوفي بإستانبول في 25 مايو 1895. تلقى مبادئ العربية والعلوم الإسلامية على يد مفتي **لُوفْـچَـة Lofça** الشيخ عمر أفندي، ثمّ التحق بمدرسة **باباس أوغلو Papasoğlu** الواقعة في حي الفاتح بإستانبول. وخلال ذلك داوم على حضور دروس **طُويْرَانْلِي محمد أفندي Toyranlı Mehmet Efendi** بجامع الفاتح.

وحسبما ذكر أحمد جوت باشا عن نفسه، لم يكتف بالدروس التي كان يتلقاها على شيوخه في المدرسة أو في جامع الفاتح، بل درس العلوم التي كانت مُتداولة في عصره، مثل: الحساب والجبر والهندسة وعلم الهيئة والحكمة[1]. كما تلقى العلوم الإسلامية والعلوم المساعدة لها عن أشهر علماء إستانبول، مثل: إمام زادة أسعد أفندي وسيد أفندي **والبَرْغِيوِي**

(1) Ahmet Hamdi Tanpınar, *19'uncu Asır türk Edebiyatı Tarihi*, 4. Baskı, İstanbul 1976, s. 160; karş. Âlî Ömezoğlu, "Cevdet Paşa" mad. *İslâm Ansiklopedisi*, c. III. s. 114

شاكر أفندي Bergivî Şâkir Efendi وكُوشْ أَدَه لِي إبراهيم أفندي Kuşadalı İbrahim Efendi وغيرهم. وذلك في مختلف جوامع إستانبول والمدارس الملحقة بها، مثل: جامع شهزادة باشي ومدرسة إسماعيل أغا وتَكَّة الملّا مراد وغيرها[1]، وخلال هذه الفترة تعرّف أحمد جودت باشا على العديد من الأدباء والشعراء المعاصرين له، وشرع في كتابة أولى قصائده الشعرية، فلقبه أستاذه الشاعر فهيم أفندي سنة 1843 بـ«جودت»، وهو اللقب الذي اشتهر به حتى اليوم.

وفي سنة 1844 أجازه شيخه الملّا مراد في «المثنوي الشريف» لمولانا جلال الدين الرومي مؤسس الطريقة المولوية. وبالرغم من أنّ أحمد جودت باشا لم ينتسب لأيّة طريقة صوفية، إلّا أنّه تأثّر كثيرًا بشيخه الملا مراد أثناء ملازمته له في تكّته. وخلال فترة الملازمة تلك تعلّم أحمد جودت باشا اللغة الفارسية، وتعرّف على بعض الشعراء وحظي بتقدير العلماء ومشايخ عصره. كما لفت إليه انتباه بعض رجال الدولة.

في نفس السنة (1844) نجح أحمد جودت باشا في امتحان القضاء الذي نُظِّم في دائرة قضاء عسكر روملي، وتمّ تعيينه قاضيًا في ولاية **يَانْيَا Yanya** ببلغاريا، ثم عُين مدرسا بإستانبول، ثمّ قاضي عسكر الأناضول[2].

---

(1) Hulusî Yavuz, *Osmanlı Devleti ve İslâmiyet*, İz Yayıncılık, = İstanbul 1991, s. 112- 114.

(2) أحمد جودت باشا، **تذاكر جودت**، ج 5، ص. 7- 8.

وفي أثناء صدارة مصطفى رشيد باشا، أرسل هذا الأخير في سنة 1846 إلى دائرة مشيخة الإسلام يطلب منها أن ترشح له أحد المتمرّسين في الفقه والقانون، لكي يقوم بمراجعة القوانين التي تصدرها الدولة. وذلك من أجل مطابقتها للشريعة الإسلامية. فأرسلت إليه دائرة المشيخة أحمد جودت باشا[1].

يعتبر تعرّف أحمد جودت باشا على الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا وملازمته له 13 سنة نقطة تحوّل كبيرة في حياته. ففي فترة عمله بالصّدارة العظمى تعرّف أحمد جودت باشا على شخصيتين مهمتين أخريين، تعتبران من أكثر الشخصيات تأثرا برائد حركة التنظيمات الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا. وهاتان الشخصيتان هما: الصدر الأعظم عالي باشا (1815- 1871) وفؤاد باشا (1815- 1869). لقد صرّح أحمد جودت باشا بأنّه تعلّم على يديهما واستفاد من خبرتهما الطويلة في السياسة[2]. وفي هذه المرحلة من حياة أحمد جودت باشا تفتّحت مداركه على آراء سياسية ودينية لم يكن بوسعه اكتشافها في المدارس التقليدية التي تعلّم فيها. ومن الطبيعي أن تتبلور أفكاره السياسية والدينية في هذا المحيط[3].

---

(1) Fatma Aliye, Ahmet, *Cevdet Paşa ve Zamanı*, İstanbul 1332, s. 31; Ebul'ula Mardin, Mednî *Hukuk Cephesinden Ahmet Cevdet* = = *Paşa*, İstanbul 1946, s. 28- 29

(2) المصدر السابق، ج. 5، ص 21.

(3) نفس المصدر، ج 5، ص 21.

وفي سنة 1849 تمّ تعيين أحمد جودت باشا مديرًا لدار المعلّمين وعضوا في مجلس المعارف العمومية باقتراح من شيخ الإسلام عارف حكمت. فقام أثناء تولّيه لهذين المنصبين بإصلاحات كبيرة في نظام التعليم بالمدارس العثمانية[1].

وأثناء توليه للمناصب المذكورة كُلِّف أحمد جودت باشا من طرف مجمع الدراسات التاريخية المعروف باسم **أَنْجُومَانِيدَانِيشْ Encümen-i Dâniş** بتدوين الوقائع التاريخية التي حدثت في الفترة الممتدة من 1766 إلى 1826. وتُوِّجَتْ تلك الجهود بجمع مدوناته في كتابه الشهير الذي عُرف بـ: «**تاريخ جودت**» الذي أكمله سنة 1856[2]. وكان أحمد جودت باشا قد تمّ تعيينه مؤرخا رسميًّا لوقائع الدولة العثمانية سنة 1855، وذلك بسنة قبل إنهائه لتاريخه الذي صار يحمل اسمه.

وأثناء عمله في مجلس التنظيمات اعتبارًا من سنة 1853 لعب أحمد جودت باشا دورًا كبيرًا في تقنين الكثير من القوانين العثمانية مثل: قانون العقوبات، وقانون الأراضي ولوائح تنظيم الأراضي، والتي جمعت كلها في كتاب يحمل اسم: «**الدستور**»[3].

---

(1) “*Cevdat Paşa*” mad, İA, s. 115.

(2) Hulusi Yavuz, age, s. 118.

(3) انظر نصوص هذا القانون في، أحمد جودت باشا، **دستور**، إستانبول، 1282/ 1865، ص 16– 52.

وفي سنة 1863 تولىٰ أحمد جودت باشا وظيفة قاضي عسكر الأناضول، ثمّ رُقِّيَ إلىٰ رتبة وزير، فصار يحمل لقب: «باشا» بهذا المنصب. وخلال ذلك تخلّىٰ عن وظيفته كمؤرّخ لوقائع الدولة العثمانية[1].

وبضغوط من الدول الأوربية تمّ إلغاء مجلس وكلاء الأحكام العدلية سنة 1865، ليحلّ محله مجلس الشورىٰ وديوان الأحكام العدلية الذي تولىٰ رئاسته مدحت باشا، وعين أحمد جودت باشا نائبًا له. وفي هذه الفترة كانت فرنسا تضغط علىٰ الدولة العثمانية لكي تقوم بإصلاح النّظام القضائي، وذلك بتأسيس محاكم علىٰ غرار المحاكم الفرنسية، متذرّعة بأنّ الدولة العثمانية إذا قامت بذلك الإصلاح، فإنّ الدول الأوربية لن تجد ما يبرّر تدخلها في أعمال المحاكم العثمانية. وللتصدّي لهذه الضغوط أسّست الدّولة العثمانية ديوان الأحكام العدلية ومجلس الشورىٰ[2]. وهنا لا بدّ من أن نسجل لأحمد جودت باشا اعتراضه علىٰ تأسيس هذا المجلس، وقام بترجمة رسالة العلامة جلال الدين الدّوّاني المسماة بـ: «**ديوان دفع المظالم**». وقام بقراءتها أمام المجلس. وفي هذا المجلس ثار نقاش شديد بين أعضاء الديوان حول اقتراح تأسيس محكمة الاستئناف

---

(1) أحمد جودت باشا، **تذاكر**، ج 5، ص 82– 83.

(2) أحمد جودت باشا، **تذاكر**، ج 5، ص 84؛ وانظر أيضا:

İbnülemin Mehmet kemal inal, *Osmanlı Devrinde Son Sadrazamlar*, İstanbul 1964, s. 320

ومحكمة ابتدائية وأخرى تجارية. لقد كان غرض الراغبين في تأسيس هذه المحاكم هو ترجمة قانون نابوليون وجعله ساريا في المحاكم العثمانية. ولم يكتف الداعون إلى ذلك بإبداء هذا الاقتراح، بل قاموا بترجمة القانون المدني الفرنسي إلى اللغة التركية. فقام أحمد جودت باشا ورشدي باشا وشيرواني زادة باشا بمعارضة هذا التوجه، واقترحوا إصدار قوانين إسلامية تقوم بالفصل في مثل هذه القضايا تغني عن استيراد قوانين أوربية. فكانت حصيلة هذه المناقشات الحادة التي جرت في أروقة المجلس إصدار «**مجلة الأحكام العدلية**» سنة 1876، والتي تمّ فيها تقنين الفقه الحنفي، وجعله قانونا ترجع إليه المحاكم العثمانية[1]. وظلّت هذه المجلة مرجعا لقضاة المحاكم الشرعية والمدنية في العديد من الدول العربية والإسلامية حتى بعد إلغاء السلطنة والخلافة العثمانية، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أهميّة هذه المجلّة وأهميّة الجهود التي بذلها أحمد جودت باشا وزملاؤه الذين قاموا بإصدارها.

وقد تمّت ترجمة مجلة الأحكام العدلية إلى اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، وظلّت قانونًا ساريا في جميع المحاكم العثمانية حتى سنة

---

(1) حول الظروف التي صدرت فيها مجلة الأحكام العدلية والمناقشات التي جرت حول تقنين الفقه الحنفي، انظر:

Hulusi Yavuz, “ Mecelle’nin Tedvini ve Cevdet Ahmet Paşa’nın Hizmetleri”, *Ahmet Cevdet Paşa Semineri, 27- 28 Mayıs 1985, Bildirileri,* Edebiyat Fakültesi Tarih Araştırma Merkezi, İstanbul, 1986, s. 41- 101

1928. إذ قامت الحكومة التركية الجديدة بترجمة القانون المدني السويسري إلى اللغة التركية جاعلة منه قانونا مدنيّا رسميّا للجمهورية التركية[1].

أمضى أحمد جودت باشا نصف قرن من حياته متنقّلا بين مختلف الوظائف الحكومية، وذلك منذ تولّيه لرئاسة الوزراء حتّى وفاته، دون أن يثنيه شيء عن التصدّي لدعاة التغريب وتبني القوانين الأوربية[2]. وفي كلّ ذلك وقف مدافعًا عن ضرورة استناد جميع قوانين الدولة العثمانية للشريعة الإسلامية، ومنها مشروع «**القانون الأساسي**» الذي تبناه مدحت باشا الذي لم يكن يخفي انبهاره بالقوانين الفرنسية. وانتهى الأمر بعد معارك كبيرة جرت في أروقة مختلف المجالس العثمانية إلى قبول التعديلات التي اقترحها أحمد جودت باشا في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، إلّا أنّ ذلك لم يتحقّق إلّا بعدما أمر السلطان بإبعاد مدحت باشا ونفيه[3].

إنّ تصدي أحمد جودت باشا لحركة تغريب الدولة العثمانية ومؤسساتها التي كانت تلقّى تشجيعا ودعما كبيرين من الغرب، لم تكن تعني أنه كان يدعو لانكفاء الدولة على نفسها ورفض كل ما يأتي من

---

(1) Hulusi Yavuz, *Osmanlı Devleti ve İslamiyet*, s. 122- 123.

(2) نفسه، ص 123.

(3) Ahmet hamdi Tanpınar, *Edebiyat Üzerine Makaleler*, İstanbul 1969, s. 209; Ümid Meriç, *Cevdet Paşa'nın Cemiyet ve Devlet Görüşü*,İstanbul 1979, s. 88.

الغرب، بل كانت تعني رفضه ما يصادم ثوابت الدين ومسلمات الشريعة وتقاليد المجتمع العثماني المسلم. عدا ذلك، كان أحمد جودت باشا منفتحا غاية الانفتاح على كل ما هو مفيد من الغرب الأوربي. وآية ذلك أنه تولى أول نظارة للعدلية. كما كان أول مدير لمدرسة المعلمين وأول مؤسس لمدرسة الحقوق[1]. بل إنّ المتأمّل في الإصلاحات وعمليات التحديث التي تمت في الدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة من سنة 1850 إلى 1895 يلاحظ أنّ لأحمد جودت باشا اليد الطولى في ذلك.

آثاره العلمية

رغم مسؤولياته السياسية والإدارية والقضائية التي انشغل بها أحمد جودت باشا، إلّا أنّ النّاظر في الآثار العلمية الكثيفة والمتنوعة التي خلّفها تجعل المرء يحسب أن الرجل لم يكن له شغل يشغله سوى الكتابة والتأليف. وهذا إن دلّ عن شيء فإنما يدلّ على عبقرية الرجل وعظمته اللتين جعلتاه يتمكن من إنجاز الكثير من الأعمال في وقت واحد.

(1) A.H. Tanpınar, *XIX Asır*, s. 165- 167.

ولم يكن الإنتاج العلمي لجودت باشا مقتصرا على الجانب الحقوقي والقانوني فحسب؛ بل تعداه إلى مجالات أخرى تعكس ثقافته الموسوعية التي تتجلى من خلال مؤلفاته المتنوعة التي نشير إليها بإيجاز فيما يلي:

أوّلا: المؤلفات الفقهية والقانونية

1. **مجلة الأحكام العدلية:**

تعتبر هذه المجلة واحدة من أهم الإنجازات الكبرى التي خلّدت اسم أحمد جودت باشا في تاريخ الحقوق الإسلامية، فقد تمّ تأليفها من طرف لجنة أشرف على اختيار أعضائها بنفسه، وتكوّنت من خيرة الفقهاء العثمانيين في ذلك العصر[1]. كما قام أحمد جودت باشا بصياغة النّص النّهائي للمجلة بنفسه قبل إخراجها في شكلها النّهائي ونشرها سنة 1880[2].

2. **رسالة الوفاء:**

قام أحمد جودت باشا بتأليف هذه الرسالة أثناء ولايته لـ: **يانيا Yanya**، وأرسلها إلى «**جمعية المجلة**». وتعدّ هذه الرسالة الكتاب الوحيد الذي ألفه أحمد جودت باشا باللغة العربية في الفقه. ولازال الكتاب مخطوطا في مكتبة بايزيد، بقسم ولي الدين أفندي. وذلك ضمن المؤلفات المخطوطة لأحمد جودت باشا. وهذه الرسالة لا زالت مخطوطة

(1) E. Mardin, *Medeni Hukuk Cephesinde Ahmet Cevdet Paşa*, s. 160- 167.
(2) Hulusi Yavuz, age, s. 142.

تحمل رقم: 40. كما توجد لها نسخة مخطوطة أخرى بمكتبة بلدية إستانبول، ضمن أوراق جودت، وتحمل رقم: 35.

3. **مجموعهء جودت Mecmua-yi Ahmet Cevdet**:

تتكوّن هذه المجموعة من 88 ورقة. وتحتوي على المراسلات الفقهية التي كانت تتم بين أحمد جودت باشا وعبد الستار أفندي الذي كان أحد أعضاء «**جمعية المجلة**» مع مفتي الشام محمود حمزاوي. وهذه المجموعة لا زالت مخطوطة في مكتبة بلدية إستانبول، وتحمل الأرقام: 32، 33، 34، 35، 36. وأما بقية أرقام المخطوط فيوجد أكثر محتوياتها في كتاب «**تذاكر جودت**»[1]. وتتضمن هذه المجموعة موضوعات مختلفة كتبها أحمد جودت باشا تحت عناوين مختلفة، نحو: «**مضبطة**»، «**لائحة**»، «**مكتوب**»، «**عريضة**»، «**تقريض**»، «**ديباجة**»[2].

ثانيا: المؤلفات الأدبية

لم تقتصر الجهود العلمية لأحمد جودت باشا على التأليف الفقهي فحسب؛ بل كانت له مشاركة مميزة في الكتابة الأدبية، والتي لا زال أكثرها مخطوطا حتى اليوم، ومن أهم مؤلفاته الأدبية، نذكر على سبيل المثال المؤلفات[3]:

---

(1) سنشير إليه بعد قليل عند حديثنا عن المؤلفات التاريخية لأحمد جودت باشا.

(2) Hulusi Yavuz, age, s. 143.

(3) ذكرنا عناوين المؤلفات باللغة العثمانية كما صنفها المؤلف، وأشرنا إليها باللغة

1. ديوانجهء جودت **Divançe-i Cevdet**.

2. تتمهءترجمهء صائب **Tetimme-i Tercüme-i Saib**.

3. قواعد عثمانية **Kavâid-i Osmaniye** ألّفه أحمد جودت باشا بالاشتراك مع فؤاد باشا، وطبع سنة 1281هـ/ 1864م. (يعتبر هذا المؤلَّف أوّل كتاب في قواعد اللغة العثمانية).

4. مدخل قواعد **Medhal-i Kavâid** طبع في إستانبول سنة 1268هـ/ 1852م.

5. قواعد تركية **Kavâid-i türkiye** طبع في إستانبول سنة 1292هـ/ 1875م.

6. بلاغت عثمانية **Belâgat-i Osmâniye** طبع في إستانبول سنة 1292هـ/ 1881م.

7. تعليقات جودت على الشافية لابن الحاجب: نشر بالعربية والتركية في إستانبول سنة 1294هـ/ 1877م. ويتكوّن من 55 صفحة.

ثالثا: مؤلفات متنوّعة

تمثل هذه المجموعة موضوعات مختلفة كتب فيها أحمد جودت باشا. وقد آثرنا إيرادها على هذا النحو لعدم اندراجها تحت موضوع واحد:

التركية الحديثة تسهيلا لتهجئتها بشكل صحيح.

1. **تعليقات أحمد جودت باشا على المطوّل**: نشر باللغة العربية في إستانبول في المطبعة العامرة.

2. **بيان العنوان**: نشر بإستانبول في 1273هـ/ 1857م.

3. **تعريف الارتفاع**: مخطوط بمكتبة ولي الدين أفندي، كتب جودت باشا، رقم: 11. ويتكون من 28 ورقة.

4. **معلومات نافعة**: نشر في إستانبول.

5. **تقويم الأدوار**: نشر في إستانبول 1287هـ/ 1870م.

6. **معيار سديد**: نشر في إستانبول سنة 1293هـ/ 1876م.

7. **خلاصة البيان في تأليف القرآن**: نشر بالعربية في إستانبول سنة 1303هـ/ 1886م.

8. **حليهءسعادت Hilye-i Sa'âdet**: طبع في إستانبول سنة 1309هـ/ 1891م.

9. **أثر عهد حميدي Eser-i Ahd-i Hamîdî**: نشر بإستانبول في1309هـ/ 1891م.

10. **قيافت نامة Kiyâfetnâme**: مخطوط يتكون من 08 أوراق. يوجد بمكتبة بلدية إستانبول، جودت باشا أوراقي، رقم: 41.

11. **تعديل مباني الإنشاء**: مخطوط يتكون من 41 ورقة. يوجد

بمكتبة وليّ الدين أفندي. مؤلّفات جودت باشا.

رابعا: الترجمات

1. **مقدمهء ابن خلدون:**

يعتبر هذا الكتاب تكملة للترجمة التي بدأها شيخ الإسلام بيري زادة (1674– 1749). طبع في إستانبول سنة 1277هـ/ 1860م.

خامسا: المؤلفات التاريخية

تعدّ الكتابات التاريخية التي ألفها أحمد جودت باشا إحدى أهم أعماله العلمية، وذلك باعتبارها تمثل خلاصة ثقافته المتنوعة وتجاربه السياسية والقانونية والقضائية. فالوظائف التي تولاها، وتعدد اهتماماته العلمية والأدبية والدينية جعلت لمؤلفاته التاريخية خصوصية تميز بها عن غيره من المؤرخين. فهي لا تستند إلى العلم المجرد فحسب؛ بل تقوم على ممارسة طويلة للفعل التاريخي من خلال توليه لمهام الإدارة والقضاء والتقنين والتعليم.

وفي الفقرات التالية نحاول التعريف بكل مؤلَّف من مؤلفات أحمد جودت باشا على حدة، في حدود ما تسمح به هذه الدراسة:

1. قصص أنبياء وتاريخ خلفاء (قصص الأنبياء وتاريخ الخلفاء):

أعدّ أحمد جودت باشا هذا الكتاب أثناء توليه لنظارة المعارف. ويتكون هذا الكتاب من 12 جزءا، طبع منه 6 أجزاء الأولى في الفترة

الممتدة من 1874 إلى 1889 في حياة المؤلّف، وأمّا الأجزاء الستة الباقية فقد طبعت سنة 1915 من طرف ابنته السيدة فاطمة علية[1].

لقد كان أحمد جودت باشا يهدف بهذا الكتاب إلى تعريف الجيل الجديد من الشباب بالعقيدة الإسلامية من خلال تاريخ الأنبياء، بعيدًا عن الخرافة والأساطير التي ألحقت بالثقافة الدينية عبر العصور. كما كان يروم تعريفه بتاريخ الدول الإسلامية الكبرى التي لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ الأمّة الإسلامية بأسلوب أدبي ممتع يتّسم بالسلاسة والانسياب. وقد بدأ تاريخه هذا من سيدنا آدم عليه السلام إلى محمّد ﷺ، وخصّ السيرة النبوية بقدر كبير من التفصيل، ليعرّج من ذلك إلى تاريخ الخلفاء الراشدين، ثمّ الأمويّين فالعباسيّين، ثمّ من جاء بعدهم من الدول الإسلامية، ليتوقّف في عصر السلطان العثماني مراد الثاني.

2. **قرم وقوقاز تاريخچهء Kırım ve Kafkas Târihçe-i** (موجز تاريخ القرم والقوقاز):

يتكون هذا الكتاب الموجز الذي ألفه أحمد جودت باشا من قسمين:

القسم الأول: تناول فيه تاريخ القرم باختصار، كما عرّف فيه بصفة خاصة بأهم الشخصيات المشهورة في شبه جزيرة القرم.

وأما القسم الثاني منه، فقد خصصه للحديث عن جغرافية القرم.

---

(1) Hulusi Yavuz, s. 140.

وقد طُبِع الكتاب المذكور في إستانبول سنة 1307هـ/ 1890م.

3.معروضات:

ألّف أحمد جودت باشا هذا السِّفْر بناء على أمر من السلطان عبد الحميد الثاني الذي كلّفه بتأليف كتاب يؤرّخ للحوادث التاريخية التي عاشتها الدولة العثمانية في الفترة الممتدة من سنة 1839 إلى 1876، فقام الأخير بتأليفه في خمسة أجزاء. ولا زالت النسخ المخطوطة لهذا الكتاب موجودة في مختلف المكتبات، عدا الجزء الأول فإنّه مفقود. وقد تمّ نشر الجزء الثاني من الكتاب لأول مرة سنة 1917 من طرف المؤرخ التركي أحمد رفيق في حلقات ضمن الأعداد: 78، 79، 80، 82، 84، 87، 90، 92، 93 من مجلة «**ترك تاريخ أنجومني**». ثمّ نشرت بقية الأجزاء من طرف يوسف حلاج أوغلو بإستانبول سنة 1980.

يعتبر الكتاب مصدرا أساسيا في غاية الأهمية بالنسبة للتاريخ العثماني خلال القرن التاسع عشر ألّفه أحمد جودت باشا بأسلوب يتميز بالسلاسة والخلوّ من التعقيد، غير أنّ النُّقاد لاحظوا بأنّ المؤلّف قد قام بتكرار حوادث أوردها في كتابه «**تذاكر جودت**»، ثمّ أعادها في كتاب «**المعروضات**». لكن عندما ندقّق النّظر في الحوادث المكررة في كلا الكتابين يلاحظ بأنّ أحمد جودت باشا لم يكن قصده من تكرار الأحداث سوى ذكرها مختصرة في «**التذاكر**» وأُعيدت مفصّلة في كتاب «**المعروضات**». وبهذا التّمييز يزول الإشكال وتتضح الغاية التي من

أجلها أعاد المؤلف نفس الأحداث في كلا الكتابين.

وقد كان الباحثون الغربيون يحيلون القارئ إلى كتاب «**المعروضات**» قبل صدور كتاب «**التذاكر**»، إلّا أنّه عندما طبع هذا الأخير، صاروا يعتمدون عليه أكثر من اعتمادهم على «**المعروضات**»[(1)].

4. تذاكر جودت:

يعتبر هذا الكتاب الأثر الثاني الأكثر أهميّة من بين مؤلّفات أحمد جودت باشا التاريخية بعد كتابه الكبير «**تاريخ جودت**» الذي سنبسط الحديث عنه بعد قليل. وقد قام المؤلف بتأليف كتاب «**تذاكر جودت**» أثناء توليه لوظيفة كتابة الوقائع. حيث قام بتسجيل الأحداث التاريخية فور وقوعها في هذا المؤلَّف اعتبار من 2 فبراير 1855 حتى 13 ديسمبر 1866. ثم خلفه في هذه الوظيفة أحمد لطفي أفندي حتى سنة 1871. غير أن الوقائع التي سجلها هذا الأخير لم يتم العثور عليها عدا ما تم نشره منها في مجلة «**تاريخ عثماني أنجومني**» ضمن الأعداد 44، 45، 46، 47. الصادرة في الفترة بين (1333- 1334هـ/ 1915- 1916م).

ويتكوّن كتاب «**تذاكر جودت**» من 40 تذكرة، نشرها مجمع التاريخ التركي في أربعة مجلّدات. وذلك في الفترة بين (1953- 1967)

---

(1) Hulusi Yavuz, s. 139.

بإشراف المؤرخ التركي **جَوِيدْبَايْسُونْ Cevit Bayson** الذي اعتنى بتصحيح الكتاب والتعليق عليه.

ومن المهمّ التّذكير بأنّ التّذاكر الخمسة الأولى اشتملت على الوثائق والملاحظات التي جمعها أحمد جودت باشا أثناء ممارسته لوظيفة كتابة الوقائع، وقام بإرسالها إلى لطفي أفندي. وأما التذاكر التي تبدأ من 6 إلى 39 فقد اشتملت على معلومات في غاية الأهمية. وتتعلق بالجوانب العلمية والاجتماعية من التاريخ العثماني، والتي قلما نجدها في مصادر أخرى. وأما المجلد الرابع الذي اشتمل على التذكرة 40 من الكتاب، فقد ترجم فيها أحمد جودت باشا لنفسه بشكل مفصل. وخلال ذلك أرّخ للحوادث السياسية التي عاصرها أو شارك فيها بشكل أو بآخر. وقد ذكر خلال شرحه لتلك الحوادث تفصيلات في غاية الأهمية. وأمّا في الدفاتر الأخيرة من الكتاب فلا توجد فيها معلومات تاريخية، وإنّما خصّصها المؤلف للحديث عن بعض المناقشات العلمية التي شارك فيها أو حصلت بحضوره أو علمه. كما أورد في هذه الدفاتر معلومات مهمة عن ملابسات تأليفه لبعض كتبه.

وقد اعتُبرت «**تذاكر جودت**» إحدى أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ لمرحلة التنظيمات من التاريخ العثماني نظرًا لقرب المؤلف من مصدر القرار واطلاعه المباشر على الأحداث بحكم منصبه، فضلا عن علاقته المباشرة برجال الدولة الذين كانوا يشرفون على إدارة الدولة

خلال هذه المرحلة. كما يعتبر هذا الكتاب مرآة للأزمة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، والتغيّرات العميقة التي كان يشهدها المجتمع العثماني في تلك الفترة. فقد تطرّق أحمد جودت باشا إلى الحياة الاجتماعية في إستانبول في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، وحرب القرم والأزمات المالية التي عاشتها الدولة. كلّ ذلك عرضه أحمد جودت باشا بالكثير من التفصيل كما لو أنّه شريط وثائقي يعرض فيه حوادث تلك الفترة.

ولم يغفل المؤلف الحديث عن الشخصيات التي كان لها تأثير كبير في الدولة العثمانية أثناء الفترة التي عاصرها، والتي لعبت دورًا كبيرًا في السياسة العثمانية. ومن أهمّ الشخصيات التي خصّها أحمد جودت باشا بالذكر: رشيد باشا، والدماد محمد علي باشا، وشيخ الإسلام عارف حكمت أفندي، وفؤاد باشا، وفتحي باشا، والمترجم رشدي باشا، ومدحت باشا، وغيرهم من كبار رجال الدولة.

وفي أثناء حديثه عن عصر السلطان عبد المجيد وعبد العزيز لم يكتف أحمد جودت باشا بسرد الحوادث التي سمعها؛ بل تتبع التنافس والصراع الذي كان يجري بين محمد علي باشا ورشيد باشا، وما كانا يحيكانه من مكائد لبعضهما البعض. كلّ ذلك لم يتردّد في ذكره عندما يرى أنّ ذكر ذلك يستحقّ التسجيل. كما تحدّث عن الخصومات السياسية التي كانت تجري بين مختلف مسؤولي الدولة وأثر ذلك عليها.

وتطرّق بالإضافة إلى ما ذُكِر إلى خلع السلطان عبد العزيز وسلط الضوء على الظروف التي أحاطت بالحادثة.

تحدّث أحمد جودت باشا في «**تذاكره**» أيضًا عن عادات وأخلاق النّاس في عصره. كما تحدث عن مشاهداته في البوسنة حينما قام بمهمة التفتيش وأورد عددا من الوثائق المهمة ذات العلاقة بالحادثة.

وباختصار يعتبر كتاب «**تذاكر**» جودت مصدرا في غاية الأهمية لمن كان مهتمّا بالتاريخ العثماني خلال مرحلة التنظيمات، وما يتعلق بها من أحداث وشخصيات ومواقف. فضلًا عن الملاحظات والتعليقات التي كان يذيّل بها المؤلف الحادث التي تطرق إليها.

5 . **تاريخ جودت:**

ألّف أحمد جودت باشا هذا الكتاب في ثلاثين سنة؛ إذ ابتدأه من معاهدة **قاينارجة الصغرى KüçükKaynarca** سنة 1774، ويمتد إلى إلغاء الانكشارية في الحادث المعروفة بالواقعة الخيرية سنة 1826. وصدرت الطبعة الأولى منه بإستانبول في الفترة بين (1271هـ إلى 1301هـ). وبعد إصداره لطبعتين من المجلدات الست الأولى، وثلاث طبعات من المجلدين الأوليين قام جودت باشا في سنتي 1302-1303هـ بإصدار الكتاب بترتيب جديد. وأتمّ المؤلّف مراجعة كتابه بإدخال التعديلات التي رآها ضرورية وأخرجه في شكله النّهائي في

الطبعة التي صدرت سنة 1309هـ[1].

التعريف بالكتاب «جودت تاريخي» وأهميته:

ألّف أحمد جودت باشا كتابه بلغة تركية عثمانية سلسة وواضحة لا تعقيد فيها، وساعدته في ذلك ملكته الأدبية وشاعريته وتضلّعه في العديد من العلوم العقلية والنقلية على التحكم بدقة عالية في العبارات التي اختارها لصياغة كتابه.

افتتح المؤلف المجلد الأول من كتابه بمقدمة اشتملت على عشرة فصول، ضمّنها: التعريف بفلسفة التاريخ وأهميته وفوائد ومصادره وغير ذلك ممّا يحتاج إليه دارس التاريخ. ويبدو واضحًا من هذه المقدمة وأسلوب النقد والتعليل الذي سار عليه في ثنايا الكتاب تأثره بابن خلدون، الأمر الذي جعل البعض يعتبره مؤسّسًا للمدرسة الخلدونية في التاريخ العثماني الحديث.

يعتبر أحمد جودت باشا مؤرّخًا من الطراز الأول، ويتجلّى ذلك في

---

(1) لمعرفة التفاصيل المتعلقة بمختلف الطبعات التي صدرت من تاريخ جودت، والظروف المحيطة بها، انظر:

Şeyfettin Özge, *Eski Harflerele Basılmış Türkçe Kataloğu*, c. IV, İstanbul, 1978, s. 1737-38

لمعرفة النسخ المخطوطة من كتاب تاريخ جودت وأماكن وجودها، انظر:

Hulusi, age, s. 131

المهارة الفائقة التي أبداها في تأليف كتابه، والدقة العالية في تطرقه للحوادث التي تناولها. وذلك من خلال التدقيق والمراجعة المتواصلة التي قام بها طيلة الفترة التي استغرقها تأليفه للكتاب[1]. فمن حيث المصادر، يلاحظ أن المؤلف راجع كلّ ما استطاع الوصول إليه من كتب الوقائع والتراجم والمذكرات والشخصيات السياسية والعلمية والدينية التي كان لها تأثير في الأحداث، سواء بالاشتراك في صنعها أو الشهود عليها. وفي خلال ذلك لم يكن أحمد جودت باشا مجرد ناقل أو راوي للأحداث فحسب؛ بل كان ناقدا محللا لها. فالقارئ لكتابه يرى أنّه لم يدّخر جهدًا في تحليل أسباب تَرَقِّي الدولة العثمانية وانحطاطها بطريقة جعلت كتابه يحظى بالتميّز والخصوصية اللذين انفرد بهما عن غيره من المؤلفات التاريخية السابقة واللاحقة[2].

وقد رتّب أحمد جودت باشا كتابه على السنوات الهجرية كما فعل سلفه من مؤرخي الحوليات. وفي أثناء حديثه عن الدولة العثمانية تناول أوضاع الدول الأوربية والعلاقات بينها أو بينها وبين الدولة العثمانية، والسياسة التي سار عليها الأوربيون نحو الدولة العثمانية، محاولا في ذلك الوصول إلى معرفة الأسباب العميقة للأحداث.

وفي هذا التاريخ أيضا تناول المؤلف الحديث عن المؤسسات العثمانية

(1) Ali Ölmezoğlu, *"Cevdet Paşa"* mad; İA, s. 119.

(2) Ümit Meriç, *Cevdet Paşa'nın Cemiyet ve Devlet Görüşü*, s. 148- 149.

بالتحليل، ومنتقدًا الآراء التي كانت تحاول تعليل تعثر الدولة العثمانية بمؤسساتها التي تقوم عليها؛ معتبرًا أنّ هذه المؤسسات تحتاج إلى إصلاح ولا لزوم لإلغائها واستبدالها بنسخ مظاهر المدنية الأوربية للنهوض بالدولة العلية[1]. مذكّرا في الوقت نفسه بأنّ الالتزام بالإسلام واقتباس ما يناسب الدولة العثمانية من نظم ومؤسسات كفيل بتحقيق الإصلاح المنشود دون الحاجة إلى الاقتباس الحرفي للنظم الأوربية[2].

وفي أثناء استخدامه للمصادر التي استعان بها كان يقوم بنقدها والتدقيق فيها وفيما احتوت عليه من معلومات مقارنًا بين الحوادث، مستخلصًا للنتائج والعبر. وبهذا المنهج استحقّ في رأي الباحثين أن يأخذ مكانة عالية ضمن المؤرخين الكبار الذين أنجبتهم الدولة العثمانية حتى ذلك العصر[3].

وبحكم منصبه كمؤرخ رسمي لوقائع الدولة العثمانية في القصر السلطاني، فإنّه من الطّبيعي أن يكون أحمد جودت باشا باحثا في الوثائق عارفا بما يحتاج إليه منها، مدركًا لكيفية توظيفها وتوظيف غيرها من المصادر. فقد كان بالفعل بارعا في اختيار وثائقه التي اقتبس منها

---

(1) Hulusi, s. 133.

(2) Ahmet Cevdet Paşa, *Tarih-i Cevdet, tertib-i cedid*, III. s. 41-42; Ümit Meriç, *a.g.e,* s. 148- 149.

(3) A.H. Tanpınar, Edebiyat Üzerine Makaleler, s. 170.

معلوماته. فلا تكاد توجد وثيقة رسمية تخصّ الحوادث التي وقعت اعتبارا من سنة 1774 وما يتعلق بها من حرب أو سِلْم أو تغيير أو تمرّد أو إدارة أو سياسة، وأمكنه الوصول إليها إلا واستخدمها في كتابه[1]. ولم يكن أحمد جودت باشا في أثناء تدقيقه للمصادر مهما كانت قيمتها وصدقيّتها ليقبل ما ورد فيها دون أن يخضعها للمحاكمة. وفي خلال ذلك لم تكن تأخذه الحماسة والانتصار للدولة العثمانية، فيغضّ الطرف عن وجه الخطأ ويسكت عن الإجحاف الذي يراه في المعاهدات التي عقدتها أو الصلح الذي أبرمته. وكونه رجل قانون وقاضيا، لم يكن يسكت عن التنديد بالظلم الذي طال الشخصيات التي صدرت في حقها أحكام جائرة. كلّ ذلك كان أحمد جودت يورده في تاريخه دون تردّد، إلّا أنّه كان في الوقت نفسه معارضا بشدة لحركات التمرّد التي تهز أركان الدولة وتعرضها للخطر[2].

يذكر اللغوي والأديب التركي معلم جودت (1883- 1935) بأنّ أحمد جودت باشا لم يقتصر في إعداد كتابه على المصادر التركية فحسب؛ بل استفاد من مؤلفات معاصريه من مؤرخي وفلاسفة أوربا مثل: تان وهامر وماكولاي ومونتسكيو وأمثالهم[3]. يؤيّد ذلك إرسال أحمد

(1) Yahya Kemal, *Tarih Müsâhabeleri*, İstanbul, 1975, s. 114.

(2) *Age*, s. 114- 115.

(3) Muallim Cevdet, *Tedrisat Mecmuası*, VII. Nr. 39, 1333, s. 435.

جودت باشا نسخة من الأجزاء الثلاثة الأولى من تاريخه للمؤرخ النمساوي الشهير جوزيف هامر، الذي كان عضوًا خارجيًّا في الأكاديمية التاريخية المعروفة بـ: «**أَنْجُومَنِي دَانِيشْ Encümen-i Dâniş**»، والتي كان أحمد جودت باشا رئيسا لها. فاحتفى جوزيف هامر بالكتاب وقام بتقديمه في محاضرة ألقاها بأكاديمية فيينا مع الكتاب الآخر الذي ألفه أحمد جودت باشا، والموسوم بـ«**تذاكر جودت**»[1].

محتوى الكتاب ومنهج المؤلف

بعدما كتب أحمد جودت باشا مقدمة تاريخه التي تحدّث فيها عن أهمية التاريخ وفوائده، وما يحتاج إليه المؤرخ من علوم ومعارف؛ شرع في الحديث عن الموضوع الأساسي للكتاب، وهو تاريخ الدولة العثمانية، حيث قدم لذلك بنبذة مختصرة عن الدول الإسلامية التي سبقت العثمانيين، لينتقل منها إلى الحديث عن ظهور الدولة العثمانية وتطورها وأهم الأحداث التي عاشتها حتى سنة 1774. وهو التاريخ الذي يبدأ فيه كتابه، ويستمر حتى سنة 1826. وبالنظر إلى المدة التي استغرقها كتاب «**تاريخ جودت**» نلاحظ أنّه استهلك نصف قرن من تاريخ الدولة العثمانية. وهي فترة تكتسب أهميّة خاصّة بالنّظر إلى كونها مرحلة تحوّل خطيرة في التاريخ العثماني والعالم العربي والإسلامي والأوربي الذي كان مرتبطا بها.

---

(1) M.H. Yinanç, *"... Bizde Tarihçilik"*, s. 576.

وبالنظر إلى الترتيب الذي اختاره المؤلف لكتابه، نلاحظ أنّه قسّم كتابه إلى 12 قسما، تحدّث في كلّ منها عن الحوادث التي وقعت في فترة زمنية تتراوح ما بين سنتين وسبع سنوات، وذلك على النحو التالي:

- ❒ القسم الأول: من 1774– 1781.
- ❒ القسم الثاني: من 1782– 1786.
- ❒ القسم الثالث: لم يحدّده المؤلف بالسنوات كما فعل في القسمين السابقين وبقية الأقسام الأخرى للكتاب، وإنّما قسمه إلى فصول تحدث في مجملها عن حوادث تخصّ دولاً أخرى غير الدولة العثمانية مثل: مصر والهند والبلقان والقوقاز وروسيا. وفي صفحات قليلة من هذا القسم تحدث عن الدولة العثمانية. وفي الفصل الرابع من هذا القسم عاد أحمد جودت باشا إلى الترتيب الذي سار عليه في بداية كتابه. حيث استأنف التأريخ لحوادث 1786 وهي السنة التي توقف فيها في القسم الثاني، ليتوقف في سنة 1788.
- ❒ القسم الرابع: من 1788– 1789.
- ❒ الفصل الخامس: من 1789– 1792.
- ❒ القسم السادس: من 1792– 1798.
- ❒ القسم السابع: من 1798– 1804.
- ❒ الفصل الثامن: من 1804– 1808.

- ❐ القسم التاسع: من 1808- 1811.
- ❐ القسم العاشر: من 1811- 1817.
- ❐ القسم الحادي عشر: من 1817- 1821.
- ❐ القسم الثاني عشر: من 1821- 1826.

وبتصفّح محتويات الكتاب نلاحظ بأن أحمد جودت باشا قد خالف في كتابه هذا من سبقه من المؤرخين في طريقة تأليفه. فبالرغم من اشتراكه معهم في طريقة الحوليات، إلّا أنّه لم يجعل السلطان محورا للأحداث؛ بل لم يجعله حتى موضوعا أساسيا للكتاب. فقد اختار أن يجعل الدولة العثمانية محورا للتأريخ للأحداث العالمية التي عاصرها. وهكذا يلاحظ القارئ بأنّ ما أورده أحمد جودت باشا في كتابه ممّا يتعلّق بدول أخرى، أو ولايات عثمانية أخرى، إنّما ذكره في سياق عام يريد منه أن يلفت انتباه القارئ إلى مدى تأثير تلك الأحداث على التاريخ العثماني بشكل عام.

كما أنّنا نلاحظ بأن المؤلف أعطى عناية خاصة في كتابه للعلاقات الدولية التي تربط الدولة العلية بالدول الأجنبية أو بالمسلمين أينما كانوا، ولم يهمل الشخصيات السياسية والدينية والزعامات المحلية والأجنبية التي كان لها تأثير كبير في الحياة السياسية والدينية، فخصّص لها صفحات عديدة مبينا دورها الإيجابي أو السلبي. وفي هذا السياق نراه

يتحدث عن شيخ الإسلام عارفت حكمت، والصدر الأعظم سيد محمد باشا والسفير واصف باشا والغازي حسن باشا الجزائري ووالي مصر محمد علي باشا ونابوليون وإمبراطورة روسيا كاترينا وغيرهم..

وعن العلاقات الدولية، نجده اهتم بالحديث عن المعاهدات المهمة التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الأجنبية وذكر بعض بنودها لأهميتها. وتحدّث أيضًا في خلال ذلك عن السفارات والعلاقات الدولية والإصلاحات التي قامت بها الدولة العثمانية في الفترة التي عاصرها.

ولم يكن أحمد جودت باشا غافلاً عن التغيرات الدولية التي كانت تجري خارج الدولة العثمانية، فتحدث عن الثورة الفرنسية وحملات نابوليون والحملة الفرنسية على مصر والحرب بين إنجلترا وفرنسا وبين هذه الأخيرة وروسيا ..إلخ. كما خصص صفحات عديدة من كتابه للحديث عن حركات التمرد في اليونان والبلقان والتمرد الذي قام به الوهابيون في نجد والحجاز، وكذا تمرّد الانكشارية وغير ذلك من الحوادث التي كان لها تأثير كبير على السياسة العثمانية في الداخل والخارج.

مصادر تاريخ جودت

خلافا لما درج عليه الكثير من المؤرخين السابقين والمعاصرين لأحمد جودت باشا، فإنّ هذا الأخير قد صرّح في مقدمة كتابه بمعظم المصادر

التي اعتمد عليها في تأليف تاريخه. ويلاحظ أيضا بأنّ معظم المصادر التي استفاد منها تعود لمؤرخين عثمانيين معاصرين أو عاشوا في فترة قريبة من الأحداث المؤرَّخ لها. كما استفاد أحمد جودت باشا من عدة تقارير ورسائل لمسؤولين سابقين في الدولة العثمانية، وبيّن بشكل مقتضب محتوىٰ تلك التقارير وكيفية استفادته منها. وهذا بلا شك يعطي لتاريخ جودت خصوصية أخرىٰ مَيَّزَتْه عن غيره من المصادر العثمانية التي لم تخرج عن الإطار التقليدي للكتابة التاريخية التي التزمت بالنقل والجمع والتلخيص من المصادر الأخرىٰ.

وحتّىٰ تتّضح الصورة بشكل أفضل أرىٰ أن أورد هذه المصادر باختصار كما ذكرها في مقدمة تاريخه:

- ❐ تحفة الكبار في أسفار البحار، كاتب جلبي.
- ❐ قوجي بك رساله سي، قوجي بك (رسالة قوجي بك).
- ❐ حديقة الوزراء.
- ❐ دوحة المشايخ.
- ❐ سفينة الرؤساء.
- ❐ ذيل سفينة الرؤساء، فائق أفندي.
- ❐ قاترينة تاريخي، فيسترا. (كتاب مترجم من الفرنسية إلىٰ التركية العثمانية، يتضمّن: تاريخ الملكة كاترينا إمبراطورة روسيا).
- ❐ آينهء ظرفا، لم يذكر مؤلّفه. (رسالة في تراجم مؤرّخي الحوليات

العثمانية).

- ❑ كلبن خانان، أنريكي. (كتاب في تاريخ خانات شبه جزيرة القرم).
- ❑ عبرتنامهء دولت، لم يذكر مؤلفه. (كتاب في تاريخ القرم).
- ❑ مرآة الدولة، رسالة لنهال أفندي.
- ❑ خلاصة الاعتبار، رسالة لرسمي أحمد أفندي.
- ❑ تاريخجهء شهري أفندي، لشهري أفندي. (الوجيز في تاريخ شهري).
- ❑ تاريخ شمعداني زادة، شمعداني زادة.
- ❑ تاريخ أديب، أديب أفندي.
- ❑ أوردو ژورنالي، داود باشا (جريدة الجيش).
- ❑ تاريخ واصف، واصف أفندي.
- ❑ حسن أفندي جريده سي، حسن أفندي (جريدة حسن أفندي).
- ❑ منتخبات جاويد بك، جاويد أحمد بك.
- ❑ هاشم أفندي مجموعه سي، هاشم أفندي باشا.
- ❑ دوحة الوزراء، كلشن خلفان.
- ❑ تاريخ عبد الشكور، عبد الشكور أفندي.
- ❑ تاريخ جزار، مير حيدر شهباني.
- ❑ تاريخ الجبرتي، عبد الرحمن الجبرتي.
- ❑ مظهر التقديس بخروج طائفة الفرنسيس، الجبرتي.

❑ تاريخ نيقولا، معلم نيقولا الترك.

❑ تذكرهء بونابارت (سيرة ذاتية كتبها نابوليون عندما كان في منفاه، مترجمة إلى التركية العثمانية).

❑ ضبط نامه لر (1218– 1223هـ) مجموعة تقارير تتضمن بعض الحوادث، كتبت في قسم **أَنْدَرُونْ Enderun** في **قصر طُوبْ كَابِي TopKapı Serayı**.

❑ رائف أفندي ضبط نامه سي، علي رائف أفندي (مجموعة تقارير كتبها المذكور).

❑ نجيب أفندي تاريخـچـه سي، نجيب أفندي (موجز تاريخ نجيب افندي).

❑ تاريخ سعيد أفندي، كتخدا سعيد افندي.

❑ تاريخ عاصم، عاصم أفندي.

❑ تفنكـچـي باشي تاريخي، تفنكـچـي باشي (تاريخ تفنكـچـي باشي).

❑ فذلكهءقوشماني، قوشماني بن دهقاني (موجز تاريخ قوشماني).

❑ يايلا إمامي رسالسي، يايلا إمامي (رسالة الإمام يايلا).

❑ تاريخـچـهء عطا، أحمد عطا بك أفندي (موجز تاريخ عطا بك).

❑ لا يحهء ترجمان ديوان، ضيا باشا (تقرير ترجمان الديوان).

❑ سفارتنامهء محب افندي، محب افندي (تقرير السفير العثماني محب

أفندي في باريس 1220).

- سفارتنامهء وحيد افندي، وحيد افندي (تقرير السفير العثماني وحيد أفندي إلى نابوليون 1220).
- ژورناللر (الجرائد التي كانت تصدر في أيام حروب نابوليون في أوربا).
- تاريخ مير يوسف، سلاحشوران خاصه دان أحمد باشا زادة يوسف بك.
- تاريخ ملك بك، ملك بك (في تاريخ اليونان).
- تاريخ فترت، محمد افندي (موجز تاريخ اليونان).
- تاريخ وقعهءجزيرهءساقز، وحيد باشا (تاريخ واقعة جزيرة ساقز).
- تاريخ اسعد، اسعد افندي.
- تواريخ فارسية.

الجزائر في «تاريخ جودت»

لم يخصّص أحمد جودت باشا أقسامًا خاصة بالجزائر في تاريخه، وإنّما تحدّث عنها في مواضع مختلفة من كتابه. وذلك في إطار السياق العام للأحداث والتحولات التي كانت تعيشها الدولة العثمانية والعالم المحيط بها. وعليه؛ فإنّ ما أورده في تاريخه عن الجزائر يدخل ضمن هذا السياق. ولم يكن هذا المنهج الذي التزمه أحمد جودت باشا خاصّا بالجزائر

فحسب؛ بل عممه على كافة الولايات العثمانية في الأناضول والروملي وغيرها من الولايات العربية. كما التزمه أيضا عندما تطرق إلى الموضوعات الخاصة بالممالك الأوربية.

وفي أثناء حديثه عن أحداث الجزائر اقتصر أحمد جودت باشا على المهمّ منها ممّا رأى ضرورة التوقّف عندها والتعليق عليها، لكي لا يخرج بالكتاب عن مساره العام الذي يهدف إلى إعطاء صورة عامة عن أهم الحوادث التي عاشتها الدولة العثمانية في المركز أو في غيرها من الولايات التابعة لها. ومن الطبيعي أن لا نجد أية إشارة إلى بعض الحوادث التي تكتسي أهمية خاصة في تاريخ الجزائر خلال الفترة التي أرّخ لها أحمد جودت باشا. وذلك إما لعدم علمه بها، أو عدم أهميتها من وجهة نظره، أو لعدم توفر المعطيات الكافية التي تُمكِّنه من الكتاب عنها.

وبالنّظر إلى الفترة التي قام أحمد جودت باشا بتغطيتها في تاريخه (1774- 1826)، فإنّه من الضروري التأكيد على أن كتابه هذا يعدّ مصدرا أساسيا في غاية الأهمية، وذلك لكون المؤلف كان خلال هذه الفترة معاصرا لأحداث الجزائر وغيرها من الأحداث العالمية الكبرى. وفوق ذلك كان رجل دولة مُقرّبا من مصدر القرار، ومتابعا عن كثبٍ وبشكل مباشر للأحداث، ومن ثَمَّ فإنّه من الطبيعي أن تتوفر لديه من المعطيات التي تساعده على فهم واستيعاب وتفسير أحداث تلك الفترة أكثر ممّا توفّرت لغيره من المؤرّخين.

وبما أنّ هذه الدراسة تهدف إلى التعريف بالمصادر العثمانية، والطريقة التي تناول بها المؤرخون العثمانيون لتاريخ الجزائر، فإننا لن نخرج عن سياق العرض العام لهذه المصادر، ولن نجازف بإجراء بتقويم عاجل وسطحي لما كتبه أحمد جودت باشا أو غيره من المؤرخين العثمانيين عن الجزائر؛ لأنّ تقويم تلك المؤلّفات يحتاج إلى قراءة أوسع، وأكثر عمقًا لا يتّسع لها هذا المقام.

نص نموذجي مترجم عن الجزائر من كتاب «تاريخ جودت»:

الأوضاع في أوجاق الغرب

يطلق اسم أوجاق الغرب على ثلاث ولايات عثمانية مختارة تقع في شمال إفريقيا، هي: طرابلس الغرب والجزائر وتونس. وعندما كان فرسان مالطا يقومون بالاستيلاء على السفن الإسلامية ويأسرون بحارتها، كان بحارة أوجاق الغرب يرُدُّون عليهم بالمثل فيقومون بالاستيلاء على السفن المسيحية.

وأخيرًا أغلقت قاعدة فرسان مالطا، وتكفَّلت الدول الأوربية بتأمين التجارة البحرية. إلّا أنّه بينما كان من اللازم على أوجاق الغرب أن يتوجهوا إلى ممارسة التجارة بشكل طبيعي، استمروا في مهاجمة السفن المسيحية والاستيلاء عليها، رافضين التَّخَلِّي عن أساليبهم القديمة. كما كانوا ينفردون بعقد معاهدات مع الأوربيين مجبرين إياهم على دفع الإتاوات المالية.

لقد بالغ أوجاق الغرب في الاعتداد بأنفسهم حتى صاروا يعتدون على سفن الدولة العلية، ولم يكونوا يُلْقُونَ بالاً لأوامر الباب العالي. وفي الفترة التي حظر فيها الإنجليز تجارة الرقيق، كان رياس البحر في أوجاق الغرب يهاجمون السفن الأوربية، ويسترقّون بحارتها أمام أعين أوربا. لقد كان من الواضح أن الممالك الأوربية لن تتسامح مع هذا الموقف.

كان من الواضح أنّ بحارة أوجاق الغرب يجهلون قدرة الدول

الأوربية على إلحاق الأذى ببلادهم، وكي لا يحدث ذلك كان من اللازم في الوقت نفسه على الدولة العلية أن ترسل أسطولا لتأديبهم وإعادة هذه الولايات إلى النّظام، إلّا أنّ رجال الدولة العلية في هذه الفترة لم يكونوا يدرون شيئا عمّا يجري في هذا العالم، ولم يكن يعنيهم شيء آخر غير حياتهم اليومية في إستانبول والمحافظة على مناصبهم. لقد أداروا ظهورهم لأوروبا، ولم يعودوا يهتمون بالأحداث الخارجية ولا بما يجري في أوجاق الغرب.

إنّ أكثر مسؤولي الدولة العلية كانوا يعتقدون بأن الدول الأوربية لا يمكنها أن تتعرض بالسوء لأوجاق الغرب. وكان الإنجليز قد حذروا الباب العالي بأنّه إذا لم تقم الدولة العلية بإيجاد حل لهذه المشكلة، فإنّ الدول البحرية الأوربية سوف تقوم بتدمير أوجاق الغرب. فردت عليهم الدولة العلية بأنّها: «لا تتدخّل في الإجراءات الحربية التي تتّخذها ولاياتها الغربية». وعندما تَلَقّى الإنجليز هذا الجواب اعتبروا بأن أوجاق الغرب لم يعد مرتبطا بالدولة العلية. فكان هذا مقدّمة لمهاجمة الجزائر.

وهكذا عقدت إنجلترا والنمسا وبروسيا سنة 1815 حلفًا بناءً عليه قام الأميرال إكمونت[1] قائد الأسطول الإنجليزي المرابط في البحر المتوسط سنة 1816 بالتوجّه على رأس أسطوله إلى سواحل الجزائر. إلّا أنّ بيلرباي الجزائر عمر باشا رفض استقبال الممثل الإنجليزي. فأرسل الأميرال تحذيرا إلى عمر باشا يقول فيه بأنّه:

---

(1) هكذا ورد اسمه في تاريخ جودت. ولعله اللورد إكسماوث.

«إذا رفضتم التّفاوض خلال ساعتين، فإنّني سوف أعلن عليكم الحرب وأقوم بقصف المدينة».

اضطر عمر باشا في الأخير إلى قبول التفاوض مع الإنجليز الذين كانوا يطالبون ما يلي:

1. الموافقة على استقبال القنصل الإنجليزي في الجزائر وكذلك قنصل سردينيا.

2. إطلاق سراح الأسرى.

3. يدفع كل أسير للجزائريين 50 قرشا مقابل إطلاق سراحه.

4. يتوقف الجزائريون عن استرقاق الأوربيين.

وافق عمر باشا على هذه الشروط عدا البند المتعلق بموضوع الأسرى، فقد اشترط فيه أن يوافق عليه السلطان بعد إعلامه بذلك.

وعلى إثر ذلك أرسل عمر باشا أحد الموظفين في سفينة إنجليزية إلى إستانبول. في هذه الأثناء هاجم أَلْفَانِ من الأهالي بعض الإيطاليين الذين كانوا يقومون باصطياد المرجان على مسافة قريبة من الساحل، وتمّ قتلهم. كما تمّ حبس القنصل الإنجليزي وزوجه.

وما إن وصل هذا الخبر إلى إنجلترا حتى تحرك الأسطول الإنجليزي والهولندي نحو الجزائر. فلم تمض ثلاث ساعات حتى

بدأت الحرب. فتمّ تدمير وحرق جميع وحدات الأسطول الجزائري، ومرسى مدينة الجزائر، ومخازنها وبيوتها الساحلية. وفي اليوم التالي اضطر الجزائريون إلى طلب الصلح، حيث تمّ إطلاق الأسرى دون تعويض.

لقد صارت الأساطيل الأوربية قوية، ولم يَعُدْ دايات الأوجاق قادرين على مهاجمة السفن الإفرنجية والاستيلاء عليها كما كانوا يفعلون من قبل، فكان من أثر ذلك أن تناقصت ثرواتهم. ولأن البعض ظنّوا بأنّ البيلرباي هو المتسبب في هذه الحادثة، فقاموا بتحريض الأهالي للتمرد عليه. وهكذا ثار الأهالي على بايلرباي تونس محمود باشا. فقام الباشا بالاتفاق مع الشخصيات المتنفذة في البلد، وتمّ إخماد التمرّد. إلّا أنّ المتمرّدين سرعان ما ركبوا سفن البايلك وأعلموا البيلرباي بأنهم سوف يستأنفون القرصنة. فأصدر البيلرباي أمرًا يتضمّن منع القرصنة قبل إعلام السلطان.

وحينما عجز دايات الجزائر عن مهاجمة السفن الأوربية، حاولوا مهاجمة السفن العثمانية. علمًا بأنّ دايات الجزائر كانوا يستقدمون البحارة من إزمير وما حولها. وبسبب سلوك دايات الجزائر المشار إليه تمّ منع تجنيد البحارة لصالح دايات الجزائر. وعلى إثر ذلك اعتذر الجزائريون للسلطان عمّا بدر منهم، فقُبل اعتذارهم وسمح لهم بتجنيد البحارة من إزمير كما كانوا يفعلون من قبل.

حقيقة لو أنّ الأسطول السلطاني قام بتأديب الجزائر وإعادتها إلى الانضباط لكانت الجزائر اليوم بيدنا. إنّ الجهل بالعلاقات

الخارجية هو الذي يجعلهم يَتَجَرَّؤُونَ على فعل ما ذكرناه. والأغرب من ذلك أن المعاهدة التي عقدها الإنجليز مع الجزائريين لم يعلم بها الباب العالي. وقد اطلع عليها مؤرخ الوقائع شاني زادة في مصادر أجنبية وأوردها في تاريخه[1].

(1) جودت تاريخي، ج 2، ص 296– 297.



الفصل السادس

الدفاتر المهمة

وأهميتها في دراسة التاريخ المحلي والعالمي خلال الفترة العثمانية[1]

(1) مداخلة ألقيت في الملتقى الدولي حول الأرشيف ودوره في كتابة تاريخ الجزائر، يومي 5، 6/11/2012 بجامعة حسيبة بن بوعلي، بالشلف (الجزائر).

تمهيد

تعدّ الوثائق الأرشيفية إحدىٰ المصادر الأساسية المهمة في دراسة تاريخ وحضارة الأمم. ومن بين المصادر الأرشيفية التي لازالت لم تأخذ حقها من الاهتمام لدىٰ الباحثين المهتمين بالدراسات التاريخية خلال الفترة العثمانية: الدفاتر المهمة التي تمثل القرارات الصادرة عن الديوان السلطاني للدولة العثمانية.

وهذه الدراسة تهدف إلىٰ التعريف بهذه الوثائق وإبراز أهميتها في دراسة تاريخ الدول والمجتمعات التي كانت لها علاقة بالدولة العثمانية. بالإضافة إلىٰ بعض الملاحظات التقنية التي تساهم في تسهيل الاستفادة من هذه الدفاتر.

تعريف الدفاتر المهمة

يطلق اسم الدفاتر المهمة علىٰ الدفاتر التي تحتوي علىٰ القرارات الصادرة عن أعلىٰ مؤسسة في الدولة العثمانية، وهي المؤسسة المعروفة بـ: **دِيوَانُ هُمَايونْ Divân-ı hümayûn**[1] أي: الديوان السلطاني، والتي

(1) **ديوان همايون** مجلس وزراء الدولة العثمانية. أسس في عصر الغازي أورخان، وتطور كثيرا في عصر الفاتح. كان يعقد جلساته أربعة أيام في الأسبوع، ويحضره الوزراء المعروفون بوزراء القبة، بالإضافة إلىٰ قاضي عسكر الروملي وقاضي عسكر الأناضول والدفتردار (وزير المالية) والنيشانجي (الوزير المكلف بالتوقيعات والأختام). وفي بداية الأمر كان السلطان هو الذي

تتناول مختلف المسائل ذات الطابع السياسي أو العسكري أو الاقتصادي الاجتماعي أو الثقافي. سواء تعلقت هذه القرارات بمركز الدولة العثمانية أو بالولايات التابعة لها أو الخاضعة لحمايتها أو بالدول الأجنبية الأخرى التي تربطها بالدولة العثمانية علاقة سلم أو حرب(1).

فقد كانت القرارات التي تصدر عن الديوان تسجل في دفتر الديوان، كل قرار مرتب زمنيًا حسب تاريخ صدوره. وحتى سنة 1649 كانت الدفاتر المهمة تشتمل على المراسيم السلطانية (الفرمانات) والقرارات التي يصدرها الديوان. غير أنّه بعد هذا التاريخ صارت الدفاتر تشتمل على القرارات الأخرى مثل: قرارات التحويل والرسائل والشكاوى وغيرها..

ولا تشتمل الدفاتر المهمة على القرارات التي يوقعها السلطان فحسب؛ بل تشتمل على القرارات الصادرة عن الديوان بصرف النظر عمن يرأسه، سواء كان السلطان أو الصدر الأعظم أو من ينوب عنه. والمهم في الأمر أن هذه القرارات كانت تصدر عن الديوان وباسم

يرأس جلسات الديوان، ثم صار الصدر الأعظم يتولى ذلك. وينوب عنه قائم مقام في أثناء غيابه. للتوسع أنظر:

Mehmet Zeki Pekalın, *Osmanlı Tarihi Deyimleri Sözlüğü*, İstanbul, 2004, 1/462- 465

(1) Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Divan-ı Hûmâyûn Sicilleri

Dizisi:VII, *83 Numaralı Mühimme Defteri (1036- 1037/1626-1628)*, Ankara 2001, s. 09

السلطان العثماني حتى وإن لم يكن السلطان هو الذي يترأس اجتماعات الديوان. ويمكن ملاحظة ذلك بالنظر إلى الطريقة التي صيغت بها الأوامر الصادرة في الدفاتر المهمة. حيث أنها ترد جميعا بصيغة: **الأمر الصادر بصيغة المفرد العائد إلى السلطان المعظم.**

محتوى الدفاتر المهمة

❑ **أوامر سلطانية إلى البيلربايات.** تتناول مختلف القضايا التي تخص ولاياتهم والمناطق الخاضعة لهم. فنجد على رأس المرسوم أو القرار عبارة: «**إلى بايلرباي الشام .. ديار باكر .. بغداد .. البصرة .. جزائر الغرب.. مصر.. وهكذا ...**».

❑ **أوامر إلى قضاة الولايات العثمانية** تتضمن أوامر ذات بعد سياسي أو عسكري تحتاج إلى أمر قضائي كما ورد في القرار القاضي بإصدار قضائي يسمح بتخصيص فضاء يتخذ كمعسكر للجيش بالبصرة[1]، أو الأمر بتفتيش مواقع معينة تحتاج إلى أمر قضائي[2]، أو الأمر بترميم بعض المواقع العسكرية، وما يتطلّبه ذلك من مصاريف مالية ونحوها من تكاليف[3].

❑ **أوامر ذات بعد أمني** تتضمّن أوامر لبعض الولاة للقيام بمعاقبة

---

(1) انظر الدفتر 03/ 837، القرار رقم: 63.

(2) دفتر 03/ 40، القرار: 66.

(3) دفتر 03/ 41، القرار: 69.

قطاع الطرق ومن يقومون بترويع الناس[1].

□ **أوامر تتضمن استفسارات لبعض الموظفين الكبار في الدولة عن** قرارات قاموا بإصدارها. سواء كانت هذه القرارات ذات بعد إداري أو مالي أو قانوني[2].

□ **أوامر ذات بعد استخباراتي** تتضمّن ضرورة تعقب أخبار العدو في منطقة من المناطق، وتزويد الجهات المعنية بها[3].

□ **أوامر ذات بعد دبلوماسي وعسكري تتضمن اتخاذ إجراءات سياسية أو عسكرية تخص العلاقة مع دولة أو إمارة من الدول الأجنبية[4].**

□ **أوامر موجهة إلى قبطان داريا**[5]، أو غيره من قادة الأساطيل العثمانية، تتضمن أوامر عسكرية في البحر الأبيض أو غيره من البحار والمضائق.

---

(1) دفتر 03/ 39، القرار : 65.

(2) دفتر 03/ 44، القرار:77.

(3) دفتر03/ 43، القرار: 79.

(4) دفتر 03/ 49 القرار: 90.

(5) دفتر 03/ 195، القرار: 439.

أهمية الدفاتر المهمة في الدراسات التاريخية المتعلقة بالمرحلة العثمانية

تكمن أهمية الدفاتر المهمة من حيث قيمتها التاريخية في كونها أحد المصادر الأساسية المهمة التي تسلط الضوء على طبيعة الموضوعات التي كان يتناولها مجلس الديوان السلطاني المعروف بـ: «**دِيوَانِ هُمَايُونْ** **Divan-ı Hümayûn**» في اجتماعاته اليومية. كما تبين تطور تلك الأوامر من حيث أسلوبها وطبيعة الموضوعات التي كانت تتناولها، ومدى شموليتها للقضايا المختلفة التي كانت تعرض على الديوان.

ومن ناحية أخرى تتجلى أهمية الدفاتر المهمة في كونها مصدرًا أساسيًا من الدرجة الأولى لتثبيت المعلومات التاريخية. سواء تعلق الأمر بالدولة العثمانية أو بأي ولاية من ولاياتها أو أي دولة ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بها. ذلك لأنّ القرارات التي تحتوي عليها الدفاتر المهمة تعدّ وثائق رسمية مجردة تتميّز باحتوائها على معلومات رسمية موثّقة، كانت تعتبر مصدرا تشريعيّا يحتكم إليه في أيّ منازعة قانونية، ومن ثمّ فإنّه من الطبيعي أن تصير هذه الوثائق مصدرا أساسيا لإثبات أو نفي أو تصحيح الحقائق التاريخية التي طالما يتنازع في شأنها الباحثون. ولذلك فإنّ الرجوع إلى هذه الدفاتر يُعدّ من أهم المهمات التي يجب أن يقوم بها الباحث في الموضوعات التاريخية التي تطرقت إليها هذه الدفاتر.

ولا تكمن أهمية الدفاتر المهمة في قيمتها التوثيقية فحسب؛ بل تكمن أيضا في كونها مرآة لتطور الدولة وإدارتها ومؤسساتها المرتبطة بها. فكل

القرارات التي كانت تصدر عن الديوان السلطاني في الدفاتر المهمة على مدى يقارب 400 سنة، تعكس تطور بيروقراطية الدولة العثمانية ومؤسساتها المرتبطة بها.

كما أنّه بالنّظر إلى محتوى تلك القرارات نستطيع أن نلمس نوع المشكلات السياسية والدينية والقانونية والعسكرية والمالية والعسكرية التي كان يناقشها الديوان في اجتماعاته، التي تتوج بتدوين مقرراته في نهاية الاجتماع.

ومن ناحية أخرى يمكن ملاحظة التطور الفكري والأدبي والثقافي للتكنوقراطية العثمانية من خلال تتبع تطور أسلوب هذه المراسيم ولغتها والخط الذي كتبت به.

وكما أن هذه الدفاتر مرآة لإدارة الدولة ومؤسساتها، فإنّها تعدّ كذلك مرآة تعكس طبيعة علاقة الدولة برعاياها وموظفيها السامين الذين هم في الغالب المخاطبون بالقرارات الصادرة عن الديوان، وكذا علاقتها بحلفائها وخصومها الدائمين والطارئين.

ونلاحظ كذلك من خلال هذه الدفاتر تطور العلاقات الدولية بين الدولة العثمانية وغيرها من الدول والممالك الأخرى. فمراسيم الديوان كثيرًا ما تكون أرضية لاتفاقيات دولية تعقد بين الدولة العثمانية والدول الأخرى، كما أنها تكون أيضا أرضية لإعلان الحرب عليها.

ومن خلال هذه الدفاتر يمكننا أيضًا أنّ نلاحظ الطوائف الدينية

والمذاهب المختلفة التي كانت تعيش في الأراضي العثمانية، والمشكلات التي كانت تواجهها، وطريقة تعامل الدولة معها.

وهكذا يتجلّى لنا أن الوثائق المهمة ليست مصادر للتاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي فحسب؛ بل نجدها تؤرخ بشكل دقيق للفكر الديني الذي كان يتشكل منه المجتمع العثماني بشتى أطيافه.

وللأهمية القصوى التي تتميز بها هذه الدفاتر، بات من الضروري جدًّا تصنيف وتلخيص محتوى هذه الدفاتر كمرحلة أولى، ثمّ ترجمة نصوصها كاملة كمرحلة ثانية لتكون في متناول الباحثين المهتمّين بكلّ ما له علاقة بالمرحلة العثمانية من تاريخنا بأبعاده المحلية والإقليمية والعالمية.

بعض الجوانب التقنية للدفاتر المهمة

أ. أنواع الدفاتر المهمة من حيث جهة صدورها

يمكن تصنيف الدفاتر المهمة من حيث جهة صدورها إلى أربعة أنواع:

1. **الدفاتر المهمة** التي تتضمن القرارات الصادرة عن الديوان المنعقد برئاسة السلطان أو الصدر الأعظم خلال وجود السلطان في إستانبول.

2. **الدفاتر المهمة المسماة بـ: دفاتر الركاب**: القرارات الصادرة عن الديوان أثناء خروج الصدر الأعظم للغزو أو لسبب آخر. فينعقد الديوان برئاسة نائب الصدر الأعظم المسمى بـ: قائم مقام الركاب.

3. **الدفاتر المهمة المسماة بدفاتر الجيش**: يتضمن القرارات الصادرة عن الديوان المنعقد برئاسة الصدر الأعظم في أثناء خروجه للغزو على رأس الجيش.

4. **الدفاتر المهمة المسماة بـ: دفاتر قائم مقام**. وهي القرارات الصادرة عن الديوان المنعقد برئاسة نائب الصدر الأعظم المسمى بـ: **قائم مقام**. وذلك في أثناء وجود كل من السلطان والصدر الأعظم خارج إستانبول[1].

ب. كشافات وفهارس الدفاتر المهمة وعددها

الجدير بالملاحظة هو أنه قد صدر عن أرشيف رئاسة الوزراء التركي المعروف عند الباحثين **بالأرشيف العثماني**[2] حتّى الآن حوالي 375 دفترا من الدفاتر المهمة بالإضافة إلى 45 ملحقا[3].

---

(1) Pekalın, II. S. 695.

(2) يعرف بالأرشيف العثماني لكونه يحتوي على الوثائق المتعلقة بالدولة العثمانية والولايات التي كانت تابعة لها، وكذا الدول التي كانت لها علاقة بها سواء كانت هذه العلاقة علاقة سلم أو حرب أو تجارة أو غيرها.

(3) Yusuf İhsan Genç, Hacı Osman Yıldırım, Nazım Yılmaz vd.,

ويمكن جدولة الدفاتر المهمة الصادرة حتى الآن على النحو التالي:

أولا: دليل دفاتر الديوان الهُمَايُوني رقم 989[1]:

عنوان الدفاتر	التاريخ	عدد الدفاتر
الدفاتر المهمة	961- 1323هـ/ 1553-1905	265
ذيل الدفاتر المهمة	980- 1195هـ/ 1572-1578	17
الدفاتر المهمة العسكرية	1196-1328هـ/ 1781-1910	68
الدفاتر المهمة المكتومة (السرية)	1203- 1302هـ/ 1788-1885	10
الدفاتر المهمة المصرية	1119- 1333هـ/ 1785-1915	15

Başbakanlık Osmanlı Arflivi Rehberi, İstanbul 2000, s. 10-23.

(1) *989 Numaralı Divân-ı Hûmâyûn Mühimme Defterleri*

ثانيا: دليل دفاتر باب آصافي[1] رقم 980[2]:

عنوان الدفاتر	التاريخ	عدد الدفاتر	ملاحظات
الدفاتر المهمة	977-1252هـ/ 1570-1836	43	
الدفاتر المهمة المكتومة (السرية)	1223- 1224هـ/ 1808- 1809	01	
الدفاتر المهمة المصرية	1122- 1128هـ/ 1710- 1716	01	16صفحة

ج. قراءة نموذجية لبعض الدفاتر المهمة:

لنأخذ على سبيل المثال دفتر المسائل المهمة رقم: 010، والخاص بالقرارات الصادرة عن الديون الهمايوني (المجلس السلطاني أو مجلس الحكومة العثمانية) بتاريخ: 971ه/ 1571 الذي أصدرته دائرة

---

(1) **باب آصافي** يقصد به مقام الصدارة العظمى. أي قصر الصدر الأعظم أو الوزير الأول في الدولة العثمانية. حيث صارت اجتماعات الديوان تعقد في قصره اعتبارا من سنة 1625. وفي قصر الصدارة العظمى كان يوجد عدد كبير من الموظفين المكلفين بمختلف الوظائف الإدارية. ومن بينهم المكلفون بتدوين قرارات ومحاضر اجتماعات الديوان في دفتر خاص صار دعى دفتر باب آصافي. أي دفتر مقررات الصدارة العظمى. للتوسع انظر:

Mithet Sertoğlu, *Osmanlı Tarih Lûgatı*, İstanbul 1986, s. 277-278

(2) *980 Numaralı Bâb-ı Âsafî kataloğu Mühimme Defterleri*

الأرشيف العثماني التابعة لأرشيف رئاسة الوزراء التركي بإستانبول، ونجعله نموذجا عمليا نستقرئ من خلاله الملاحظات التقنية التي تعطينا صورة أكثر وضوحا عن الطريقة التي كتبت بها قرارات المسائل المهمة.

ومثلما سبق وأن أشرنا، فإنّ جُلّ قرارات ومراسيم الدفاتر المهمة كانت تصدر باللغة التركية، إلّا أنّه بالبحث والتقصي وجدنا بعض القرارات صدرت باللغة العربية أو ترجمت إليها، ثمّ أرسلت نسخ منها إلى الجهات المعنية، ولعلّ ذلك حتّى تعطي الوثيقة مصداقية وقوة قانونية أكثر بالنسبة للمتلقين من الولايات العثمانية في البلاد العربية. كما نلاحظ بأنّ الوثيقة التي جعلناها نموذجًا لدراستنا قد كتبت بخط واضح ومقروء. إلّا أنّ معظم الوثائق الصادرة عن الديوان المذكور كتبت بخط التعليق وبطريقة صعبة جدا بالنسبة للباحث غير المتخصص في قراءة الأرشيف؛ حيث أنّ الكاتب كثيرًا ما يلجأ إلى استعمال تعابير إدارية ومصطلحات لم يعد لها وجود اليوم. ولأجل ذلك فإنّ التمكّن من قراءة تلك الوثيقة يستلزم معرفة تلك المصطلحات والأساليب التعبيرية التي كانت شائعة يومئذ.

كما نلاحظ أنّ الدفاتر المهمّة لم تُرَتَّبْ حسب المواضيع أو الأقاليم أو الشخصيات المرسل إليها أو حسب الأهمية إنّما رُتِّبَتْ على السنوات الهجرية، لكنّها لم تراع ترتيب الشهور، فمن الجائز أن نجد وثيقة صادرة

في شوال قد وضعت قبل الوثيقة الصادرة في شهر رمضان، وأخرىٰ صادرة في محرّم قد تمّ وضعها بعد الوثيقة الصادرة في ربيع الآخر.. وهكذا، فلينتبه الباحث إلىٰ هذه المسألة؛ لأنّ الجهل بها يجعله لا يستطيع العثور علىٰ الوثيقة التي يبحث عنها بسبب عدم وجودها مرتبة في التاريخ المناسب لها.

وأمّا من حيث الموضوعات، فإنّها لم تراع أية قاعدة في ذلك. فقد تجد وثيقة تخص الجزائر تليها وثيقة مرسلة إلىٰ قائد الأسطول العثماني، تتبعها وثيقة أخرىٰ موجهة إلىٰ ملك أو سلطان في بلد من البلدان، دون أن تكون لأيٍّ منهم علاقة بالآخر. فالوثيقة النموذجية التي اختيرت لتحليلها -علىٰ سبيل المثال- نلاحظ أنّها تتحدث عن تعيين نائب للبيلرباي قلج علي رئيس، وإلحاق تونس بإيالة الجزائر، وقد كتبت باللغة العربية، تَلَتّها وثيقة أخرىٰ مباشرة كتبت باللغة التركية وتتعلّق بمملكة «**أفلاق**» -وهو الاسم الذي كان يطلق علىٰ رومانيا في ذلك العصر-، دون أن يكون لهما أية علاقة تربطهما في الواقع، عدا تبعية كلّ منهما للدولة العليّة.

وعندما ننظر إلىٰ أعلىٰ الوثيقة سوف نجد أن الصفحات التي صورت عليها الوثيقة قد رقمت بأرقام هندية. ومن الواضح أن تلك الأرقام ليست جزءا من الوثيقة بل من وضع دائرة الأرشيف. وذلك لأنّ الدائرة المذكورة عندما شرعت في تصوير ونشر وثائق الأرشيف العثماني

في أول الأمر، قامت بتصوير الوثائق الصادرة في سنة من السنوات أو في بضع سنوات، ثم تجميعها وترقيمها باليد، قبل أن يتم ترقيمها عن طريق الطباعة بعدما تم إصدار الدفاتر المهمة في شكل كتب. كل كتاب يحتوي على الوثائق الخاصة بسنة أو سنوات معينة.

وعليه؛ فإنّ الرقمين: 170- 171 والموجودان في أعلى الوثيقة يمثلان رقمي الصفحتين اللتين وردت فيهما الوثيقة المنشورة. وأمّا رقم: 256 الموجود في الزاوية العليا على يمين الوثيقة فهو رقم الوثيقة.

ويلاحظ وجود تأشيرة فوق الرقم: 256، وهي تأشيرة التوقيعي الذي يعرف بـ: **نيشانجي Nişancı**. وهو موظف كبير في ديوان همايون كان يحضر اجتماعات الديوان، ليكي يقوم بالمراجعة الأخيرة للقرارات الصادرة عن الديوان قبل عرضها على السلطان. والتأشيرة التي تلاحظ في الوثيقة تعني أن الوثيقة تمت مراجعة من طرف التوقعي.

وفي أعلى الوثيقة على اليمين قليلاً نجد اسم الكاتب أو مترجم الوثيقة: «**حاجي مراد**». ومثل هذا عادة يوجد في الوثائق التي كتبت بغير اللغة التركية، أو التي ترجمت منها أو إليها. وأمّا الوثائق الصادرة أصالة باللغة التركية، فإنّ اسم الكاتب لا يدوَّن في الوثيقة.

كما نجد بعد اسم الكاتب عبارة «قررت في 25 شوال سنة 979». ونلاحظ هنا أنّ التّاريخ كان يُدوَّن وفق التقويم الهجري. والتاريخ

المذكور يوافق 1571 ميلادي. ولا شك أن معرفة تاريخ الوثيقة أمر في غاية الأهمية، لكونه يساعدنا بشكل كبير في معرفة الشخصيات المؤثرة في الدولة وفي التاريخ العثماني، بل والشخصيات ذات العلاقة بالوثيقة موضوع الدراسة، فضلا عن الحوادث المهمة ذات العلاقة بالوثيقة. ففي التاريخ الذي صدرت فيه الوثيقة يستطيع الباحث أن يعرف بسهولة بأنها صدرت في عصر **السلطان سلم الثاني** (1566– 1574)، وأنّ الوزير الأعظم الذي كان في هذه الفترة هو **صوقولي محمد باشا** (1562– 1579). وبما أنّ الوثيقة تتعلق بالجزائر وتونس، فإننا ندرك بسهولة بأن البيلرباي المشار إليه في الوثيقة هو **قلج علي رئيس** (1500– 1587)، المعروف في المصادر العربية بـ: **علج علي**. وهو الشخصية التي تولت قيادة الأسطول العثماني في مرحلة لاحقة بعد معركة ليبانت التي وقعت في نفس التاريخ الذي صدرت فيه هذه الوثيقة أي سنة 1571. وفي أثناء ولاية **قلج علي رئيس** تمّ إلحاق تونس بالدولة العثمانية سنة 1574، حيث أصبحت تابعة إداريا لإيالة الجزائر، لتصبح فيما بعد ولاية مستقلة برتبة «**أيالة**» يحكمها والي عام برتبة «**بيلرباي**» ويحمل لقب: «**داي**».

وفي نهاية الوثيقة نلاحظ تأشيرة التوقيعي مرة أخرى، مع عبارة لم استطع قراءتها. وأسفل منها كلمة: (صورت) وقد كتبت هكذا وفق قواعد الإملاء العثماني. ممّا يعني أنها نسخة من المرسوم أرسلت إلى المدعو سليمان، الذي وُصِف بأنّه قائد الجيوش -أي القائد العام

للجيوش العثمانية-. ويلاحظ أنّه تحت عبارة (صورت) وردت عبارة قايد الجيش سليمان.

ومن المهمّ التنويه بأنه ليست جميع الوثائق كتبت على هذا النحو. فعلى مدى قرون عديدة تطورت كتابة المراسيم السلطانية وغيرها من القرارات الصادرة عن ديوان همايون من حيث الخط والأسلوب. وعليه؛ فإن ملاحظة الاختصارات والرموز التي كانت تصدر أو تذيّل بها الوثائق أو تكتب على هامش الوثيقة أمر في غاية الأهمية.

ففي بعض الوثائق لاحظنا أنّها كانت تصدَّر بكتابة حرف (م) فقط. ولمّا سألت المختصّين في الأرشيف عن دلالة ذلك، قيل لي: إنّ ذلك الحرف يمثّل اختصارًا للبسملة.

وفي بعض الأحيان نجد بعض الوثائق تُصَدَّر بعبارات دينية ذكرت على سبيل التبرك. نحو: «**هو الله يا حافظ، يا معين**». ولم ألاحظ أن وثائق الدفاتر المهمة كانت تصدّر بالبسملة كاملة أو بالاستعاذة، أو بالصلاة على النبي ﷺ. وهو أمر يدعو الى التفكير.

في بعض الوثائق لاحظنا أنها صُدّرت بعنوان، على نحو ما ورد في بعض الوثائق: «**الأحكام الشريفة والأوامر اللطيفة المتعلقة بالأسطول السلطاني**»[1].

---

(1) عبارة الأسطول السلطاني أو الأسطول الهمايوني، هي الترجمة لما ورد في الوثيقة،

وفي بعض الوثائق لاحظنا أنها تبدأ بذكر التاريخ على نحو الوثيقة التي ندرسها، وأحيانا يذكر التاريخ مختصرا. فشهر رمضان يرمز إليه بحرف (ن) وشوال يرمز إليه بحرف (ش) وذي القعدة يرمز إليه بحرف (ق) .. وهكذا. وكلّ هذا يعرف بالاستقراء والمتابعة. وبعد ذكر الشهر تذكر سنة صدور القرار وفق التاريخ الهجري، ثمّ الجهة المعنيّة بالقرار، وذلك كما في المثال التالي:

«يوم الاثنين في 22 ن، سنة 1036، منزل ليمان قواق»(1)

وبعدما تنتهي الوثيقة التي نقوم بدراستها مباشرة نجد وثيقة أخرى مكتوبة باللغة التركية العثمانية، تحمل رقم: 257 وتتعلق بمملكة «**أفلاق**». حيث يلاحظ أن وثائق الدفاتر المهمة لا تتناول موضوعًا واحدًا أو بلدًا واحدًا، ولا يراعى في ترتيبها الموضوع أو المكان أو الشخص.

وكذا في جميع المصادر التركية القديمة مما كان يعرف بـ: **Donanma-yı hümâyun**. وهو الأسطول التابع للدولة العثمانية. الذي كانت جميع الوحدات البحرية في جميع الولايات العثمانية تعد قطعا من الأسطول الرئيسي. ومن هذا المنطلق كان على الوحدات الموجودة في الولايات العثمانية الاستجابة للأوامر التي يصدرها القائد العام للأسطول العثماني المعروف بقبطان داريا. سواء تعلق الأمر بالمشاركة في المعارك التي يخوضها الأسطول الرئيسي أو بعض وحداته في مختلف البحار.

(1) Devlet Arşivler Genel Müdürlüğü, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, *83 Numaralı Mühimme Defteri (1036-1037 / 1626-1628)*,belge No:01

وفي آخر الوثيقة نجد الرموز التالية: **A.DVN.MHM.d010**، وهي تعني ما يلي:

A. أرشيف.

DVN. ديوان هومايون (مجلس وزراء الحكومة العثمانية الذي كان يرأسه السلطان أو الصدر الأعظم أو قائم مقام الصدر الأعظم عند وجود هذا الأخير خارج إستانبول.

D010. الدفتر رقم: 10.

هذا ما أردنا التنويه به فيما يتعلق بالجوانب الشكلية الخاصة بقراءة الوثيقة. وأمّا الملاحظات المتعلقة بالمحتوى، فهي مسألة أخرى لا يسعني التطرّق إليها في هذه الدراسة لئلا يخرج بنا بالموضوع عن مجاله الذي وضع له.

د. صيغة الخطاب في الأوامر السلطانية الصادرة في الدفاتر المهمة

نلاحظ أن لغة الدفاتر المهمّة صيغت بلغة استعمل فيها الخطاب الرسمي الذي كان سائدًا في العصر الذي كتبت فيه تلك الدفاتر. فنجد الأمر السلطاني يصاغ بعبارة جازمة توحي بصدور الأمر من الأعلى إلى الأدنى، على نحو: «**إلى باي المنطقة كذا، قاضي منطقة كذا...بيلرباي منطقة كذا ...دفتردار منطقة كذا ...**»

وإذا تعلق الأمر برعايا الدولة سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين

فإنّ الأوامر المتعلقة بهم نجدها تستخدم: **إلى خدمي بمنطقة كذا**. ويعني بها بلغة اليوم: **إلى المواطنين بمنطقة كذا** .. وهذا يعكس مدى تطور الفكر السياسي قبل ظهور الدولة الوطنية. حيث كان الفكر السياسي **يعتبر السلطان أو الملك مركزًا في الدولة بخلاف الدولة الوطنية اليوم التي تعتبر الدولة أساسا في المواطنة والانتماء.**

كما نلاحظ وصف الدول المصنفة سياسيا ضمن الدول العدوة للدولة العثمانية، وكذا رعايا تلك الدول بـ: **الكفرة**. وهي ملاحظة مهمة تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية وغيرها من الدول غير المسلمة. حيث كان النظر على أساس الانتماء إلى **دار الكفر** أو **دار الإسلام**. وهنا نلاحظ أن رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين لم يكونوا يوصفون بالكفرة بل بـ: **أهل الذمة**، أو **البرايا**، أو **خدم السلطان**...

كما نلاحظ أنّ الشعوب الخاضعة للدول التي تربطها بالدولة العثمانية معاهدة صلح أو تحالف كانت توصف بـ: **الملة العيسوية**. وهذا التفريق في الخطاب السياسي في الوثائق العثمانية موضوع الدراسة تعكس اختلاف النظرة إلى (**الآخر**) من خلال موقعه السياسي. وهو بلا شك تفريق مهم يجدر التوقف عنده لمعرفة تطور الفكر السياسي والديني من عصر إلى آخر.

مرسوم سلطاني نموذجي ورد باللغة العربية في الدفاتر المهمة[1]

نص المرسوم

هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني وأمرنا المنيف السامي الخاقاني، لا زال نافذًا بالعون الرباني ومطاعًا له بالمنّ السبحاني. قد أرسلناه إلى فخر الأعيان ذخر الأقران، قايد الجيش[2] سليمان زِيدَ مجدُه. ينهي إليه أنّ أمير الأمراء الكرام بولاية جزاير المغرب سابقا، قبودان علي باشا دام إقباله: قد عرض منك خلوص الطوية لِسِدَّتِنا السَّنِيَّة، وحسن معاشرتك مع جيوش الإسلام[3]، ومثابرتك على إتمام الأمور المهام، وبذل السعي والاجتهاد بخلوص الفؤاد في أمر الجهاد. وورد أيضا إلى عتبتنا العلية من أعيان ولاية تونس المحمية. فلا يخفى عليك أن تلك الديار كساير ممالكنا الجلية الاعتبار، والعساكر المنصورة فيها كجندنا الملازمين

---

(1) ملاحظة: يلاحظ القارئ أني أوردت نص المرسوم السلطاني كما ورد في نسخته الأصلية، دون تصحيح أو تدخل في النص الأصلي، باستثناء علامات التنقيط وضعناها تسهيلا للقراءة والفهم. والأخطاء الموجودة في الأصل قمنا بكتابة العبارة الصحيحة في الهامش تمييزا لها عن النص الأصلي.

(2) قائد جيش الجيوش هو المعروف بالتركية باسم: سر عسكر. أي القائد العام للقوات البرية. ويقابله قبطان داريا القائد العام للأسطول العثماني (المؤلف)

(3) كذا في الأصل والصواب: حسن معاشرتك لجيوش الإسلام.

سدتنا السنيا[1]. بل أعزّ عندنا من هؤلاء قدرا وشرفا، من حيث أنّهم يواظبون الجهاد[2]، ويحرسون البلاد عن فساد المفسدين، وأضرار أعداء الدين. لأن أقصى مراد حضرتنا منها ومن كان فيها من رعاياها، وعلمائها وصلحائها وفقرائها وضعفائها أن يكونوا مصونين مأمونين بأنفسهم[3] وأموالهم وأهلهم وعيالهم ومساكنهم ومواطنهم من مضرة العدى وفساد المفسدين في أيام عدالتنا، مرفّهين مطمئنين، مواظبين على الدعاء بالخير لدولتنا الباهرة، ودوام سلطتنا الزاهرة. ولأجل هذا ألحقنا تلك الولاية بلواء المومى إليه، وقررنا الوكيل المزبور على وكالته، قايما مقام أيالته. فعليك أن يتحد ويتفق معه[4] أكمل الاتفاق، ويكون[5] معه دايما على أجمل الوفاق، فيما يتعلق بصيانة عرض الدولة والدين، وإجراء أحكام الشرع المبين، وترفيه قلوب المؤمنين، ودفع فساد المفسدين، ورفع مضرة أعداء الدين المتين، ويعاشر مع العشاير حسن المعاشرة[6]، ويعامل مع العساكر[1] ويظاهر أقوى

---

(1) كذا ورد في الأصل.

(2) كذا في الأصل، والصواب: يواظبون على الجهاد.

(3) أي: على أنفسهم.

(4) كذا في الأصل. ولعله يقصد: فعليك أن تتحد وتتفق معه.

(5) كذا في الأصل. والصواب : وتكون معه.

(6) كذا في الأصل، والصواب: وأن يعاشر العشائر بحسن المعاشرة.

المظاهرة. ويعين بالعساكر وبالزواد[2] والذخاير، إن استعان هو منك[3]. بحيث يتحقّق عند الداني والقاصي، ولدى كل مطيع وعاصي، كأنّكم[4] نفس واحدة عارية من سوء الشقاق والاختلاف. والولاية محروسة الجوانب والأطراف بكمال الوفاق والائتلاف. إذ ذاك ذريعة لإصلاح أحوال الخواص والعوام، ووسيلة لإعلاء كلمة الإسلام، والسلام. والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

تأشيرة التوقيعي المعروف بـ: نيشانجي. وإلى جانبها كلمة غير مقروءة عن صورت[5].

قايد الجيش سليمان

---

(1) كذا في الأصل، والصواب: ويعامل العساكر.

(2) كذا ورد في الأصل، والصواب: وبالزاد.

(3) كذا في الأصل، والصواب: إن استعان بك.

(4) كذا في الأصل، والصواب: بأنكم.

(5) هكذا كتبت كلمة (صورت) بالتاء المفتوحة وفق قواعد إملاء اللغة التركية العثمانية.

نموذج آخر لمرسوم سلطاني باللغة العربية ورد في الدفاتر المهمة

الصفحة 179

ديوان همايون، الدفتر رقم: د 010

يوم الجمعة 1294 ل

عرب ... كتخداسي وزير رستم باشا 1294 ل

المرسوم 266

نص المرسوم

هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني وأمرنا السامي الخاقاني لا زال نافذًا في المشارق والمغارب أرسلناه إلى العلماء والشرفاء والصلحاء والمشايخ وأعيان الناس عبر مدينة الجزائر وجميع الرعايا وكافة البرايا ثمة، يتضمن إعلامهم أن مدينة الجزائر وما تابعها من جملة ممالكنا المحروسة وخاصِّ خلاصة بلادنا المحمية نظرنا السعيد السلطاني (كذا) والتفاتتنا ...[1] أبدا دائما إلى انتظامها وصون أهاليها. وأقصى مراد حضرتنا الجليلة وغاية إرادتنا السَّنيَّة أن يكون رعايانا هناك في أيام دولتنا العادلة آمنين مطمئنين منشرحين فرحين، آمنين على أنفسهم مضبوطين في جميع

---

(1) عبارة غير مفهومة.

أحوالهم، ثغورهم مسدودة بسدٍّ سديد، وقلاعهم مصونة بالأمن والأمان، وأفئدتهم وألسنتهم رطبة بالدعاء الصالح لدوام دولتنا الفايقة مدّ الدهور والأزمان. وعن ذلك الشأن قلّدنا أمور تلك الممالك المحميّة وأولئك الأقاليم المحروسة قلدنا[1] مملوك حضرتنا العليّة أمير الأمراء الكرام أحمد دام إقباله، لفرط شهامته وصلابته وكمال عزمه وشجاعته، وحسن تدبيره وكياسته. وفوّضنا إليه ضبط تلك الأقاليم وصونها والاهتمام بها، وحفظ البلاد[2] وصون العباد، ودفع المحن والرّزايا عن جميع البرايا، وإحياء شرائع الدين المبين، وإجراء قوانين سيد المرسلين. ليكون أهالي الإسلام وأمة خير الأنام في تلك الأراضي المباركة في ظل ظليل وعدل جميل، تحت كنف حماية سلطنتنا السَّنِيَّة، وفي زمن خلافتنا الفائقة عن أيْمانهم وعن شمائلهم محفوفين بأكمل الرّاحة مرقمين (كذا) وأحمد الاستراحة (كذا) منعّمين آمنين مطمئنين، بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

تأشيرة[3]

---

(1) ورد في الأصل العبارة التالية مكررة (تلك الممالك المحروسة).

(2) في الأصل: لبلاط.

(3) قد تكون تأشيرة النيشانجي (أي التوقيعي) الذي كان يقوم بالتأشيرة على قرارات الديوان قبل عرضها على السلطان لإمضائها.



الفصل السابع

العلاقات العثمانية – الجزائرية

في ضوء أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية

دراسة نموذجية

تمهيد

تعتبر الوثائق الأرشيفية التي تزخر بها مراكز الأرشيف في الجزائر وتركيا من أهم المصادر التي تسلط الضوء على طبيعة العلاقات العثمانية الجزائرية. وهذه الدراسة تهدف إلى استنطاق الوثائق المحفوظة في المكتبة الوطنية الجزائرية، والتي تعود إلى مرحلة شديدة الحساسية من تاريخ الجزائر الحديث. فالوثائق التي تمت دراستها تعود إلى نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 الميلاديين، وهي الفترة التي كانت فيها الجزائر، وكذلك الدولة العثمانية تمرّان بأزمات شديدة نتيجة للتحولات السياسية والاقتصادية التي عرفتها أوربا جهة؛ بالإضافة إلى التحولات التي كانت تعيشها الدولة العثمانية. الأمر الذي انعكس بشكل سلبي عليها في مركز الدولة وفي مختلف الولايات التي كانت مرتبطة بها. وكان من أسوء النتائج المترتبة على ذلك، الاحتلال الفرنسي للجزائر، وفقدان الدولة العثمانية لأوّل وأهمّ أيالة لها في المغرب العربي والإسلامي.

ولإنجاز هذه الدراسة قمت باختيار حوالي 80 وثيقة من الوثائق المحفوظة في المكتبة الوطنية الجزائرية، ووضعتها قيد الدراسة لتتبع مختلف جوانب وتفاصيل العلاقات العثمانية الجزائرية. وحاولت خلال ذلك جعل القارئ يتولى بنفسه تقويم هذه العلاقات في ضوء ما تعرضه المصادر الأصلية.

قبل الشروع في تتبع مجالات العلاقات العثمانية – الجزائرية من خلال وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، أرى أنه من الضروري أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات المهمة التي من شأنها أن تساعدنا على فهم الموضوع بشكل سهولة ويسر. ومن هذه الملاحظات، نشير إلى ما يلي:

1. معظم الوثائق التي تمت مراجعتها تعود إلى الفترة الأخيرة من الحكم العثماني للجزائر؛ أي إلى نهاية القرن 18 وبداية القرن 19، وهي الفترة التي تميّزت بتصعيد شديد في العلاقات العثمانية الأوربية من جهة، والعلاقات الجزائرية الأوربية من جهة ثانية. الأمر الذي ترتب عنه تجاذبات كثيرة في المواقف السياسية للعثمانية والجزائر، نتيجة لتعقيدات الظروف السياسية والأمنية في تلك الفترة. وهو ما يتضح من خلال التدقيق في المراسلات السياسية بين الدولة العثمانية ودايات الجزائر.

2. الوثائق التي وضعت قيد الدراسة عبارة عن أصول كُتِبَتْ في الأساس باللغة التركية العثمانية. وتمت ترجمتها إلى اللغة العربية. وقليل منها تُرجم عن النسخ العربية إلى اللغة الفرنسية. وهذه الوثائق هي المصنّفة ضمن المجموعة المعروفة بـ «**الرصيد الجديد**».

3. لقد تمّ اختيار المجموعتين الأرشيفيتين اللتين تحملان الرقمين: (3190، 3205)؛ لتكونا نموذجا للدراسة. مع العلم أن ثَمَّةَ وثائق كثيرة توجد ضمن مجموعات أخرى لم يسعني الاطلاع عليها خشية

الإطالة، وهذه الوثائق أيضا من شأنها أن تسلط الضوء على جوانب مختلفة من أوجه العلاقات العثمانية الجزائرية.

4. المجموعة الأرشيفية رقم: 3190 تتميز بكونها ترجمة عربية لأصول تركية؛ بينما تمثّل المجموعة 3205 مجموعة أرشيفية تمت ترجمتها عن أصول تركية، ثم ترجمت مرة أخرى من اللغة العربية إلى الفرنسية.

5. الأصول التركية لهذه الوثائق، تعتبر في حكم المفقودة. ولا نعرف على وجه الدقة إن كان لهذه الوثائق نسخ تركية محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء التركي بإستانبول، أو في غيره من دور الأرشيف التركية أو الأجنبية. وللإجابة على هذا التساؤل لا بد من القيام بعملية بحث واسعة في مختلف دور الأرشيف الأخرى قبل الحكم بضياعها وانعدام وجودها بشكل نهائي.

❐ مجالات العلاقات بين الدولة العثمانية والجزائر التي تطرّقت لها وثائق المكتبة الوطنية:

عندما يدقق الدارس لتاريخ العلاقات العثمانية - الجزائرية سوف يلاحظ أن هذه العلاقات لم تكن مقتصرة على جانب واحد فقط؛ بل كانت تغطي مختلف الجوانب الاستراتيجية والأمنية والسياسية التي تهم كلا من الجزائر والدولة العثمانية. ومن أهم المجالات التي شملتها وثائق المكتبة الوطنية ما يلي:

أولا: تعيين وإعادة تعيين بيلربايات الجزائر من طرف السلطان

تضمن رصيد المكتبة الوطنية عشرات المراسيم السلطانية المتعلقة بتعيين ولاة الجزائر أو إعادة تثبيتهم في مناصبهم. نذكر منها على سبيل المثال: الفرمان المرسل من **السلطان محمود خان الأول** إلى **والي جزائر الغرب عبدي باشا** سنة 1143هـ/ 1730م. والمتضمن **إعادة تعيينه بيلرباي على الجزائر**[1]. وكذا الفرمان العالي الذي أرسله السلطان **عثمان الثالث** إلى والي الجزائر **الداي علي باشا** سنة 1168هـ/ 1755م، والمتضمن تعيين هذا الأخير باي البايات على جزائر الغرب بعد وفاة **الداي محمد باشا**[2]. وفي نفس الموضوع نجد ثلاثة مراسيم سلطانية (فرمانات) صادرة من **السلطان مصطفى الثالث** في السنوات 1172هـ/ 1759م، 1174هـ/ 1761م، 1177هـ/ 1764م، وتتضمن إعادة تثبيت والي الجزائر **الداي علي باشا** في منصبه تقديرا لجهوده وأهليته لهذه المسؤولية[3].

---

(1) انظر الوثيقة رقم: B.T 38 الملف الأول، المجموعة 3205.

(2) الوثيقة رقم03. B.T نفس الملف ونفس المجموعة.

(3) انظر مراسيم إعادة تعيين الوالي المذكور في الفرمان الصادر سنة 1172هـ/ 1759م (بدون ترقيم) بنفس الملف ونفس المجموعة؛ وانظر أيضا الفرمانان الصادران سنتي 1173هـ/ 1760م، و 1174هـ/ 1761م، والمتضمنان إعادة تعيين المذكور باي بايات الجزائر. وذلك في الوثيقة رقم: B.T .09؛ وكذا الوثيقة رقم: 11. .B.T.

ومثل هذا الفرمان، مرسوم آخر صدر من السلطان المذكور سنة 1181هـ/ 1767م، يأمر فيه بإعادة تعيين **الداي محمد باشا** على الجزائر بنفس الرتبة ونفس الصلاحيات التي كانت عليها في ولايته السابقة[1].

كما تكرّر تعيين والي جزائر الغرب **حسين باشا** في 03 شوال 1236هـ/ 1821م. وذلك بناء على فرمان صادر من **السلطان محمود خان الثاني**[2]. وكان السلطان نفسه سبق أن قام بتجديد ولاية **الداي عمر باشا** بفرمان صادر سنة 1230هـ/ 1815م[3].

ثانيا: تدخل السلطان لتسوية الخلافات بين إيالة الجزائر والدول الأوربية

بما أنّ السياسة الخارجية لإيالة الجزائر وغيرها من الإيالات العثمانية الأخرى ، كان من الواجب عليها أن لا تتعارض مع السياسة الخارجية للدولة العثمانية؛ إذ لم يكن بوسع الجزائر أن تعلن الحرب على دولة معاهدة للدولة العلية، كما لم يكن لها أن تسالم دولة معادية لهذه الأخيرة. ونفس الموقف كان على الدولة العثمانية أن تتخذه في سياستها الخارجية عندما يتعلق الأمر بالجزائر. فلم تكن تتخذ مواقف مسالمة لدولة معادية للجزائر، ولا معادية لدولة صديقة للجزائر.

---

(1) الوثيقة رقم: 14. .B.T.

(2) انظر الوثيقة 32، الملف 3190.

(3) الوثيقة 26 من الملف نفسه.

وفي ضوء هذين المبدئين، كان يحدث أن يقوم غزاة البحر الجزائريون -من تلقاء أنفسهم أو بإيعاز من ولاة الجزائر أو على الأقل بغض الطرف منهم- بخرق هذا المبدأ. ويحدث أن يتعرضوا للسفن التابعة لدولة صديقة للدولة العثمانية، فتقوم تلك الدولة بتقديم شكوى إلى السلطان العثماني. فيتدخل هذا الأخير لإصلاح الأمر بتسوية الخلافات بين الإيالة وتلك الدولة الأوربية، أو بتصويب الأخطاء التي يرتكبها أولئك البحارة، أو حتى السلطات العليا في الجزائر. ومن أمثلة الفرمانات التي أرسلت إلى الجزائر، والمتعلقة بهذا الموضوع، تدخّل السلطان العثماني **عثمان الثالث** مستفسرا عن سبب عدم إطاعة أوجاق الجزائر لأوامر السلطان المتعلقة بضرورة عدم المساس بأي شخص سويدي، بحكم المعاهد التي كانت تربط الدولة العلية مع السويد. فأرسل السلطان لأجل ذلك فرمانا إلى والي الجزائر **الداي علي باشا** سنة 1170هـ/ 1756م، يأمره بإعادة ممتلكات القنصل السويدي وتعويض الخسائر التي لحقت به[1]. وكذلك الفرمان الذي أرسله السلطان المذكور إلى **الداي علي باشا** في أواخر جمادى الأولى 1170هـ/ 1756م، والمتعلق بالشكوى التي تقدم بها السفير الهولندي لدى الباب العالي. والتي ادّعى فيها بأن الجزائريين نهبوا مقرّ قنصلية بلاده عندما هجموا على تونس. وقد لام السلطان في هذا الفرمان الجزائريين على عدم إخباره بالحادثة، وأمرهم

---

(1) انظر الوثيقة رقم: A.05 من نفس الملف ونفس المجموعة.

بإعادة كل ما أخذوه من دار القنصل الهولندي، مادامت بلاده لها معاهدة صلح مع الباب العالي ومع الجزائر[1].

ثالثا: الإعلام بعقد الدولة العلية معاهدة سلام أو صلح مع دولة أوربية أو أكثر

وحتى لا تتصادم السياسة الخارجية للجزائر مع السياسة الخارجية للدولة العلية، كان السلطان يرسل أوامر سلطانية إلى ولاة الجزائر يعلمهم فيها بعقد الدولة العلية لمعاهدات صداقة أو هدنة مع الدول الأوربية. الأمر الذي يستوجب مراعاة هذه المعاهدات، وذلك بعدم التعرض لسفن هذه الدول، وضرورة إعادة ما تم الاستيلاء عليه من طرف بحارة الجزائر، وتعويض ما تم إتلافه أو استهلاكه. ومن أمثلة الأوامر التي تبين ذلك، الفرمان السلطاني الصادر عن **السلطان سليم الثالث**، والموجه إلى الوزراء والقضاة والحكام ومنهم ولاة الجزائر الغرب سنة 1212هـ/ 1797م. والمتضمن إبلاغهم بانعقاد صلح بين **النمسا والدولة العلية**. وبناء على ذلك فإنّ السلطان يأمر بعدم التعرض لتجار النمسا وسفنهم، والعمل بما جاء في مضمون المعاهدة ومساعدة قبطانات النمسا[2]. وفي هذا السياق ورد فرمان آخر صادر عن **السلطان محمود الثاني** أرسله إلى **الداي عمر باشا** في أواخر شوال سنة 1230هـ/

---

(1) الوثيقة رقم: 04.

(2) انظر الوثيقة رقم: B.22 ؛ C.22؛ D.22 من نفس الملف ونفس المجموعة.

1815م، يتضمن أمرا بالإفراج عن سفينة نمساوية استولى عليها رؤساء البحر الجزائريون[1].

وكذلك الفرمان الصادر عن السلطان نفسه، والمرسل والي جزائر الغرب سنة 1215هـ/ 1800م، والمتضمن الإعلام بعقد معاهدة صلح بين **روسيا والدولة العلية**؛ والأمر بالإفراج عن سفينة روسية تمّ حجزها، والأمر بتعويض الخسائر، وتحرير أحد التجار الروس وإعادة ممتلكاته التي سلبت منه من طرف أحد غزاة البحر التابعين للجزائر[2].

ومن الوثائق التي تسلط الضوء على مختلف جوانب التنسيق السياسي في العلاقات والمواقف الدولية، الفرمان السلطاني الذي أرسله **السلطان مصطفى باشا** إلى **البيلرباي علي باشا** في أواخر ذي القعدة سنة 1172هـ/ 1758م، والذي أمر فيه الجزائريين بتجنّب مهاجمة السفن التابعة **لإمارة دوبرة فينيك** التي تعرف في المصادر العثمانية بإمارة **راقوزة أو دوبروفينيك**، وإعادة السفينة التي غنمت منها، لأنّ رعاياها تابعون للدولة العلية ويدفعون الجزية للباب العالي[3].

رابعا: السماح للجزائريين بتجنيد الشباب بناء على طلب وكيل الجزائر في إستانبول

يعتبر تجنيد الشباب أحد القضايا الأساسية في العلاقة بين الدولة

---

(1) الوثيقة 29، الملف: 3190.

(2) انظر الوثيقة A.21.

(3) انظر الوثيقة رقم: 10.

العثمانية والجزائر؛ حيث كان يتمّ تجنيد الشباب في مختلف السواحل العثمانية، وجلبهم للعمل في الجزائر. ولتحقيق ذلك تمّ تشكيل ممثّليات للجزائر في إستانبول وأضنة وإزمير وأنطاليا وغيرها من سواحل الأناضول. وعليه؛ فإنّه من الطبيعي أن يزخر أرشيف المكتبة الوطنية بعدد مهم من الوثائق التي تسلط الضوء على هذه القضية، بشكل يمكّن الباحث من معرفة ظروف وطبيعة ومجالات تجنيد الشباب العثماني للخدمة العسكرية في الجزائر. ومن أمثلة الوثائق التي عثرت عليها، فرمان من السلطان **سليم الثالث** إلى الحكام والعلماء والضباط في الأناضول، والمرسلة في أواسط 1210هـ/ 1795م. والمتضمن تجنيد الجزائريين استجابة لطلب وكيلهم في إستانبول والمدعو **ثابت أفندي**[1].

كما تضمنت الوثائق تسليط الضوء على الأزمات التي كانت تنشأ نتيجة لتجاوزات البحارة الجزائريين باعتراضهم للسفن التابعة للدول المرتبطة بمعاهدات مع الدولة العثمانية، أو باعتراضهم لسفن رعايا الدولة العلية. فكان السلطان يصدر فرمانات تُمنع بموجبها الجزائر من تجنيد الشباب في الأناضول. وكان الولاة يسارعون إلى الاعتذار للسلطان واتخاذ الإجراءات اللازمة لتصحيح الموقف. فيصدر السلطان تَبَعًا لذلك فرمانا يقضي برفع الحظر عن التجنيد للعمل في الجزائر. ومن بين الوثائق التي تورد معلومات مهمة جدا تخص هذا الموضوع، الفرمان

(1) الوثيقة 20.

الذي أصدره **السلطان محمود الثاني** المؤرخ في أوائل رمضان 1230هـ/ 1815م، والمرسل إلى **الداي عمر باشا** يبلغه فيه بتراجع الباب العالي عن قراره بمنع الجزائريين من تجنيد المتطوعين في الأناضول مقابل تَوَقُّفِهِمْ عن اعتراض رعايا الدولة العلية، والدول التي لها علاقات معها[1].

خامسا: إرسال معدات عسكرية بناء على طلب من بيلرباي الجزائر

حظيت العلاقات العثمانية الجزائرية في شقّها العسكري باهتمام كبير من الطرفين، وذلك لأنّ حماية الجزائر كان يدخل ضمن أولويات السياسة الخارجية للدولة العثمانية في غرب العالم الإسلامي. وعليه فإنّه من الطبيعي أن يكون الدعم العسكري واللوجستي أحد المسائل التي تطرقت إليها المراسلات بين الجزائر والدولة العلية.

وعند التدقيق في وثائق المكتبة الوطنية التي تناولت العلاقات العثمانية الجزائرية، يُلاحظ وجود عدة مراسيم سلطانية موجّهة إلى بيلرباي الجزائر، يعلمه فيها بموافقته على تزويد أيالة الجزائر بمعدات عسكرية، بناء على طلب بيلرباي الجزائر. ومن أمثلة ذلك الفرمان الصادر عن السلطان **محمود الثاني** الموجه إلى والي الجزائر **حسين باشا** سنة 1234هـ/ 1819م، يعلمه بموافقته على تزويد الجزائر بسفينة حربية

---

(1) الوثيقة 25.

مجهزة بالمعدات العسكرية وعدة مدافع[1]. وقبل ذلك كان السلطان قد أصدر فرمانا مؤرّخا في أواسط ربيع الأول سنة 1232هـ/ 1817م، يتضمّن إرسال عدّة سفن محمّلة بالمعدات العسكرية إلى الجزائر بناء على طلب **الداي عمر باشا**[2]. ولنفس الغرض أيضا أصدر السلطان نفسه فرمانا في أواخر صفر 1235ه/ 1820م. أرسله إلى الداي **حسين باشا** يقضي بإرسال معدات عسكرية[3]. وهكذا نلاحظ أن تزويد الجزائر بما تحتاجه من المعدات العسكرية لم يتوقف، كما أنّه لم يكن يفصل بين الشحنة والأخرى فاصل زمني كبير. وكانت تتجدّد بناءًا على طلب الولاة العثمانيين في الجزائر.

سادسا: الأمر بإرسال وحدات البحرية الجزائرية لدعم وحدات الأسطول العثماني في معاركه البحرية

ومن الجوانب العسكرية المهمة التي شملتها العلاقات العثمانية الجزائرية، مشاركة وحدات البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية في مختلف جبهات البحر المتوسط. ومن أمثلة ذلك الفرمان السلطاني الصادر عن السلطان **محمود الثاني** إلى قبطان أوجاقجزاير الغرب **مصطفى قبطان** سنة 1240ه/ 1825م يأمره فيه بالالتحاق بسواحل

---

(1) انظر الوثيقة رقم: B.T. 32، الملف 01، المجموعة: 3205.

(2) الوثيقة 30، الملف: 3190

(3) الوثيقة: 32 من نفس الملف

اليونان للمشاركة في حرب اليونان إلى جانب الأسطول العثماني[1].

سابعا: الإعلام بولادة ابن أو بنت للسلطان، والأمر بإقامة احتفالات رسمية بهذه المناسبة

شملت المراسلات المتبادلة بين الدولة العلية والجزائر، مجالات ذات بعد اجتماعي وسياسي في نفس الوقت، ونعني بها الأمر بالإعلان في الأماكن العامة عن ولادة ابن أو بنت للسلطان العثماني، وإقامة احتفالات رسمية بهذه المناسبة. وقد كانت هذه الاحتفالات تقام بناء على أوامر سلطانية ترد من الباب العالي. ومن أمثلة ذلك أيضا الفرمان الذي أرسله **السلطان مصطفى الثالث** إلى **الداي محمد باشا** في أواسط شعبان سنة 1180هـ/ 1766م. والذي تضمن الإعلام بولادة ابن للسلطان، وأمره بإجراء مراسيم الاحتفال التقليدي بإطلاق المدافع والدعاء للولد الجديد من طرف العلماء والصلحاء[2]. وكذلك الفرمان الذي أرسله **السلطان عبد الحميد الأول** إلى **الداي محمد باشا** في أواخر صفر 1193هـ/ 1779م، والذي تضمّن الإعلام بولادة بنت للسلطان والأمر بإجراء مراسيم الاحتفال التقليدي على النحو الذي سبقت الإشارة إليه[3].

ثامنا: مراسلات تتضمن تفاصيل الهدايا التي كانت ترسل من

---

(1) انظر الوثيقة رقم: A.36.B.T الملف الأول، المجموعة 3205

(2) انظر الوثيقة رقم: 13، من الملف: 3190.

(3) الوثيقة رقم: 14 من نفس الملف.

دايات الجزائر

كانت الهدايا التي يتبادلها الطرفان من بين التقاليد الدبلوماسية السائدة في ذلك العصر، ليس فقط بين إيالة الجزائر والدولة العثمانية والعكس؛ بل بين كافة الدول. وعليه؛ فإنّه من الطبيعي أن لا ينقطع تبادل الهداية بين الولاة العثمانيين في الجزائر وبين السلطان التابعين له.

وعند التدقيق في الوثائق الخاصة بالعلاقات بين الدولة العثمانية والجزائر ضمن رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية، نجد عدة رسائل تم تبادلها بين الطرفين، ذكرت فيها تفاصيل الهدايا التي كانت ترسل من الجزائر إلى السلطان العثماني. وقد تم إرسال هذه الهدايا من طرف أحد ولّاة الجزائر لم يذكر اسمه، إلى السلطان العثماني الذي لم يرد اسمه هو الآخر في الوثيقة. إلا أن الرسالة لوحظ بأنها مذيلة بتاريخ إرسالها، الأمر الذي من شأنه أن يسهل التعرف على السلطان الذي كان على عرش السلطنة في ذلك التاريخ[1]. وقد تضمنت هذه الوثيقة تفاصيل عن الهدايا المرسلة، والتي كانت على النحو التالي[2]:

- 05 قطع أثواب.
- برنس حرير أبيض مطرز بالذهب.

---

(1) انظر تفاصيل الهدايا في الوثيقة رقم: 03، الملف 3190.

(2) انظر الوثيقة رقم: (01) في قسم الملاحق.

- شال مطرز بالذهب.
- حزام عسكري مطرز بالذهب.
- حائكان قرمزيا اللون مطرزان بالذهب.

ولم تكن الهدايا ترسل إلى السلطان فحسب؛ بل كان يتم تبادلها بين ولاة الجزائر وكبار الشخصيات المتنفذة في الدولة العثمانية. ومن أمثلة ذلك إحدى المراسلات التي تتضمن إرسال هدايا من داي الجزائر إلى قائد الأسطول العثماني. والعكس حيث أن هذا الأخير كان يرسل هدايا إلى الداي[1].

تاسعا: تقارير ذات طابع أمني أو عسكري

تزخر المكتبة الوطنية بعدة رسائل تتناول مواضيع مختلفة، تمت ترجمتها عن أصول تركية وجمعها في وثيقة واحدة. كما في الوثيقة رقم 59. والتي ورد فيها عدة مواضيع كلها تدخل في القضايا المتعلقة بالعلاقات العثمانية الجزائرية. ويفهم من سياق الرسالة أنها مرسلة من طرف **الحاج عثمان** وكيل الجزائر في إستانبول إلى **الداي حسن باشا** صادرة في 13 صفر 1211هـ/ 1776م. كما اشتملت على مراسلات بين والي الجزائر وقبوداندارياً، وتضمّنت الاستيلاء على سفينة مالطية على متنها خمسون أسيرًا مسلمًا، وطلب والي الجزائر بأن يبني مسجدا في جزيرة الطيور **kuş adası** وشراء بعض الحاجيات الخصوصية له من

---

(1) الوثيقة 59، الملف 3190.

إستانبول وتحمّله مصاريف إصلاح مسجد احترق في إزمير، بالإضافة إلى مواضيع تتعلق بالمجنّدين إلى الجزائر.

الخلاصة

هذه مجمل الموضوعات التي اشتملت عليها وثائق المكتبة الوطنية، المتعلقة بالعلاقات العثمانية الجزائرية. وبناء على ما تمّ عرضه يتضح لنا أنّ العلاقات العثمانية الجزائرية كانت ضاربة في العمق الاستراتيجي الذي ربط مصير البلدين. فالمراسيم السلطانية التي كانت تتوالى على الجزائر تناولت مختلف جوانب العلاقات السياسية والعسكرية والأمنية. وهي القضايا التي كانت تشكل الهاجس الأكبر الذي كان يشغل بال المسؤولين في الجزائر وفي الباب العالي. ولا شكّ أنّ هذه القضايا لا تمثّل كلّ مجالات العلاقات العثمانية الجزائرية، بل تمثّل أهمّها في ذلك العصر. وهذا لا ينفي وجود جوانب أخرى لا تقل أهمية، تستحق هي بدورها أن تُدرس بعمق من خلال وثائق المكتبة الوطنية أو من خلال وثائق المركز الوطني للأرشيف بالجزائر. وهي بلا شك سوف تعطينا ملامح أكثر وضوحا لتاريخ العلاقات الجزائرية التركية خلال الفترة العثمانية.



الفصل الثامن

الجزائر في الرسائل الجامعية التركية

دراسة وتقويم

تمهيد:

بالتدقيق في الرسائل الجامعية التي نوقشت في الجامعات التركية لاحظنا أنّه لم يتم إنجاز أية رسالة جامعية عن الجزائر منذ تأسيس الجمهورية التركية سنة 1922 حتى مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، حيث قام الطالب **أَرْجُومَنْتْ قُورَانْ Ercüment Kuran** بإعداد **أول رسالة دكتوراه عن الجزائر**، وذلك في سنة 1953، تحت عنوان:

«***Cezayir'in Fransızlar Tarafından İşgali karşısında Osmanlı Siyaseti* (1827-1847)**»، أي: «**السياسة العثمانية نحو احتلال الفرنسيين للجزائر** (1827- 1847)»، ونشرت هذه الرسالة من طرف مجمع التاريخ التركي سنة 1957.

وبنشر هذه الرسالة، فإنّه من الطبيعي أن تُعتبر بالنسبة للدراسات التاريخية التركية الحديثة أوّل عمل علمي جاد ومنشور عن الجزائر في تاريخ الجمهورية التركية. وتمّت ترجمة هذه الرسالة إلى اللغة العربية في فترة لاحقة من ذلك التاريخ من طرف أو بإشراف الدكتور عبد الجليل التميمي. وبفضل هذه الترجمة تمكّن الباحثون باللغة العربية من الاطلاع والاستفادة من أوّل عمل علمي مهمّ استحق عليه مؤلّفه ومترجمه الشّكر والتّقدير.

استئناف الدراسات الجامعية الخاصة بالجزائر في تركيا بعد 36 **سنة من الانقطاع**

بعد 36 سنة من الانقطاع دشّن الدكتور **شكيب بن حفري الدراسات الجامعية حول الجزائر بمناقشته لرسالة ماجستير سنة** (1989) بعنوان:

"Endülüs'te son müslüman kalıntısı Morisko'ların Cezayir'e göçü ve Osmanlı yardımı(1492-1614)"

أي: **هجرة بقايا الموريسكيين بالأندلس إلى الجزائر ومساندة العثمانيين لهم** (1492– 1614). فكانت هذه الدراسة أول رسالة ماجستير ينجزها طالب جزائري في الجامعات التركية تناول فيها جزءا مهما من تاريخ الجزائر الحديث، من خلال تطرقه لهجرة الأندلسيين إلى الجزائر ومساهمة العثمانيين في دعم ومساندة القضية الأندلسية.

وفي التسعينيات من القرن الماضي تتابعت الرسائل الجامعية التي أنجزها الطلاب الجزائريون والأتراك وغيرهم عن الجزائر، بكثافة نسبية بلغت 11 رسالة جامعية بين ماجستير ودكتوراه، شملت مختلف الجوانب التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والسياسية للجزائر.

وفي مطلع القرن الحادي والعشرين زاد عدد الرسائل الجامعية التي نوقشت عن الجزائر. فبلغت 15 رسالة. وفي الأشهر الستة الأخيرة من العشرية الأولى من هذا القرن رصدنا مناقشة 10 رسائل جامعية عن

الجزائر مما يعطي انطباعا باحتمال زيادة ملحوظة عن عدد الرسائل التي تناقش عن الجزائر.

ورغم هذا التوجّه الحثيث للدراسات الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية والفنية والأدبية للبحث في الموضوعات التي تخصّ الجزائر؛ سواء من طرف الطلاب الجزائريين الدارسين في تركيا، أو من طرف الطلاب الأتراك؛ فإنّ ذلك يبقى قليلا بالنظر إلى الأهمية التاريخية التي كانت تحتلها الجزائر خلال الفترة العثمانية.

ملاحظات هامة حول الرسائل التي نوقشت عن الجزائر في الجامعات التركية

❒ خلال 62 سنة الماضية لم يتم رصد سوى 40 رسالة علمية بين ماجستير ودكتوراه نوقشت عن الجزائر، في مختلف حقول العلوم الاجتماعية والإنسانية الفنية والاقتصادية والتاريخية والسياسية. وذلك منذ تأسيس الجمهورية التركية سنة 1922 حتى 1953 –حيث نوقشت أول رسالة دكتوراه عن الجزائر، وهي التي سبق التنويه بها–.

ثمّ جاء الانقطاع الثاني عقب ذلك، واستمر حتى 1989 حيث أنجزت ثاني رسالة أيضا عن الجزائر في التاريخ. فنلاحظ أن مدة الانقطاع عن الكتابة عن الجزائر في الانقطاع الأول استمر 31 سنة، والانقطاع الثاني دام 36 سنة. وهذه مدة طويلة جدا بالنظر إلى حجم العلاقات الطويلة التي ربطت الجزائر بتركيا أثناء الفترة العثمانية.

❒ وحتّى نأخذ فكرة عن الدراسات المتعلقة بالجزائر في الجامعات التركية قمت بمراجعة عناوين أكثر من **2000 رسالة جامعية** نوقشت في الجامعات التركية خلال 36سنة، وتمّ نشر عناوينها في موقع المجلس الأعلى للتعليم العالي للجمهورية التركية (**YÖK**)، فلم نجد ضمن هذا الكم الهائل من الرسائل سوى **40 رسالة عن الجزائر**؛ منها: 22 رسالة في التاريخ، والباقي في مجالات أخرى مثل: **الثقافة الشعبية، تاريخ الفن، العلوم السياسية، العلاقات الدولية الحقوق، اللغات الشرقية وآدابها، علم الاجتماع، إدارة الأعمال، اللغة والأدب التركي، الاقتصاد**، وهذه الرسائل أعدّها 40 طالبا وطالبة، منهم: 9 جزائريون وتونسيّ و30 تركيّا. **والرسائل التي أنجزها طلاب جزائريون وتناولوا فيها موضوعات تخص الجزائر هم:**

1. شكيب بن حفري، **هجرة بقايا الموريسكيين بالأندلس إلى الجزائر والمساعدة العثمانية لهم 1492- 1614** (ماجستير في التاريخ 1989).

Endülüs'te son müslüman kalıntısı Morisko'ların Cezayir'e göçü ve Osmanlı yardımı (1492-1614)

2. بلحاج معروف، **القباب المركزية في جوامع الجزائر خلال الفترة العثمانية** (ماجستير في التاريخ 1991).

Cezayir'demerkezikubbelicamiler Osmanlı dönemi

3. حورية يخلف، **الحياة الثقافية والأدبية في الجزائر أثناء الحكم التركي للجزائر** (ماجستير في التاريخ 1991).

Türk hakimi yeti devrinde Cezayir' dekültürel veed ebihayat

4. علي النجمي، **حركة مقاومة الأمير عبد القادر بالجزائر ونشاطاته بالأراضي العثمانية** (ماجستير في التاريخ 1992)

Emir Abdülkadir'in Cezayir'deki direniş hareketi ve Osmanlı topraklarında yaptığı faaliyetler

5 . محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر 1512 –1543** (دكتوراه في التاريخ 2006)

Osmanlılar'ın Cezayir'e Girişi (1512-1543)

6. حدة مبروك، **تطور سندات الإثبات في القانون الفرنسي ومقارنته بالقانون التركي والجزائري** (ماجستير في الحقوق 2010).

Senetle ispat konusunda Fransız Hukukundaki gelişmeler Türk ve Cezayir Hukuku ile karşılaştırma

7. سميرة وارث، «**تحليل الآثار المباشرة للاستثمارات الأجنبية على الاقتصاد الدقيق – الجزائر نموذجا**» (ماجستير في الاقتصاد 2011).

Doğrudan yabancı yatırımların mikro ekonomik etkilerinin analizi: Cezayir örneği

8. لينا قدام، «**محاولات تطوير مبادرات الشراكة بين الجزائر وتركيا**

في قطاع النسيج» (ماجستير في إدارة الأعمال 2011).

Tekstil sektöründe Cezayir ile Türkiye ortak girişim geliştirme çalışmaları

9. عبد الرزاق خضير، **الأحكام الخاصة بالجزائر من خلال الدفاتر المهمة أثناء فترة السلطان سليمان القانوني وسليم الثاني** (ماجستير في التاريخ 2016).

Mühimmed Defterlerine göre Kanuni ile II.Selim Döneminde Cezayir'e ait Hükümler

وقبل أن ننهي هذه الإحصائية، أرى أنّه من المهم التنويه بملاحظتين هامتين:

الملاحظة الأولى: هي أن هذه الإحصائية تشمل الجامعات الحكومية فقط ولا تشمل الجامعات والمعاهد الخاصة. كما أننا لم ندرج فيها العلوم التقنية ولا العلوم الإسلامية. كما لا تشمل الرسائل التي ناقشها طلاب جزائريون لكنهم تناولوا موضوعات أخرىٰ غير الجزائر أو ما يتصل بها.

الملاحظة الثانية: وهي أنه توجد رسائل مهمة تناول فيها أصحابها موضوعات ذات صلة بالجزائر لم نقم بإدراجها في دراستنا، لأسباب موضوعية، مكتفين بما تناول الجزائر بشكل مباشر فقط. وذلك كالرسائل التي تناولت العلاقات العثمانية الفرنسية؛ والعلاقات العثمانية الإسبانية، والعلاقات العثمانية الأمريكية. وكذا الرسائل التي تحدثت

عن نشاط البحرية العثمانية في غرب المتوسط، والموضوعات المتعلقة بالقرصنة العثمانية، والموضوعات الخاصة بالأندلس.. فهذه الموضوعات بالرغم من كون الجزائر عنصرا مهما فيها. لم نشأ إدراجها في هذه الدراسة تجنبا للإطالة.

قراءة في مجالات الدراسات التاريخية حول الجزائر في الجامعات التركية

إنّ المتأمّل في الرسائل التي نوقشت بمختلف الجامعات التركية، نجد أن الموضوعات التي نوقشت عن الجزائر أثناء الفترة العثمانية قد حظيت بحصة الأسد من اهتمامات الباحثين. نذكر منها على سبيل المثال - بالإضافة إلى رسالة الطالب شكيب بن حفري التي سبق التنويه بها-:

رسالة بلحاج معروف عن «**القباب المركزية في جوامع الجزائر خلال الفترة العثمانية**»[1] تناول فيها الطالب الجانب المعماري والفني خلال الفترة العثمانية.

وكذلك رسالة الطالبة حورية يخلف «**الحياة الثقافية والأدبية في الجزائر أثناء الحكم التركي**»[2] جمعت فيها الطالبة بين الأدب والتاريخ.

إضافة إلى رسالة الطالب محمد دراج «**الدخول العثماني إلى الجزائر**

---

(1) Belhadj Marouf, Cezayir'de Merkezi Kubbeli Camilar Osmanlı Dönemi, Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi 1991 (YÖK)
(2) Houria Yekhlef, *Türk Hakimiyeti Devrinde Cezayir'de Kültür ve Edebi Hayat*. Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi 1991 (YÖK)

1512- 1543»[1] التي سلط فيها الضوء على ظروف وملابسات الدخول العثماني إلى الجزائر.

وكذا رسالة الطالب سيف الله أسلان «**القرصنة الجزائرية في البحر المتوسط** 1770- 1830»[2] تناول فيها حركة الغزو البحري التي كان يقوم بها رياس البحر انطلاقا من السواحل الجزائرية.

كما حظيت الدراسات الأرشيفية الخاصة بالجزائر خلال الفترة العثمانية بعملين مهمين هما:

رسالة الطالب التركي فرحات كوركان «**دراسة دفتر أراضي الإقطاع رقم** 731 **الخاصة بولاية الجزائر عصر السلطان أحمد الأول**».

والثانية رسالة الطالب عبد الرزاق خضير «**الأحكام الخاصة بالجزائر في عصري السلطان سليمان القانوني وسليم الثاني من خلال الدفاتر المهمة**».

ولم تغب المخطوطات عن رسائل الطلاب، إذ فضّل بعض الطلاب تحقيق بعض المخطوطات الهامة والمتعلقة بتاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية. منها على سبيل المثال، التحقيق الذي قام به الطالب صَوَاشْ **أُوزْدَمِيرْ Savaş Özdemir** «**تاريخـجهء جزاير**» أي: «**موجز تاريخ**

(1) Mohammed Derradj, *Osmanlıların Cezayir'e Girişi 1512- 1543*, Akedemi Titiz Yayınları, İstanbul 2012

(2) Seyfullah Asalan, *Akdaniz'de Cezayir Kursanlığı: 1770- 1830*, Yayınlanmamış Yüksek Lisans, 2012 (YÖK)

الجزائر» لحسن بن يوسف أَخَصْقَاوي. وهو الكتاب الذي أرّخ فيه للحملات الإسبانية على الجزائر في السنوات 1775- 1776[1].

والثانية الرسالة التي أعدّها الطالب توفيق **تَمَالْ قُورَانْ Tevfik Temel Kuran** الذي قام بتحقيق مخطوط مهم نال بها درجة الدكتوراه. وهذه المخطوطة هي «**غزوات الغازي حسن باشا الجزائري** (دراسة تحليلية نقدية)»[2].

يلي المرحلة العثمانية عددٌ من الرسائل نوقشت حول مرحلة الاحتلال الفرنسي، تناول فيها الطلاب مواضيع تتعلق بالاحتلال الفرنسي للجزائر في القرن التاسع عشر، أو المقاومة الشعبية أو السياسة الفرنسية التي طبّقت في الجزائر أثناء الاحتلال، مثل:

الرسالة التي أعدها الطالب علي النجمي عن «**مقاومة الأمير عبد القادر ونشاطاته في الأراضي العثمانية**[3]».

وكذا رسالة الطالب التركي **تُونْجَايْ قَارَة قَاجَانْ Tuncay**

---

(1) Sava Özdemir, *Tarihçe-ı Cezayir*, (H 1189, Miladi 1775- 1776) Hasan Bin Yusuf Ahıskâvî, Marmara Üniversitesi, Türkiyat Araştırmaları Enstütü, Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi, İstanbul 2006.

(2) Tavfik Temel Kuran, *Gazavat-ı Cezayirli Hasan Paşa (Tahlil ve Tenkitli Metin)* Yayınlanmamış Doktora Tezi 2000.

(3) Ali Nedjmi, *Emir Abdülkadir'in Cezayir'deki Direniş Hareketi ve Osmanlı Topraklarında Yaptığı Faaliyetler*, Yayınlanmamış Yüksek Lisans, 1992 (YÖK).

Karakaçan عن **الاحتلال الفرنسي (1830- 1871)**[1] حاول فيها جعل ثورة المقراني نقطة فاصلة في دراسته.

وكذلك دراسة الطالب **أُوِيْصَالْ فَدَائِي Oysal Fedai** التي تحدّث فيها عن «**الجزائر تحت الحكم الفرنسي (1914- 1954)**». حيث حاول أن يسلط في دراسته الضوء عن الحركة الوطنية منذ الحرب العالمية الأولى حتى ثورة نوفمبر 1954

وتكمّل هذه الدراسة رسالة أخرى في العلوم السياسية أعدتها الطالبة التركية **ألم إيرجة ElemİrceE** بعنوان «**أساليب كفاح الجزائر من أجل الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي**».

ويلحق بها أيضا: رسالة الطالب **كنج عثمان إينال Genç Osman Ünal** بعنوان «**السياسة والممارسات التي طبقتها فرنسا نحو الجزائريين**».

كما حظيت الثورة الجزائرية باهتمام ملحوظ في الدراسات التاريخية التركية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّنا لم نجد أيّة رسالة تناول فيها أصحابها الفترة السابقة للحكم العثماني بالجزائر، سواء في ذلك الحقبة الإسلامية أو الحقب التي سبقتها من تاريخ الجزائر القديم. وأعتقد أن تركيز الطلاب على الفترة العثمانية يعود إلى وفرة المصادر والمراجع المخطوطة

---

(1) Tuncay Kara Kaçan, *Cezayir'de Fransız İşgali 1830- 1871*, Yayınlanmamış Yüksek Lisans, 2004 (YÖK).

والمطبوعة باللغتين العثمانية والتركية الحديثة؛ فضلا عن ثراء المرحلة بمختلف وثائق الأرشيف المتعلق بالجزائر، وهو أمر بلا شك يسهل على الطالب العثور على موضوع جديد لدراسته.

وأمّا الفترات السابقة لتاريخ الجزائر الحديث، فإن الطلاب الأتراك يعزفون عنها لكون جميع مصادرها باللغة العربية. ولا شك أن ضعف التكوين اللغوي بشكل عام للطالب التركي يجعله يتهيب من الكتابة في موضوع كل أو معظم مصادره عربية أو أجنبية، بل وحتى على مستوى التخصص ففي تقديري لا يوجد من المتخصصين الأتراك في تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس سوى عدد قليل لا يفي للنهوض بدراسة تاريخ المغرب العربي والأندلس ومنها الجزائر، وهو نفس المشكل الذي نعاني منه بالنسبة للتخصص في التاريخ العثماني في الجامعات الجزائرية.

أسباب وخلفيات قلة الدراسات الخاصة بالجزائر في الجامعات التركية

للأسف لم يتسنّ لي الوقت الكافي لإجراء مقارنة مدعومة بالأرقام عن الرسائل الجامعية التي خصصها أصحابها لدراسة إحدى الولايات التي كانت تربطها علاقة متينة ولفترة طويلة مع الدولة العثمانية مثل: مصر أو الشام أو العراق أو البلقان، ومقارنتها بالرسائل التي نوقشت عن الجزائر. فبوجود مثل هذه الإحصاءات نستطيع الوقوف على الأسباب التي جعلت الدراسات الخاصة بالجزائر في الجامعات التركية أقلّ ممّا هو مأمول.

ويمكن إيجاز هذه الأسباب فيما يلي:

1. القطيعة السياسية والثقافية التي أحدثها النّظام التركي الذي قام على أنقاض الدولة العثمانية مع العالم العربي والإسلامي، وانكفاء تركيا الحديثة على نفسها منذ الحرب العالمية الأولى. حيث انقطعت هذه الأخيرة بشكل شبه كامل عن كل أوجه التواصل الثقافي والعلمي مع العالم الإسلامي. وزاد من التأثير السلبي لذلك الانقطاع، قيام مؤسس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك بالانقلاب اللغوي وما واكبه وتبعه من منع وتضييق على تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في الجامعات التركية إلى مطلع الخمسينيات من القرن الماضي. حيث عرفت تركيا انفتاحا نسبيا على اللغة العربية والعلوم الإسلامية. فأسست معاهد الأئمة والخطباء والمعاهد العليا لتعليم العلوم الإسلامية. ومن الطبيعي أن يواكب ذلك انفتاح على التاريخ العثماني والولايات العثمانية. فكانت رسالة الدكتوراه التي أعدها الدكتور **أَرْجُومَنْتْ كُورَانْ Ercüment Kuran** باكورة الرسائل التي نوقشت عن الجزائر كما أسلفنا.

غير أنّ هذا الانفتاح لم يعمّر طويلاً؛ إذ سرعان ما عاد الاستبداد السياسي والحكم العسكري وما تلاه من انغلاق تركيا من جديد عقب انقلاب سنة 1960، واستمر ذلك حتّى منتصف الثمانينات أثناء حكم الرئيس الراحل **تُورْغُوتْ أُوزَالْ Turgut Özel** الذي فتح أبواب

الحرية السياسية والإعلامية والثقافية على مصراعيها. وتوّج هذا الانفتاح بكثافة نسبية في دراسة مختلف العلوم العربية والإسلامية والتاريخ العثماني. ومن الطبيعي أن تحظى الدراسات التاريخية الخاصة بالجزائر باهتمام الطلاب والباحثين الأتراك وفق ما رأيناه.

وإذا نظرنا إلى الطرف الجزائري وجدنا أنّ أقسام التاريخ وغيرها من العلوم الاجتماعية والإنسانية بقيت تابعة للمدرسة الفرنسية إلى ما بعد تعريب تلك العلوم. ومنذ ذلك الحين بقيت الدراسات العثمانية والخاصة بتركيا محتشمة لا تتعدى دراسة تاريخ الجزائر الحديث، وإن توسعت شملت بلدان المغرب العربي وبعض الولايات العربية مثل مصر وسوريا وفلسطين.

وإلى وقت قريب لم يكن يوجد بالجزائر أيّ تخصص يعنى بالتاريخ العثماني بالمعنى العلمي لمفهوم كلمة «**تخصّص**»، وحتّى الاهتمام بالدراسات العثمانية لم يتجاوز حتى اليوم الجهد الفردي الذي يبقى محدودا. وفي حدود علمي لم يفتح أي تخصص في الدراسات العثمانية سوى في جامعة الجزائر (2) في مرحلة الماستر وفي جامعة الأمير عبد القادر حيث فتحت تخصصا باسم التاريخ العثماني[1]. كما أنه لا توجد

(1) لكي نتجنب التعميم ولا نغمط الناس حقهم، يمكن القول بأنه من الجائز أن تكون بعض الجامعات الأخرى قد فتحت تخصصا أو أكثر يتعلق بالدراسات العثمانية ضمن النظام التعليمي الجامعي الجديد الموسوم بـ (أل أم دي) وذلك بعد إعداد هذه الدراسة.

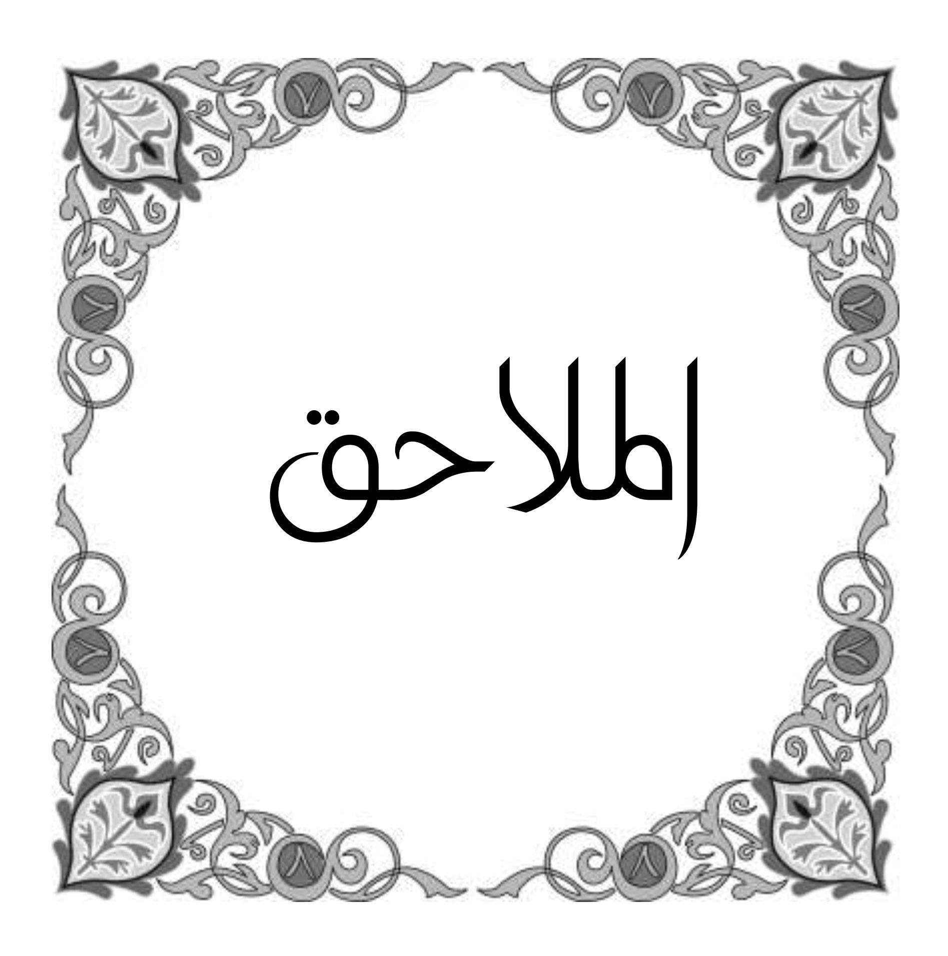
أي مادة تدريسية عن تاريخ الجمهورية التركية أو الأدب التركي في دراسات الأدب المقارن. باستثناء قسم اللغة التركية الذي فتح في جامعتي الجزائر(2) والأمير عبد القادر. وهي خطوة نأمل أن تلقى مزيدا من الدعم والتشجيع لكي يتمكن خريجو هذه الأقسام من المساهمة في تدعيم الدراسات التركية التي تساهم بلا شك في تحقيق التقارب الثقافي والمعرفي بين البلدين.

وللأسف حتى اليوم لا توجد سياسة رسمية تجسدها المؤسسات الجامعية تهدف إلى فتح تخصصات ثابتة ودائمة في التاريخ العثماني والدراسات التركية أو في تاريخ الجزائر في الجامعات التركية، باستثناء جهود فردية يقوم بها بعض الباحثين من تلقاء أنفسهم. وهي بلا شك رغم تثميننا لها تبقى جهودا فردية محدودة النتيجة.

2. أن التيار التغريبي المتطرف الذي كان يحكم تركيا في النصف الأول من القرن العشرين، والذي أقام نظامه السياسي والإيديولوجي على أنقاض التراث العثماني، كان ينفر من أيّ جهد يرمي إلى الإشادة بالتاريخ العثماني في بُعده الإسلامي العام، كما عمل هذا التيار كلّ ما في وسعه على تشجيع الكتابات التي تسيء إلى التاريخ العثماني وإلى العرب بصفة خاصة. ولا شكّ أنّ نظاما سياسا وثقافيا قام على إيديولوجية إقصاء وتجاهل الغير لا نتوقع منه أن يعمل على دعم الدراسات الخاصة بالجزائر أو غيرها من الولايات العربية التي كانت تشكل جزءا مهما من العالم العثماني الكبير.

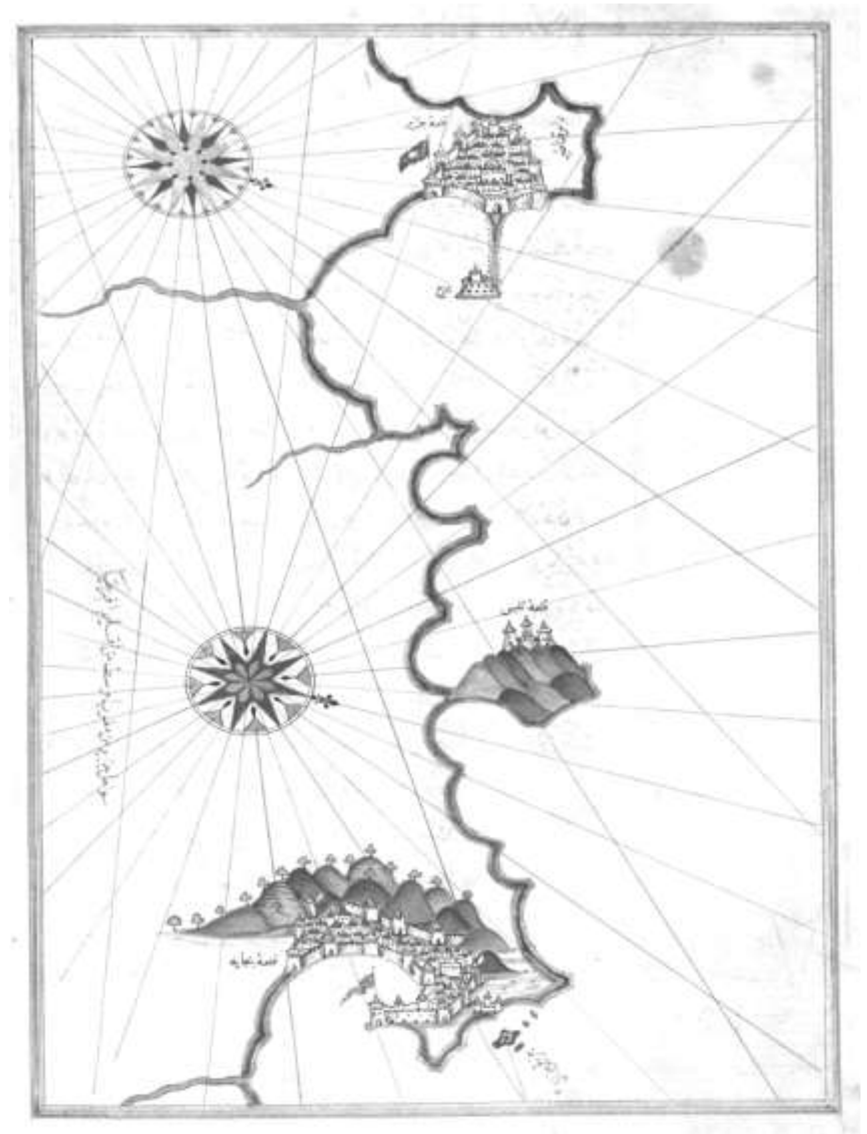
3. العائق اللغوي بين الشعبين: حتّى بروز حمى المسلسلات التركية في السنوات القليلة الماضية لم يكن الشعب الجزائري يعرف شيئا عن المجتمع التركي والثقافة التركية والفن التركي واللغة التركية، ولم يكن بوسع الباحث الجزائري أن يطلع على أي شيء من إنجازات نظرائه الأتراك مما هو مكتوب باللغة التركية. والسبب في ذلك يعود إلى عدم وجود حركة ترجمة تتناسب مع الإنتاج العلمي والفني والثقافي الذي ينجزه الباحثون والكتاب الأتراك، على عكس الباحثين الأتراك الذين يقومون بحركة ترجمة نشيطة لكل ما هو مهم من العلوم والفنون إلى اللغة التركية، إلّا أنّه للأسف مازالت الكتابات الجزائرية مجهولة لدى الباحثين والطلاب الأتراك، فحركة الترجمة في تركيا تتناول في غالبها الكتاب الديني بمختلف أشكاله، يليه الكتاب الأدبي للكتاب والمؤلفين المشارقة. أمّا حظّ الجزائريين فما يزال أقلّ من أن يستحقّ التنويه به.

ولهذا فإنّ أوّل ما يلزم القيام به لوضع حد للقطيعة اللغوية بين الجزائر وتركيا هو تكثيف تعليم اللغة التركية في مختلف الجامعات والمعاهد والدورات، وتكثيف تبادل إرسال البعثات الطلابية للدراسة في الجامعات التركية والعكس، وذلك لتكوين جيل من الشباب المثقف باللغتين العربية والتركية، وهو بدوره يكون جسرا بين البلدين، وبغير هذا ستبقى القطيعة اللغوية وما يتلوها من قطيعة ثقافية قائمة مهما كانت نوايانا طيبة.


الملاحق

بو فصل مغرب دیارنده جزایر نام قلعه و تلیس بیانن ایدر
مذکور جزایر کوندوغیسنه قرشو بر مقدار بایره و بر مقداری دکز کنارنده
دوزیره واقع اولمشدر بر قلعه در رومدن وارن اوروج نام ریسک قرنداشی
خیر الدین ریس مذکور قلعه ده اولور و اول قلعه نک اوق اتمی اوکونده بر الجق ادا
جک در فقیر اول دیاره وارد اولدغمز زمانلرده اول اداجوغک اوزرنده عرب طایفه
بر برج بنا ایدوب بکلنوردی شکوه اول برجی اسپانیه کافری آلدی تکرار برک
بنا ایدوب بر قلعه ایلدی اول قلعه نک ایچنه آدم قویدی و کافر طوپلر قوردی
شمدی بجایه ده مذکور جزایر نام قلعه ایله اول اداجغک جنک ایدرلر اما مذکور
اداجغه جزایر قلعه سنک آراسنده بوغاز صیغدر حتی آدم بوزرکاردن اداجغه
یکیدر و بعده مذکور جزایر قلعه سنک اوکونده و ارنکی اول اداجغک یلدز طرفنه
قیوب قلعه سنه قرشو دمر قویله و بعده مذکور اداسن تلیس قلعه سی قرق بش
میلدر کوندوغسی بوریاز اوزرنده تلیس مذکور تلیس دکز اوزرنده حوالی
بر یوم بری بروننک اوزرنده واقع اولمشدر بر قلعه در اول قلعه اول بجایه
سلطاننک تحت تصرفنده ایدی مذکور بجایه کافر الحاق ذکر اولنن تلیس
قلعه سی بکلری بو قسو للعتندن ضروری اوروج ریسه
تابع اولدی و بعده مذکور تلیس قلعه سندن
بجایه التمش میلدر کوندوغسی اوزرنده
والسلام

نص نموذجي مصور من كتاب بحرية
يصف فيه حصون مدينة الجزائر ودلس



سواحل مدينة الجزائر ودلس وبجاية
من كتاب بحرية لبيري رئيس

بسم الله الرحمن الرحيم

تواريخ غزوات أمير الأمراء خير الدين پاشا يسر الله

تبارك وتعالى ما يشاء في الدنيا والآخرة مع أخيه من أوليه إلى آخره في البر والبحر

وتأليف سيد مرادي رحمة الله عليه رحمة واسعة شكر وسپاس وحمد بي قياس

أول خالق وجود ورازق هر موجود ايچون اولسون كيم بزى كثير عدمدن عالم وجوده

كتورب ايمان خلعت كرامتلر خلعت لندردي وقرآن عظيم نعمتلر ايله نعمتلنديردي

وصلوات صلوات ناميات زكيات كوهر بار وتحف تحيات وافيات صالحات عنبر

نثار اول سرور كاينات ومفخر موجودات صدر بدر عالم رشيد ولدادة سلطان

الكونين ورسول الثقلين شاه صفه صفا ومأه قبه وفا معلى مزكى مجتبى مرتضى

اعني حضرت محمد مصطفى صلى الله عليه وسلم اوزرينه اولسون كيم جميع

مذنبينك شفيعيدر ورضي الله عنهم صلاتهم وسلامهم آنوك آل وأولادي

وأزواجي وأنسابي وأصحابي وأحبابي وأتباعي وأشياعي اوزرينه اولسون كيم

الورقة الأولى من مذكرات خير الدين بربروس، مكتبة جامعة إستانبول، رقم: T 94

﴿ جزايرده اولان قول طائفه سنه اصدار يوريلان امر شريفك صورتيدر ﴾

جزايرده اولان قول اغالرينه وباباباشيلرينه وبلوك باشيلرينه حكم كه قديم الايامدن الى الان
فرانچه پادشاهلرى اجداد عظام ايله موالات ومصافات اوزره اولوب ابتدا مصالحه دن
بوآنه كلنجه نقض عهدى مشعر بر وضع صادر اولميوب بوجانبدن دخى عقد اولنان عهد
وامانه مخالف بروضعه رضا كوستر لمامش ايدى بوندن اقدم جزاير حاكملرى وقورصانلرى
فرانچه رعاياسنه تجاوز ايلدكلرى فرانچه پادشاهى طرفندن دفعات ايله اعلام اولندقده
مرحوم ومغفور له بابام خداوندكار طاب ثراه زماننده بو بابده مؤكد احكام شريفه ارسال
اولنديغندن ماعدا بنم زمان عدالت عنوانمده كرارا ومرارا احكام شريفه كوندريلوب
جزايرلو من بعد خلاف عهد وامان فرانچه رعاياسنه واموال وارزاقنه دخل وتعرض
ايليه لر ديو انواع وعيد ايله محكم تنبيه وتأكيد اولنمشيدى كير ومتنبه اولميوب اولكيدن
زياده فرانچه رعاياسنه وبازركانلرينه ومال ومناللرينه دخل اولنديغين آستانهٔ سعادتمه
فرانچه پادشاهى قضايادفترين كوندروب اعلام ايلدى ايمدى فرانچه رعاياسنه وبازركانلرينه
عهد وامانه مغاير اول وجهله تعدى وتجاوز اولنديغنه قطعا رضاى همايونم اولمامغين
جزاير بكلربكيسى سليمان پاشا زماننده اولمغله عزل اولنوب ومزبور دفترك برصورتى
يازيلوب كوندرلدى كه عهده مخالف فرانچه لينك غارت اولنان مماللرى جزئى وكلى
هركيمده ايسه بى قصور الويريلوب بوفسادى ايدنلر هركيملر ايسه امان ويرلميوب اشد سياستله
حقلرندن كلنمك فرمانم اولمشدر يوردمكه وصول بولدقده برآن تأخير وتراخى ايتميوب فرمان

﴿ همايونم ﴾

الملحق: الحكم الشريف الموجه إلى غزاة البحر بالجزائر، فريدون بك، منشآت السلاطين،2/198- 199

صفحة نموذجية من كتاب
تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي

١٧٠

٢٥٦

هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني وأمرنا المنيف السامي الخاقاني لا زال
نافذا بالعون الرباني ومطاعا له بالمن السبحاني قد ارسلناه إلى فخر الأعيان
ذخر الأقران قايد الجيش الجيوش سليمان زيد مجده [illegible] أمير الأمراء الكرام
بولاية جزاير المغرب بما قد ورد أن علي باشا دام إقباله قد عرض منك خلوص الطوية
لدولتنا السنية وحسن معاشرتك مع جيوش الإسلام ومثابرتك على إتمام الأمور
المهام وبذل السعي والاجتهاد بخلوص الفؤاد في أمر الجهاد وورد أيضا إلى عتبتنا
العلية من أعيان ولاية تونس المحمية فلا يخفى عليك أن تلك الديار كساير ممالكنا
الجليلة الاعتبار والعساكر المنصورة فيها كجندنا الملازمين بين يدينا السنية لهم
أعز عندنا من هولاء قدرا وشرفا من حيث أنهم مواظبون للجهاد ويحرسون البلاد
عن فساد المفسدين وأضرار أعداء الدين لأن أقصى مراد حضرتنا منها ومن كان فيها
من رعاياها وعلمائها وصلحائها وفقرائها وضعفائها أن يكونوا مصونين مأمونين
بأنفسهم وأموالهم وأهاليهم وعيالهم ومساكنهم ومواطنهم من مضرة العدى وفساد
المفسدين في أيام عدالتنا مرفهين مطمئنين مواظبين على الدعاء بالخير لدولتنا الباهرة
ودوام سلطنتنا الزاهرة ولأجل حسن التفاتنا لتلك الولاية بلواء الموجب اليه [illegible]
الوكيل المزبور على وكالته قايما مقام ايالته فعليك أن تجتهد وتتفق معه أكمل الاتفاق
ويكون معه دائما على أجمل الوفاق فيما يتعلق بحمايتها من عرض الدولة والدين وإجراء
أحكام الشرع المبين وترضية قلوب المؤمنين ودفع فساد المفسدين ورفع مضرة
أعداء الدين المتين وتعاشر مع العساكر حسن المعاشرة وتعامل مع [illegible] ونظام
أقوى المظاهرة وتعين بالعساكر وبالزواد والذخاير إن استعان هو منك بحيث
يحصل عند الداني والقاصي ولدى كل مطيع وعاصي أنكم نفس واحدة عارية
من شق الشقاق والاختلاف وأن الولاية محروسة الجوانب والأطراف بكمال

IHM.d 010

صورة نموذجية لفرمان سلطاني يخص الجزائر باللغة العربية صادر عن ديوان هومايون. المصدر: الدفتر المهم، رقم: 10

١٧٨

M.d 010

نموذج آخر لمرسوم سلطاني باللغة العربية ورد في أحد الدفاتر المهمة.

الدفتر رقم: د 10



بها وحفظا للبلاد وصون العباد ودفع المحن والرزايا عن جميع الرعايا واحياء شرايع
الدين المتين واجراء قوانين سيد المرسلين لكون اهالي الاسلام وامة خير الانام
في تلك الاراضي المباركة في ظل ظليل وعدل جميل تحت كنف حماية سلطنتنا
السنية وفي زمن خلافتنا الفائقة عن ايمانهم وعن شمائلهم محفوظين بكمال المرافه مرفهين
وامن الاستراحة متمتعين امنين مطمئنين بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

تكملة المرسوم النموذجي السابق الوارد في الصفحة التالية من الدفتر رقم: د 10

حتى مكتوب الكتاب الاقليم ال عثمان وروني معز عدالة نيشاني شوكتلو
مهابتلو قدرتلو عظمتلو لعامة المربوطين وحشمتلو بادشاه العالم باشي وشاه
الشاهي لخير قبضة بيدا، الحقير تك احمد من خديم ركابك والي اوجاق جزاير الغرب
عرض وتقديم هدية لعظمة سلطانك

احد فاطر كسوة الجزاير
مكمل انذ هو خمسة قطع
اثواب
٥

وشال بالذهب
١

وبرنوس حرير ابيض
محرج بالذهب
٢

وحزام علمي
بالذهب
١

وزوجة بنطال انكليزي
دا قمصها ذهب
١

وحايكين اثنين من الفرض
محلي وجبين كنارهما بالذهب
٢

وبطقان صغير ذهب
قبضته مرصعة
١

وعلى المنظور العلاء بالمنصور بلطفه تعالى خديم تراب
نعل كيميا الملوك عرض وتقديم صادر مرتجي احسن القبول
تاييد اشارة وتمحيص ارسال ... الدولة الهدايا مابالذهب
في ... ربيع الاول سنة ١٢٠٤

رقم 3

وثيقة نموذجية صادرة سنة 1204هـ الموافق لـ: 1789م. من أرشيف المكتبة الوطنية تحتوي على قائمة الهدايا التي كانت يرسلها ولاة الجزائر إلى الباب العالي

وثيقة من أرشيف المكتبة الوطنية مؤرخة في 1176هـ/1763م. تتضمن فرمانا صادرا من السلطان محمود الثاني يقضي بإعادة تعيين الداي محمد باشا بيلربايا على الجزائر

A 36

ترجمة الفرمان الذي ارسله السلطان محمود خان الثاني

لمصطفى قبطان احد قباطين وجاق الجزاير الغرب سنة ١٢٤٠

[illegible] مجد والاعيان قبطان اوجاق الجزاير الغرب المتامر على السفاين التي ارسلت من طرف [illegible]
[illegible] المذكور لتكون في معية عمارتي السعيدة مصطفى قبطان زيد مجده يكون في معلومك
[illegible] هذا الرسم الرفيع السعيد الاتي والحق في هذه السنة المباركة عزمت بعون عناية حق
[illegible] اتخاذ جميع الوسايل القوية لتضييق على الروم [illegible] اشد التضييق برا وبحرا ولذلك تعين خروج
[illegible] السعيدة من [illegible] وقد تعلقت ارادتي الملوكية ايضا بتجهيز سفاين وجاق السلطنة
[illegible] جزاير الغرب المنصور وارسالهم الى هذا الطرف ليكونوا في عون عمارتي السعيدة وبناء على
[illegible] تاريخ صدرت التحريرات من جانب وليي المطلق [illegible] الصدر الاعظم [illegible]
[illegible] الجزاير الغرب [illegible] الكرام حسين باشا دامت معاليه لاجل [illegible]
[illegible] حيث [illegible] اليه بمقتضى امري [illegible] وجهز من الوجاق المذكور [illegible]
[illegible] عدد الجميع ثمانية قطع [illegible]
[illegible] السعيدة وقد تحققت حضرتي السلطانية بوصولهم الى جزيرة المورة واخذهم [illegible]
[illegible] ارسال هذه السفاين المذكورة ووصولهم في هذا الوقت هو الباعث على ممنونيتي الملوكية

وثيقة من أرشيف المكتبة الوطنية مؤرخة في 1240هـ/ 1825م.
وتتضمن أمرا سلطانيا من محمود الثاني إلى قبطان جزائر الغرب
للمشاركة بوحداته في محاصرة شبه جزيرة المورة (اليونان حاليا)

ترجمة الفرمان الذي ارسله السلطان مصطفى الثالث

الى والي الجزاير الغرب علي داي في سنة ١١٧٧

امير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك
الاعلى باي بيات الجزاير الغرب علي داي دام اقباله يكون في معلومك ايها المير ميران بعد وصول هذا الرسم
الرفيع السعيد اليك وانه فيما تقدم كان بلغني عنك وانك اهلا للمير ميرانية وبموجب ذلك وجهنا لك
ولاية باي البايات في الجزاير الغرب لانك انت لها اهلا والان قد زادت في حقك العناية والرافة الملوكية
وانعمت عليك من جانب سلطنتي السنية في هذه السنة بعد ورود الفرمان الجليل المقرون باليمن والسعادة المؤرخ
في اليوم السادس من شهر شوال المكرم سنة سبع وسبعين ومائة والف مضمونه وانني ابقيتك باي البايات
في الجزاير الغرب المذكورة كما كنت فيها سابقا تتصرف فيها التصرف التام وتضبط البلاد وتحمي العباد وتبذل
سعيك واجتهادك في العمل بموجب اوامري الشريفة وخدمة دولتي العلية واياك ثم اياك من الظلم
والتعدي على الفقراء وسكان البلاد والقاطنين في المملكة فاجتنب من ذلك غاية الاجتناب فليكن
ذلك في معلومكم واعتمدوا على هذه العلامة الشريفة المحررة في اليوم السادس من شهر شوال
المكرم سنة سبع وسبعين ومائة والف

بمحروسة اسلامبول

وثيقة من أرشيف المكتبة الوطنية مؤرخة في 1177هـ/ 1764م. وهي عبارة عن مرسوم سلطاني صادر عن السلطان مصطفى الثالث، ويقضي بإعادة تعيين الداي علي باشا بيلربايا على الجزائر

ترجمة الفرمان الذي ارسله السلطان محمود خان الثاني

لوالي الجزائر الغرب حسين باشا في سنة ١٢٣٥

امير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الاعلى باي
بايات الجزائر الغرب حسين دام اقباله يكون في معلومك ايها الباي البايات المشار اليه وانه قبل التاريخ ورد في معروضاتك
الذي قدمتم لمقري الجليل الملوكي وقد نظرتهم وكما ذكرته صار في مفهوم سعادتي ومن المعلوم في كل زمان وان سلطنتي
السنية تعامل اوجاقها المنصورة بالاحسان كما بذلت حسن توجيهها تجاه الظاهرة اليك منذ عهد قريب والان فالذي
التمست من مواهبنا قد صار في حيز القبول لدى سعادتي وها انا احسنت اليك من طرف سلطنتي بقطعة قريبة مجهزة مع
بعض المهمات الحربية وعدة مدافع ياتونك مع اهل اوجاق الجزائر الغرب بعد بروز الاذن من لدن سعادتي الملوكية لهم بالعودة
الى جانبكم وقد صدر امري الشريف المحتوي على هذا التعريف وارسل الى قبطان البحر وهو الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم وزيري
عبد الله باشا ادام الله تعالى اجلاله وامرناه بانجاز المطلوب ولاجل اعلامك بذلك صدر هذا الامر الجليل القدر وارسل اليك والان
فالسفينة والمهمات المذكورة يسلموا الى اهل الجزائر حين رجوعهم الى طرفكم فليكن في معلومكم وان سيادتي الملوكية تنظر الى الاوجاق بعين
الكمال والاحسان فينبغي لكم والحالة هذه ان تواظبوا على الدعاء بدوام عمري وازدياد سطوة دولتي وانت ايضا تكون جميع افعالك
واطوارك مطابقة للشرع الشريف ورضائي السعيد وتبذل جل مجهودك في الافعال الممدوحة والحركات المرغوبة ليحصل لك بذلك زيادة
الالتفات من جانبي الملوكي واياك ان تعمل بخلاف المأمول فاجتنب من ذلك غاية الاجتناب ولذا حكمت بما ورد هذا الفرمان العالي الشان
وقد حكمت بمجرد وصول هذا الفرمان الواجب له الاتباع والابتاع والامتثال الصادر بالشرف والاجلال تعملوا بموجب الامر المشروح اعلاه فليكن ذلك

وثيقة من أرشيف المكتبة الوطنية، تتضمن فرمانا سلطانيا مرسلا من طرف السلطان محمود الثاني إلى بيلرباي الجزائر الداي حسين، مؤرخة في سنة 1235هـ/1820م. وتتعلق بإرسال سفينة مجهزة بمختلف المعدات الحربية بناء على طلب الداي حسين.

فهرس المصادر والمراجع

1. خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس،** ترجمة محمد دراج، دار طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015.

2. علي رضا سيفي، **تحركات بحرية،** إستانبول 1928.

3. **فهرست الكتب التركية** المحفوظة بالكتب خانهء خديوية المصرية، القاهرة 1306هـ/ 1888

4. كاتب چلبي، **تحفة الكبار في أسفار البحار،** إستانبول 1928

5. نجيب عاصم، **تاريخ عثمانيأنجمنى مجموعه سى،** إستانبول 1 تشرين أول 1326.

- وثائق **المجموعة: 3190**
  - الوثيقة **A.05**
  - الوثيقة **A.21**
  - الوثيقة **B.22**
  - الوثيقة **C.22**
  - الوثيقة **D.22**
  - الوثيقة **03**

- الوثيقة **04**
- الوثيقة **10**
- الوثيقة **13**
- الوثيقة **14**
- الوثيقة **20**
- الوثيقة **25**
- الوثيقة **26**
- الوثيقة **29**
- الوثيقة **30**
- الوثيقة **32**
- الوثيقة **32**
- الوثيقة **في 59**

❐ وثائق المجموعة 3205، الملف الأول:

- الوثيقة **B.T 03**
- الوثيقة **B.T 09**
- الوثيقة **B.T 11**
- الوثيقة **B.T 14**

- الوثيقة **B.T 32**
- الوثيقة **B.T 38**

6. Abdlülhak Adnan Adıvar. *Osmanlı Türklerinde İlim*, İstanbul 1943.

7. AbdülkadirÖzcan, *FeridunBey*, DİA, XII, s. 396-397.

8. Afet İnan, *Piri Reis'in Hayatı ve Eserleri*, Ankara 1983.

9. Ahmet Bombacı, *Türk Edebiyatı Tarihi*, İstanbul 1968

10. Ahmet Hamdi Tanpınar, *19'uncu Asır Türk Edebiyatı Tarihi*, 4. Baskı, İstanbul 1976, s. 160; karş. Âlî Ömezoğlu, " Cevdet Paşa " mad. *İslâm Ansiklopedisi*, c. III. s. 114

11. Ahmet hamdi Tanpınar, *Edebiyat Üzerine Makaleler*, İstanbul 1969

12. Ali Nedjmi, *Emir Abdülkadir'in Cezayir'deki Direniş Hareketi ve Osmanlı Topraklarında Yaptığı Faaliyetler*, Yayınlanmamış Yüksek Lisans, 1992 (YÖK)

13. Bekir Kütükoğlu, Kâtib *Çelebi "Fezleke"sinin Kaynakları*, İstanbul 1974

14. Belhadj Marouf, Cezayir'de Merkezi Kubbeli Camilar Osmanlı Dönemi, Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi 1991 (YÖK)

15. Bursali Mehmet Tahir, *Osmanlı Müellifler*, İstanbul 1342/ 1923

16. Devlet Arşivler Genel Müdürlüğü,Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı,*83, 890 ve 989 Numaralı Mühimme Defteri*

17. Diyanet İşleri Başkanlığı, *İsalam Ansiklopedisi,* İstanbul

18. E. Mardin, *MedeniHukukCephesinde Ahmet CevdetPaşa*

19. Fahri İz, *Eski Türk Edebiyatında Nesir*, İstanbul 1964

20. Fatma Aliye, Ahmet, *Cevdet Paşa ve Zamanı*, İstanbul 1332

21. Ebul'ula Mardin, Mednî *Hukuk Cephesinden Ahmet Cevdet Paşa*, İstanbul 1946, s. 28- 29

22. Fuad Ezgü, " Piri Reis ", *İslam Ansiklopedisi*, M.E.B, Ankara1964

23. Galdo Gallotta, " *Seyyid Muradi'ın Gazavât-ı Hayreddin Paşa* " *adlı eseri*, çev. Mahmut H. Şakıroğlu, Erdem, Atatürk Kültür Dergisi, cilt 4, sayı 10,TTK, Ankara, Ocak 1988, s.127-150

24. Halil Yinanç, Feridun Bey Münşeatı, ‘’ *Türk Tarihi Encümeni Mecmuası* ‘’, XIV/4. S. 216-226

25. Houria Yekhlef, *Türk Hakimiyeti Devrinde Cezayir'de Kültür ve Edebi Hayat*. Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi 1991 (YÖK)

26. Hulusi Yavuz, " Mecelle'nin Tedvini ve Cevdet Ahmet Paşa'nın Hizmetleri", *Ahmet Cevdet Paşa*

Semineri, 27- 28 Mayıs 1985, Bildirileri, Edebiyat Fakültesi Tarih Araştırma Merkezi, İstanbul, 1986, s. 41-101

27. Hulusî Yavuz, *Osmanlı Devleti ve İslâmiyet*, İz Yayıncılık, İstanbul 1991

28. Hüseyin G. Yurdayıdn, *Türkiye Tarihi*, İstanbul (Tsz)

29. HüseyinYurdaydın, *"MurâdîveEserleri* " Belleten, 27L107 (1963),s.453-466

30. İbnülemin Mehmet kemalinal*, Osmanlı Devrinde Son Sadrazamlar*, İstanbul 1964

31. İdris Baostan, *Osmanlı Bahriye Teşkilatı, XVII. YüzyıldaTersane-iAmire*, Ankara 1992

32. İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, TTk. Ankara 1988

33. Karatay,*Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Türkçe Yazmalar Katalogu*

34. Mehmet Zeki Pekalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü*, İstanbul 1993

35. Mihet Sertoğlu, *Osmanlı Tarih Lûgatı*, İstanbul 1986

36. Milli Eğitim Bakanlığı, *İslam Ansiklopedisi*, Ankara (Thz)

37. Mine Esiner Özen, Piri Reis ve Müntahab-ı Kitab-ı Bahriye, “ *Osmanlı Bilim Araştırmaları* “, İstanbul 2006

38. Mohammed Derradj, *Osmanlıların Cezayir'e Girişi 1512- 1543*, Akedemi Titiz Yayınları, İstanbul 2012

39. Necip Âsim *" Gazvât-ı Hareddin Paşa"*, Tarih-i Osmani Encümeni Mecmuası, I (1911), s. 233- 238

40. Orhonlu, *Hint KaptanlığıvePiri Reis, Belleten,* c. 34, Ankara 1970

41. Osrnan Saik Gökyay. *Kâtib Çelebi: Yaşamı, Kişiliği ve Yaptıklarından Seçmeler*, Ankara 1982

42. Piri Reis, *Kitab-ı Bahriye*, Baskıya hazırlayan Yavuz Senemoğlu, Tercüman 1001 Temel eser yayınları, İstanbul 1973

43. Sava Özdemir, *Tarihçe-ı Cezayir*, (H 1189, Miladi 1775- 1776) Hasan Bin Yusuf Ahıskâvî, Marmara Üniversitesi, Türkiyat Araştırmaları Enstütü, Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi, İstanbul 2006

44. Seyfettin Özge, *Eski Harflerele Basılmış Türkçe Kataloğu*, c. IV, İstanbul, 1978

45. Seyfullah Asalan, *Akdaniz'de Cezayir Kursanlığı: 1770- 1830*, Yayınlanmamış Yüksek Lisans, 2012 (YÖK)

46. Süleyman Nutki, *Muharebat-ı Bahriye Osmanıyye* .Deniz Kuvvetleri kumutanlığı. İstanbul 1891

47. Tavfik Temel Kuran, *Gazavat-ı Cezayirli Hasan Paşa (Tahlil ve Tenkitli Metin)* Yayınlanmamış Doktora Tezi 2000

48. Tuncay Kara Kaçan, *Cezayir'de Fransız İşgali 1830-1871*, Yayınlanmamış Yüksek Lisans, 2004 (YÖK)

49. Umit Kılıç, *Nişancı Feridun Ahmet Paşa*

Kanunnamesi, AÜ, Türkiyat Araştırmaları Enstütüsü Dergisi, s. 28, Erzurum 2005, s. 281

50. Ümid Meriç, *Cevdet Paşa'nın Cemiyet ve Devlet Görüşü,*İstanbul 1979

51. Yahya Kemal, *Tarih Müsâhabeleri*, İstanbul, 1975

52. Yusuf İhsan Genç, Hacı Osman Yıldırım, Nazım Yılmaz vd., *Başbakanlık Osmanlı Arflivi Rehberi*, İstanbul 2000

53. Ziya Kaiıcı,*İslam Tarihi*,İstanbul,1997